التفريغ للشرح غير مراجع من قبل الدكتور مطلق الجاسر

شرح

كتاب القول السديد في مقاصد التوحيد

للشيخ: "عبد الرحمن السعدي" رَحِمَهُ اللَّهُ

# المقدمة

لفضيلة الشيخ الدكتور

## مطلق الجاسر

- حفظه الله -

Created by Universal Document Converter

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

الحمدُ للهِ ربِ العَالمينَ، والصَلَاةُ والسلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلَانِ عَلى المَبعُوثِ رَحْمَةً للعَالَمِينَ، نَبِيِّنَا مُحَمَدٍ وعَلى آلِهِ وصَحبِهِ أَجْمَعِينَ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بإحسانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَاجْعَلْنَا مَعَهُم بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، اللَّهُمّ عَلِمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، وارفَعْنِا وانفَعنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَزِدْنَا عِلْمًا وَاغْفِرْ لَنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ أَمَّا بعدُ:-

فهذا هو المجلس الأول من مجالس القراءة والتعليق على كتاب **"القول السديد في مقاصد التوحيد"** تأليف الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدى رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى المتوفى سنة ست وسبعين وثلاثمائة وألف (ت١٣٧٦هـ)، ولا شك أن التوحيد، وتقرير التوحيد من الأهمية بما كان.

فإن توحيد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى ونبذ الشرك وما يدور حوله هو الأمر الذي بُعث من أجله الأنبياء والرُسل، وأُنزل لتحقيقه وتقريره الكُتب، وتوحيد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى أعظم ما يدعو له الإنسان وأعظم ما يتعلمه ويعمل به المرء، لذلك ينبغي على الإنسان دومًا أن يشتغل بكُتب التوحيد وشروح التوحيد ونحو ذلك حتى يبقى هذا الموضوع حيًا في نفسه.

وهذا الكتاب كتابٌ مُختصر سها العبارة وهو شرحٌ لكتاب التوحيد للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى الكتاب الشهير الذي نفع الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى به الأمة، وهذا شرحٌ عليه للشيخ عبد الرحمن السعدي مختصر ولطيف العبارة، قد قدَّم له بمُقدمةٍ هي عبارة عن خُلاصة عقيدة أهل السُنة والجماعة وضعها بين يدي هذا الشرح، وسنقرأ إن شاء الله هذا الكِتاب وسنُعلِّق عليه في بعضِ المواضع التي تستدعي التعليق بمشيئة الله، من صفحة خمسة عشر التي هي مقدمة المُؤَلِف.

## (المتن)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:-

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ.

يقول العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

Created by Universal Document Converter

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

أما بعد: فقد سبق أن كتبنا تعليقا لطيفا في موضوعات كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

## (الشرح)

أنا عندي، طبعًا هناك أكثر من طبعة، لعل أفضل الطبعات طبعة دار المنهاج ومكتبة دار المنهاج هذه، لعلها أتقن الطبعات، والبقية فيها خير، فإذا كان هناك في فرق أو في بعض الفروق، سأشير إليها حتى يعني تثبتوها عندكم، هنا تعليقًا لطيفًا على مواضيع كتاب التوحيد عندي طبعتي على مواضيع.

## (المتن)

فقد سبق أن كتبنا تعليقا لطيفا في موضوعات كتاب التوحيد لشيخ الإسلام (محمد بن عبد الوهاب) قدس الله روحه، فحصل فيه نفع ومعونة للمشتغلين، ومساعدة للمعلمين، لما فيه من التفصيلات النافعة مع الوضوح التام .

وطبع بمطبعة الإمام ثم نفدت نسخه مع كثرة الطلب عليه ودعت الحاجة الشديدة إلى إعادة طبعه ونشره، وفي هذه المرة بدا لي أن أقدم أمام ذلك مقدمة مختصرة تحتوي على مجملات عقائد أهل السنة، في الأصول وتوابعها، فأقول مستعينا بالله .

وذلك أنهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره فيشهدون أن الله هو الرب الإله المعبود، المتفرد بكل كمال، فيعبدونه وحده مخلصين له الدين .

فيقولون: إن الله هو الخالق البارئ المصور الرزاق المعطي المانع المدبر لجميع الأمور .

وأنه المألوه المعبود الموحد المقصود.

## (الشرح)

وأنَه، بالفتح.

Created by Universal Document Converter

## (المتن)

وأنه المألوه المعبود الموحد المقصود، وأنه الأول الذي ليس قبله شيء، الآخر الذي ليس بعده شيء، الظاهر الذي ليس فوقه شيء، الباطن الذي ليس دونه شيء.

## (الشرح)

نعم وذلك مصداق قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، وكذلك حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الذكر الشهير **«أنت الأولُ فليس قبلك شيء، وأنت الآخرُ فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»**.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الأول: أي أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لم يسبقه عدم، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الأول فهو أولُ فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لم يُسبق بعدم، يعني لم يأتي وقت من الزمن لم يكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ثم كان.

**أما بقية المخلوقات:** الخلق جميعًا؛ فهم مخلوقون قد سُبقوا بعدم، كُل كائن غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو مسبوقٌ بعدم، وهذا خِلافًا لما قاله الفلاسفة الأقدمون واعتقدوا من العقيدة الكُفرية التي تقول بقِدم العالم، أي أنهم زعموا كذبًا وزورًا وافتراءً أن العالم قديم، يعني أنه لم يُسبق بعدم، وهذا كذب وباطل وافتراء ثبت في هذه الأزمنة الُعاصرة المتأخرة بُطلان هذا الكلام حتى في العِلم التجريبي، والاختراعات والمُكتشفات التجريبية أثبتت بُطلان هذا الأمر، وأن الكون كان عدمًا، ثُم خُلِق ثُم أُنشِئ، وأن الذي خلقه هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

## (المتن)

وأنه العلي الأعلى بكل معنى واعتبار، علو الذات وعلو القدر، وعلو القهر .

وأنه على العرش استوى، استواء يليق بعظمته وجلاله، ومع علوه المطلق وفوقيته، فعلمه محيط بالظواهر والبواطن، والعالم العلوي والسفلي، وهو مع العباد بعلمه، يعلم جميع أحوالهم، وهو القريب المجيب .

## (الشرح)

نعم، وذلك في قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، أي بعِلمه، وبالنسبة للمؤمنين: بنصره وتأييده وتوفيقه وتسديده.

Created by Universal Document Converter

## (المتن)

وأنه الغني بذاته عن جميع مخلوقاته، والكل إليه مفتقرون في إيجادهم وإيجاد ما يحتاجون إليه في جميع الأوقات، ولا غنى لأحد عنه طرفة عين، وهو الرءوف الرحيم، الذي ما بالعباد من نعمة دينية ولا دنيوية ولا دفع نقمة إلا من الله، فهو الجالب للنعم، الدافع للنقم .

## (الشرح)

أنا عندي وهو الرحمن الرحيم، الذي ما بالعباد من نعمة دينية ولا دنيوية ولا دفع نقمة إلا من الله.

## (المتن)

ومن رحمته أنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا يستعرض حاجات العباد حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: **"لا أسأل عن عبادي غيري، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له حتى يطلع الفجر"**، فهو ينزل كما يشاء ويفعل ما يريد، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

## (الشرح)

**فإن قال قائل:** في نزول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: وهذه من الشُبهات التي تُثار حول هذا الحديث، أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ينزل كُل ليلة في الثُلث الأخير من الليل، فإن قال قائل: الثُلث الأخير من الليل يتغير بتغير الأماكن، فالثُلث الأخير من الليل مثلاً في الكويت غير الثلث الأخير في المملكة، غير الثُلث الأخير في مصر، غير الثُلث الأخير في أوروبا، ففي كُل لحظة من الزمن هناك ثُلث أخير في بُقعةٍ ما صح؟ لأن الوقت كما تعلمون يتغير بتغير البُلدان، فكيف نقول أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ينزل في الثلث الأخير من الليل، والثُلث الأخير من الليل ينتقل ويتغير حسب الأماكن، ما رأيكم؟

**الجواب:** ...

يعني ماذا نقول في الجواب؟

**الجواب:** ...

**كلامكم صحيح، الجواب:** أن هذا الاستغراب أو هذا الإشكال مبنيٌ على اعتقادٍ خاطئ، وهو مُشابهة الخالق للمخلوق، لو قال أحد المخلوقين أنني أوجد في هذا المكان أو في هذا الزمان في الثُلث الأخير من

Created by Universal Document Converter

الليل في مكانٍ، في كُل ثلث أخير من الليل أنا موجود؛ لكان قوله باطلًا، لأنه مخلوق، ونقول له: هذا مُستحيل ولا يُمكن، ولاستغربنا كلامه صح ولا لا، لماذا؟ لأنه مخلوق عاجز.

أما الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: فهو غير المخلوقين، ولا يجوز أن نسأل عن كيفية صفاته، يعني نحن نؤمن بنزول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ نزولًا حقيقيًا يليق بعِزته وجلاله، لكن كيف النزول؟

الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: **"الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة"**، لماذا السؤال عنه بدعة؟ لأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يختلف عن خلقه، ولا يجوز أن نقيس الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بخلقه، ولا يجوز أن نورد هذا الإشكال بالنسبة لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، الإشكال هذا وارد على المخلوق صح، ما نختلف.

أما الخالق: فلا يجوز أن نسأل كيف يكون ينزل في الثُلث الأخير من الليل؟ نقول هذا السؤال خطأ، وهو مبنيٌ على افتراضٍ خاطئ وهو افتراض مُشابهة الخالق للمخلوق، وهذا أمرٌ لا يجوز لأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فإن قالوا: إذًا كيف نقول؟ نقول الله أعلم، ولا يجوز السؤال عن هذا.

## (المتن)

ويعتقدون أنه الحكيم، الذي له الحكمة التامة في شرعه وقدره، فما خلق شيئا عبثا، ولا شرع الشرائع إلا للمصالح والحكم، وأنه التواب العفو الغفور، يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، ويغفر الذنوب العظيمة للتائبين والمستغفرين والمنيبين، وهو الشكور الذي يشكر القليل من العمل، ويزيد الشاكرين من فضله .

## (الشرح)

نعم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حكيم، والحكمة هي وضع الشيء في موضعه الصحيح، الحكمة هي وضع الشيء في موضعهِ الصحيح، لذلك الناظرُ في عظيم صُنع الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في هذا الكون يُدرك مقدار هذه الحكمة، في جسم الإنسان مثلًا: ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أسهبَ في كتابه العظيم **"مفتاح دار السعادة"** في بيان عظيم صُنع الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في الإنسان، وان العين في هذا الموضع لا يُمكن أن تكون في غير هذا الموضع، ولو كانت في غير هذا الموضع لاختل نظام البشر، والأُذن في موضعها لا يمكن أن لا تكون إلا في هذا

Created by Universal Document Converter

الموضع، وأقول مثل ذلك في عدد الأذن، عدد العُيون، عدد الأنف، إلى آخره...، وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

**والعلوم التجريبية:** لا زالت تُخرج لنا كُل يوم عظيم صُنع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتكتشف عظيم صُنع الله، ومن سخافات أهل الإلحاد ومن غبائهم أنهم يأتون إلى بعض الأعضاء في جِسم الإنسان أو في بعض الوظائف، فيقولون: هذه لا نعرف وظيفتها، إذًا الخلق تعالى الله عَزَّ وَجَلَّ فيه عبث، وهذه قد قال قالوها، سمعناها من بعضهم، قالوا: هذا العُضو مكانه غير صحيح، فبماذا نُجيب عنهم وكيف نُجيب عن هؤلاء؟

**الجواب:** ...

أحسنت، نقول: كونُك لا تعلم حِكمة هذا العُضو أو هذه الوظيفة سواء في جسد الإنسان أو غيره؛ لا يعني أنها لا وظيفة لها، بدليل أن هناك قائمة في عِلم الطب قديمة قبل مائة سنة أو مائتي سنة، في أعضاء في جِسم الإنسان لم يُعرف لها وظيفة، منذ القرن الماضي كانوا يبحثون في علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء فيقولون هذه الوظيفة معروف أن الكبد وظيفته كذا، المعدة وظيفتها كذا، الأمعاء وظيفتها كذا، وقفوا عند بعض الأعضاء ولم يعرفوا لها وظيفة فوضعوها في قائمة، هذه القائمة لا زالت تتناقص مع الاكتشافات، فكلما اكتشفوا منها عُضوًا ألغوه من القائمة.

الآن في هذا العصر في هذا الزمن هذه القائمة فارغة، بحيث لا يوجد في جسم الإنسان عُضو لم تُعرف وظيفته، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على قُصُور عقل الإنسان وأنه الإنسان، وأنه الإنسان الذي وُجد قبل مائة سنة كان سيقف عند بعض الأعضاء ويقول ما وظيفة هذه؟ إذًا لا حِكمة منها.

نقول لا، كونك لا تعرف الوظيفة، لا يعني أن الوظيفة غير موجودة، كونك لا تعرف الحكمة لا يعني أن الحكمة غير موجودة، فإن عدم العِلم ليس عِلمًا بالعدم، فهذا أمرٌ ينبغي أن يُعرف.

فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلمةً عظيمة في كتابه العظيم **"درء تعارض العقل والنقل"** مناقشًا بعض الفرق أو الطوائف المُنحرفة، وبيان أنهم كانوا يستشكلون بعض الأمور في الشريعة، ماذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ؟

Created by Universal Document Converter

قال: **"الشرع يأتي بمحارات العقول ولا يأتي بمحالات العقول"**، يعني الشرع قد يأتي بمُحارات العقول، قد يأتي بشيء يحار فيه العقل ويُفكِّر ويحتار حتى يهتدي للصواب أو قد لا يهتدي، ويهتدي إليه غيره؛ لكنه لا يأتي بمُحالات العقول، محالات العُقول يعني الأمور التي يُحيلها العقل، واضح يا إخوة.

## (المتن)

ويصفونه بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الصفات الذاتية، كالحياة الكاملة، والسمع والبصر، وكمال القدرة، والعظمة والكبرياء، والمجد والجلال والجمال، والحمد المطلق، ومن صفات الأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته، كالرحمة، والرضا، والسخط، والكلام، وأنه يتكلم بما يشاء كيف يشاء، وكلماته لا تنفد، ولا تبيد وإن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود .

وأنه لم يزل ولا يزال موصوفا بأنه يفعل ما يريد، ويتكلم بما شاء، ويحكم على عباده بأحكامه القدرية وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية، فهو الحاكم المالك، ومن سواه مملوك محكوم عليه، فلا خروج للعباد عن ملكه ولا عن حكمه .

## (الشرح)

الأحكام القدرية هو الحُكم الذي يسري على الجميع، حكم القدر أو ما يُسمى بالإرادة القدرية، والأحكام الشرعية هي الإرادة الشرعية، والأحكام القدرية والإرادة القدرية هي التي تسري على الجميع، ولا مجال لأحد أن يردها.

**أما الإرادة الشرعية:** فهي ما يريده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في تطبيق شرعه، وقد يفعله الإنسان وقد لا يفعله، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سيُجازيه.

**أما الأحكام الجزائية:** فهذا معناه الحكم الذي يقضي به ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جزاءً على الأعمال كما في قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [البقرة: ١١٣].

يعني بأن يأمر فلانٌ يدخل الجنة وفلان يدخل النار، وفلان يُعذَّب العذاب الفلاني، إلى آخره...

## (المتن)

ويؤمنون بما جاء به الكتاب وتواترت به السنة: أن المؤمنين يرون ربهم تعالى عيانا جهرة، وأن نعيم رؤيته والفوز برضوانه أكبر النعيم واللذة، وأن من مات على غير الإيمان والتوحيد فهو مخلد في نار جهنم

Created by Universal Document Converter

أبدا، وأن أرباب الكبائر إذا ماتوا على غير توبة ولا حصل لهم مكفر لذنوبهم ولا شفاعة فإنهم وإن دخلوا النار لا يخلدون فيها، ولا يبقى في النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان إلا خرج منها .

## (الشرح)

نعم وهذا أمرٌ معلومٌ من الدين بالضرورة، أن الجنة لا يدخلها إلا من يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، هذا إذا مات بعد بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أما من مات وهو لا يشهد أن لا إله إلا الله ولا يشهد أن محمدًا رسول الله؛ فهذا قد حرَّم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليه دخول الجنة مهما فعل في هذه الحياة، ومن الأمور المضحكة المؤلمة في نفس الوقت أن في هذا الزمن إذا مات أهل الكُفر وأهل الإلحاد ومن طغى وتجبَّر في معصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعظم معصية تجد مع الأسف بعض المؤمنين بعض المُسلمين يدعون له بالرحمة، بل ويُجوزِون أن يدخل الجنة، وهذا أمر مُناقض لأصل من أصول الإيمان أن الجنة لا يدخلها كافر، وأن الإنسان إذا مات كافرًا مات على الكُفر فإنه لا يدخل الجنة.

**والإشكالية هنا يا إخوة نقطة مهمة ينبغي أن توضَّح:** بعض الماس يستصغرون الكفر، ويعتبرونه أمرًا صغيرًا، فإذا ما قام إنسان بأعمال مثلًا لنفترض أنه قام بأعمال بر، وأعمال خير، وخدم البشرية مثلًا لنفترض أن هذا الكلام صحيح، أنه خدم البشرية ونفع الناس، وعالج الفقراء وأحسن إلى المساكين، وفعل وفعل وفعل، لكنه كافر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإذا ما مات هل يجوز أن نترحم عليه؟ الجواب لا.

**لكن هل يأتي واحد يقول:** وأعماله هذه التي فعلها أين تذهبون بها؟ وهو على الأقل فعل وخدم البشرية، وفعل وعمل؟ الجواب: نقول هذه الأفعال، يُسأل سؤال: هو فعلها لأجل رحمة الله؟ الجواب: لا، هل هو فعلها من أجل الجنة؟ الجواب: لا.

طيب أنتم من الأمور المُضحكة أنه هو نفسه لا يُريد جنتكم، ولا يُريد رحمتكم، غصب يريدون أن يدخلوه الجنة، هو ما يريد الجنة، هو ما فعله للجنة، كما سألت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عبد الله بن جدعان، وعبد الله بن جدعان كان رجلًا من كُرماء قُريش، ويُكرم الضيف ويُطعم الناس، وكان رجلًا شهمًا خدم البشرية على قولتهم، فلما جاءت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وسألت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت هل ينفعه ذلك وهذه الأعمال التي كان يفعلها؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انظر

Created by Universal Document Converter

إلى الجواب! قال: إنه لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين، ما معنى هذا؟ هذا جواب حكيم ودقيق من النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: لا لن ينفعه، لا، بيَّن أنه لا يؤمن أصلًا باليوم الآخر، لا يؤمن بالبعث، فكيف تُقحمون إنسانًا لا يُؤمن بالبعث في أن يكون مُنعمًا في البعث، هو يقول أنا ما أؤمن به، هو يقول أنا لا أؤمن بالجنة، لا، ندخلك الجنة، احترموه على الأقل، احترموا عقيدة الرجل الذي يقول: أنا لا أؤمن بالجنة.

إذًا يا إخوة هناك خلط، ما بين الأعمال التي يعملها الإنسان في الدنيا، والكُفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويظنون أنه نفع الإنسان في الدنيا يمسح هذا الكُفر، وهذا غير صحيح، الكُفر بالله عَزَّ وَجَلَّ أعظم جريمة، أعظم جريمة يفعلها الإنسان هي الكُفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مهما كان الإنسان بشوشًا، طيبًا، كريمًا، كُل هذه الأمور، ولكنه في نفس الوقت كافر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا ينفعه هذا بجانب كُفره يوم القيامة.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يظلم أحدًا، يكون يُعطيه في الدنيا مُقابل صنائعه، صنائع المعروف التي عملها يُعطيه في الدنيا، من الأموال، من الشُهرة، من الذكر الحسن، من كُل شيء، لكنه في الآخرة ليس له إلا عقيدته التي سيُحاسبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليها.

## (المتن)

وأن الإيمان يشمل عقائد القلوب وأعمالها، وأعمال الجوارح وأقوال اللسان، فمن قام بها على الوجه الأكمل فهو المؤمن حقا، الذي استحق الثواب وسلم من العقاب، ومن انتقص منها شيئا نقص من إيمانه بقدر ذلك، ولذلك كان الإيمان يزيد بالطاعة وفعل الخير، وينقص بالمعصية والشر .

ومن أصولهم السعي والجد فيما ينفع من أمور الدين والدنيا، مع الاستعانة بالله، فهم حريصون على ما ينفعهم ويستعينون بالله، وكذلك يحققون الإخلاص لله في جميع حركاتهم، ويتبعون رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الإخلاص للمعبود، والمتابعة للرسول، والنصيحة للمؤمنين وإتباع طريقهم .

## (الشرح)

فالإخلاصُ، ويتبعون رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

## (المتن)

في الإخلاصِ.

Created by Universal Document Converter

## (الشرح)

في الإخلاصِ، لا أنا عندي يحققون الإخلاص لله في جميع حركاتهم، ويتبعون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالإخلاصُ للمعبود، والمتابعة للرسول، والنصيحة للمؤمنين طريقهم، هكذا.

## (المتن)

ويشهدون أن محمدا عبده ورسوله أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهو خاتم النبيين، أرسل إلى الإنس والجن بشيرا ونذيرا، إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، أرسله بصلاح الدين وصلاح الدنيا، وليقوم الخلق بعبادة الله ويستعينوا برزقه على ذلك .

ويعملون أنه أعلم الخلق وأصدقهم وأنصحهم، وأعظمهم بيانا، فيعظمونه ويحبونه، ويقدمون محبته على محبة الخلق كلهم، ويتبعونه في أصول دينهم وفروعه، ويقدمون قوله وهديه على قول كل أحد وهديه.

ويعتقدون أن الله جمع له من الفضائل والخصائص والكمالات ما لم يجمعه لأحد، فهو أعلى الخلق مقاما وأعظمهم جاهًا، وأكملهم في كل فضيلة، لم يبق خير إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرهم منه، وكذلك يؤمنون بكل كتاب أنزله الله، وكل رسول أرسله الله، لا يفرقون بين أحد من رسله .

## (الشرح)

هذا الدين الوحيد الذي يؤمن بجميع الرُسل هو دين الإسلام، النصرانية لا تؤمن بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيًا واليهودية كذلك، أما الإسلام لماذا هو الدين الحق؟ لأنه يؤمن بجميع الرُسل، بعيسى وموسى وإبراهيم، وكُل الرُسل والأنبياء حتى خاتمهم عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام.

**أما بقية الأديان:** ما يؤمنون بالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ محمد.

## (المتن)

ويؤمنون بالقدر كله، وأن جميع أعمال العباد- خيرها وشرها- قد أحاط بها علم الله، وجرى بها قلمه، ونفذت فيها مشيئته، وتعلقت بها حكمته، حيث خلق للعباد قدرة وإرادة، تقع بها أقوالهم وأفعالهم بحسب مشيئتهم، لم يجبرهم على شيء منها بل مختارين لها.

Created by Universal Document Converter

## (الشرح)

أنا عندي بل جعلهم مُختارين لها، طبعًا هنا في قوله ويؤمنون بالقدر كله، وأن جميع أعمال العباد- خيرها وشرها- قد أحاط بها علم الله، هنا أشار المُصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى مراتب القدر الأربعة، فإن مراتب القدر أربعة كما تعلمون.

أول مرتبة العِلم، ثم الكتابة، ثم المشيئة، ثم الخلق.

**ولذلك قال:** أحاط بها علم الله وهذه إشارة إلى المرتبة الأولى.

**وجرى بها قلم:** وهذه إشارة إلى المرتبة الثانية.

**ونفذت فيها مشيئته:** وهذه إشارة إلى المرتبة الثالثة.

**وتعلقت بها حكمته حيث خلق للعباد قدرة:** هذه المشيئة الرابعة.

حيث خلق للعباد قدرة وإرادة، تقع بها أقوالهم وأفعالهم بحسب مشيئتهم،وهنا اللبس الذي يحصل، يظن بعض الناس أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذا كان قد قدَّر هذا الشيء بمعنى أنه خلقه أنه يلزم منه إجبار الناس على هذا الشيء، وهذا غير صحيح.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يُجبرنا على فعل شيء؛ بدليل أنك أنت الآن تفعل ما تشاء الآن، أنت إذا شِئت أن تقوم تقوم، وإذا شئت أن تجلس تجلس، وإذا شئت أن تنام تنام، وإذا شئت أن تفعل أي شيء تستطيع أن تفعله، طيب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعلم ماذا ستفعل؟

هل هذا العِلم يؤثر على فعلك بأن يجعلك مُجبرًا عليه؟ الجواب لا، لا يؤثر، على فعلك، تستطيع أن تفعل ما تشاء وأن يعلم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ماذا ستفعل، وأنت غير مجبر على هذا، فإن أصر الإنسان على أنه مجبور وأنه لا قدرة له ولا يد له فيما يفعل فما الحل معه وما الجواب معه؟

**الجواب:** ...

الحل أن تصفعه على وجهه صفعةً مؤلمة، فإن احتج واعترض ماذا تقول له؟ قل هذا قدر، لماذا؟ تحاسبني، أنا ما اخترت أن أضرب، وإذا أصَّر تعطيه على الجهة الأخرى، لكن لا أحد يفعل هذا يا إخوان هذا مجرد تمهيد لتوضيح الأمر فقط لا غير.

Created by Universal Document Converter

**فالمقصود:** أن الاحتجاج بالقدر على المعائب والذنوب والمعاصي لا يجوز، لأنك أنت الذي اخترتها، أما الاحتجاج على المصائب التي لا يد لك فيها فهذا يجوز أن أنت فعلًا لا يد لك فيها، فإذا مرضت أو صُدمت أو خسرت تجارتك أو سقطت في حفرة أو نحو ذلك؛ لك أن تقول هذا قدرُ الله، قدَّر الله وما شاء فعل، وهذا أمر قد قدَّره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى آخره...، لأنك لم تختره.

أما الأمور التي اخترتها وفعلتها بمحض إرادتك فلا يحقُ لك أن تحتج فيها بالقدر، فالاحتجاج بالقدر على المصائب لا على المعائب.

## (المتن)

وخص المؤمنين بأن حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان بعدله وحكمته .

**ومن أصول أهل السنة:** أنهم يدينون بالنصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة، ويأمرون ببر الوالدين وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجيران والمماليك والمعاملين، ومن له حق، وبالإحسان إلى الخلق أجمعين .

ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها، وينهون عن مساوئ الأخلاق وأرذلها .

ويعتقدون أن أكمل المؤمنين إيمانا ويقينا أحسنهم أعمالا وأخلاقا، وأصدقهم أقوالا، وأهداهم إلى كل خير وفضيلة، وأبعدهم من كل رذيلة .

## (الشرح)

وهذه نقطة مهمة يا إخوان، الخُلق الحسن فرعٌ عن العقيدة الحسنة، فلا أتصور رجلًا حسُنت عقيدته وساءت أخلاقه، لأن بعض الناس يعتقد أن العقيدة إذا كان الإنسان قد خلا من البدع أنه لا بأس بذلك أن يكون عبوسًا قمطريرًا وأن يكون سيء الأخلاق، وأن يشتم الناس، وأن يسب الناس لا، العقيدة الحسن تورثُ الأخلاق الحسنة، ينبغي على الإنسان أن إذا حسُنت عقيدته بالله وآمن بالله عَزَّ وَجَلَّ حق الإيمان وآمن باليوم الآخر حق الإيمان؛ ينبغي أن يكون بعد ذلك حسن الأخلاق لأن العقيدة الحسنة تورث الأخلاق الحسنة.

Created by Universal Document Converter

## (المتن)

ويأمرون بالقيام بشرائع الدين، على ما جاء عن نبيهم فيها وفي صفاتها ومكملاتها، والتحذير عن مفسداتها ومنقصاتها، ويرون الجهاد في سبيل الله ماضيا مع البر والفاجر، وأنه ذروة سنام الدين . جهاد العلم والحجة . وجهاد السلاح، وأنه فرض على كل مسلم أن يدافع عن الدين بكل ممكن ومستطاع .

ومن أصولهم الحث على جمع كلمة المسلمين، والسعي في تقريب قلوبهم وتأليفها، والتحذير من التفرق والتعادي والتباغض والعمل بكل وسيلة توصل إلى هذا .

## (الشرح)

صحيح، فالأصل في كلمة المُسلمين أن تُجمع، أما التفرُّق والتحزُّب والتشيع، فليس هذا من سبيل الأنبياء والرسل، الإنسان ينبغي أن يكون داعية توحيد، وداعية توحيد كلمة، أن توحَّد الكلمة على كلمة التوحيد، وأن يُجمع ويُألَّف بين المسلمين وبين أهل السُنة والجماعة وألا يُفرَّق بينهم.

## (المتن)

وَمَن أُصُولِهِم النَّهْي عَنْ أَذِيَّةِ الْخَلْقِ فِي دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِم وَجَمِيع حُقُوقِهِم، وَالْأَمْر بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ فِي جَمِيعِ الْمُعَامَلَات، وَالنَّدْب إِلَى الْإِحْسَانِ وَالْفَضْل فِيهَا .

وَيُؤْمِنُون بِأَنَّ أَفْضَلَ الْأُمَمِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَفْضَلُهُم أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُصُوصًا الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ وَالْعَشَرَة الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ وَأَهْل بَدْر، وَبَيْعَةَ الرِّضْوَانِ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ. فيُحبون الصَّحَابَة وَيَدِينُون لِلّهِ بِذَلِكَ .

ويَنشرون مَحَاسِنُهُم ويسكتون عَمَّا قِيلَ عَنْ مُسَاوِيهِمْ .

وَيَدِينُون لِلَّه باحترام الْعُلَمَاء الْهُدَاة وَأَئِمَّة الْعَدْل، وَمَن لَهُم الْمَقَامَات الْعَالِيَةِ فِي الدِّينِ وَالْفَضْلُ.

## (الشرح)

والفضلُ، الفضل معطوف على المقامات.

Created by Universal Document Converter

## (المتن)

وَمَن هُم الْمَقَامَات الْعَالِيَةِ فِي الدِّينِ وَالْفَضْلُ الْمُتَنَوِّع عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَيُسْأَلُون اللَّهُ أَنْ يعيذهم مِنْ الشَّكِّ وَالشِّرْكِ وَالشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَسُوءِ الْأَخْلَاقِ، وَإِن يثبتهم عَلَى دِينِ نَبِيُّهُمْ إِلَى الْمَمَاتِ، هَذِهِ الْأُصُولِ الْكُلِّيَّةُ بِهَا يُؤْمِنُون وَلَهَا يَعْتَقِدُون، وَإِلَيْهَا يَدْعُون.

## (الشرح)

وقد أحسن المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في اختصار هذه الكلمات الجميلة كمقدمة لعقيدة أهل السُنة والجماعة، ففيها أصول هذه العقيدة.

## (المتن)

**كتاب التوحيد.**

**يقول الله تعالى:** ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

**وقوله:** ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

**وقوله:** ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

**وقوله:** ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

**وقوله:** ﴿تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١: ١٥٣].

Created by Universal Document Converter

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١]، إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت رديف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حمارٍ، فقال لي: **«يَا مُعاذ، أتدري ما حقُّ اللهِ عَلى العباد، وما حقُّ العِباد على الله؟»** قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: **«حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا»** قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: **«لا تبشرهم فيتكلوا»** أخرجاه في الصحيحين.

## (الشرح)

ما عندك المسائل؟ ذكر المسائل بعد، التي هي أربعة وعشرين مسألة، له تعديل أو يقرأ من هذا أحسن.

## (المتن)

**فيه مسائل:**

**الأولى:** الحكمة في خلق الجن والإنس.

**الثانية:** أن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه.

**الثالثة:** أن من لم يأت به لم يعبد الله، ففيه معنى قوله: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣].

**الرابعة:** الحكمة في إرسال الرسل.

**الخامسة:** أن الرسالة عمت كل أمة.

**السادسة:** أن دين الأنبياء واحد.

**السابعة:** المسألة الكبيرة: أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت، ففيه معنى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦].

## (الشرح)

نعم فالشهادة فالتوحيد، نفيً وإثبات، لا إله إلا الله، فلا يتحقق لك الإيمان بالله إلا إذا نفيت كُل ما يُعبد من دون الله وتبرأت من كُل شِرك مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في عبادته، لا إله إلا الله، نفيٌ ثم إثبات.

Created by Universal Document Converter

## (المتن)

**الثامنة:** أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله.

**التاسعة:** عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف وفيها عشر مسائل:

**أولاها:** النهي عن الشرك.

**العاشرة:** الآيات المحكمات في سورة الإسراء. وفيها ثماني عشرة مسألة بدأها الله بقوله: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢] وختمها بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩]، ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٣٩].

**الحادية عشرة:** آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة، بدأها الله تعالى بقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

**الثانية عشرة:** التنبيه على وصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند موته.

**الثالثة عشرة:** معرفة حق الله علينا.

**الرابعة عشرة:** معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه.

**الخامسة عشرة:** أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة.

**السادسة عشرة:** جواز كتمان العلم للمصلحة.

**السابعة عشرة:** استحباب بشارة المسلم بما يسره.

**الثامنة عشرة:** الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله.

**التاسعة عشرة:** قول المسئول عما لا يعلم: الله ورسوله أعلم.

**العشرون:** جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض.

**الحادية والعشرون:** تواضعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لركوب الحمار مع الإرداف عليه.

**الثانية والعشرون:** جواز الإرداف على الدابة.

**الثالثة والعشرون:** فضيلة معاذ بن جبل.

**الرابعة والعشرون:** عظم شأن هذه المسألة.

Created by Universal Document Converter

**قال المُصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب التوحيد.**

هذه الترجمة تدل على مقصود هذا الكتاب من أوله إلى آخره.

ولهذا استغني بها عن الخطبة، أي أن هذا الكتاب يشتمل على توحيد الإلهية والعبادة بذكر أحكامه، وحدوده وشروطه، وفضله وبراهينه، وأصوله وتفاصيله، وأسبابه وثمراته ومقتضياته، وما يزداد به ويقويه، أو يضعفه ويوهيه، وما به يتم أو يكمل.

## (الشرح)

نعم استغنى المؤلِف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن الخُطبة يعني التي هي مُقدمة الكتاب، فليس لكتاب التوحيد مقدمة، واستغنى عنها بهذه الترجمة كما فعل البُخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه.

البُخاري لم يجعل لكتابه مُقدمة مُباشرةً بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ، كتابُ بدء الوحي، وهذا أمرٌ معهود لاسيما وأن هذا الكتاب هو عبارة عن آيات وأحاديث، يعني كتاب التوحيد مما يتميز به أنه عبارة عن جمع لآيات وأحاديث، ولم يذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامه الخاص إلا في المسائل.

أما صُلب الكتاب فهو آيات وأحاديث، ولهذا والله أعلم لم يذكر المصنف خُطبة لذلك لأنها آيات وأحاديث.

## (المتن)

**اعلم أن التوحيد المطلق:** العلم والاعتراف بتفرد الرب بصفات الكمال، والإقرار بتوحده بصفات العظمة والجلال، وإفراده وحده بالعبادة.

**وهو ثلاثة أقسام:**

**أحدها:** توحيد الأسماء والصفات:

وهو اعتقاد انفراد الرب- جل جلاله- بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة، والجلالة والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من جميع الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله، من غير نفي لشيء منها ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل.

Created by Universal Document Converter

ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من النقائص والعيوب، وعن كل ما ينافي كماله.

**الثاني:** توحيد الربوبية:

بأن يعتقد العبد أن الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير الذي ربى جميع الخلق بالنعم، وربى خواص خلقه- وهم الأنبياء وأتباعهم- بالعقائد الصحيحة، والأخلاق الجميلة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة، وهذه هي التربية النافعة للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدارين.

**الثالث:** توحيد الإلهية ويقال له: توحيد العبادة:

وهو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين لله وحده، وهذا الأخير يستلزم القسمين الأولين ويتضمنهما؛ لأن الألوهية التي هي صفة تعم أوصاف الكمال وجميع أوصاف الربوبية والعظمة، فإنه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال، ولما أسداه إلى خلقه من الفواضل والأفضال، فتوحده تعالى بصفات الكمال وتفرده بالربوبية يلزم منه أن لا يستحق العبادة أحد سواه.

## (الشرح)

نعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نوحِده في أسمائه وصِفاته، وفي ربوبيته وفي إلهيته، توحيد الربوبية يُسمى أيضًا توحيد العِلم، وتوحيد الإلهية يسمى توحيد القصد والعمل، ويُسمى توحيد الربوبية توحيد العلم أو يُسمى توحيد المعرفة والإثبات، وتوحيد الإلهية عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ توحيد القصد والعمل.

توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، يعني من علم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الخالق، وأنه هو الذي خلقه، وهو الذي أنشأه من العدم، وهو الذي ركَّب فيه العينين واللسان، والشفتين، وهو الذي يمُده بالرِزق وبالحياة، وهو الذي يُعطيه كُل شيء.

هذا كُله يلزم منه أن تُطيعه، وأن تعبده، وأن تصرف إليه جميع ما أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من عِبادته، وذلك لأن الإنسان في هذه الحياة شاء أم أبى هو عبدٌ لشيءٍ ما يعني طائِعٌ له، فأي الكائنات أولى بهذه الطاعة؟ الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبالتالي إذا تحلل الإنسان وخرج عن طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هل تظنون أنه أصبح حُرًا وأنه لم يعد عبدًا؟ هذا خطأ غير صحيح.

Created by Universal Document Converter

الإنسان في هذه الحياة عبد، شاء أم أبى، وأشرف هذه الأنواع أشرف أنواع العبودية أن يكون عبدًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هي العُبودية الوحيدة المُستحقة، والتي تُعطي الشرف للإنسان، غير ذلك إذا خرج عن طاعة الله، سيكون عبدًا إما لهواه، أو عبدًا لغيره، فسيكون تابعًا لما يُمليه عليه غيره، فهؤلاء المنحرفون الذين خرجوا عن دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هم ليسوا أحرار، هم عبارة عن عبيد ولكن بصيغةٍ أخرى.

يظنون أنهم أحرار وهم عبيد، هم يتبعون كلام أسيادهم، ومن يُقدِسونه، ومن يُعظِمونه، يقولون مثل كلامهم حذو القُذَّةِ بالقُذَّةِ، فهم عبيد في النهاية، أما أهل التوحيد وأهل الإسلام فهُم عبيدٌ لمن يستحق أن يُعبد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، غير ذلك العبادة ذُل، أما العبادة الوحيدة التي يكون فيها شرف وعز هي أن تعبد الخالق الذي رزقك وخلقك وأمدك بكُل ما تنعم به في هذه الحياة من نعم.

لذلك توحيد الربوبية يستلزم توحيد الأُلوهية، ويستلزم الطاعة، وأن تُحكِّم شرعه على نفسِك وعلى الآخرين.

## (المتن)

**ومقصود دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم**: الدعوة إلى هذا التوحيد.

فذكر المصنف في هذه الترجمة من النصوص ما يدل على أن الله خلق الخلق لعبادته والإخلاص له، وأن ذلك حقه الواجب المفروض عليهم. فجميع الكتب السماوية وجميع الرسل دعوا إلى هذا التوحيد، ونهوا عن ضده من الشرك والتنديد، وخصوصا محمد صلى الله عليه وسلم.

وهذا القرآن الكريم، فإنه أمر به وفرضه وقرره أعظم تقرير، وبينه أعظم بيان، وأخبر أنه لا نجاة ولا فلاح ولا سعادة إلا بهذا التوحيد، وأن جميع الأدلة العقلية والنقلية والأفقية والنفسية أدلة وبراهين على هذا الأمر بهذا التوحيد ووجوبه، فالتوحيد هو حق الله الواجب على العبيد، وهو أعظم أوامر الدين وأصل الأصول كلها، وأساس الأعمال.

## (الشرح)

نعم والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١]، يعني هذا المُشرك، ولو أعجبكم شكله، ولو أعجبكم عقله، ولو أعجبكم عقله، ولو أعجبكم اختراعاته، ولو

Created by Universal Document Converter

أعجبكم نفعه للبشرية كما يقولون، فلئن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله خير من ألف إنسان ممن يكفر بهذه الشهادة.

﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١]، لأن هذا قد أطاع الله في أعظم ما يُطاع به الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وهو التوحيد، وهذا قد عصى الله في أعظم ما يُعصى به الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وهو الشِرك، وبالتالي هذا قد فاق هذا، ولا يعني أن هذا الإنسان المؤمن مُبرأ عن الذنوب والمعاصي والأخطاء، لا أبدًا، لكنه في هذه الجزئية وهي أهم جُزئية جُزئية التوحيد خير من الكُفار جميعًا.

لعلنا نقف هنا ونُكمل إن شاء الله الأسبوع القادم، هذا والله أعلم وصلى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Created by Universal Document Converter

شرح

كتاب القول السديد في مقاصد التوحيد

للشيخ: "عبد الرحمن السعدي" رَحِمَهُ اللَّهُ

# ﴿فضل التوحيد﴾

لفضيلة الشيخ الدكتور

## مطلق الجاسر

- حفظه الله -

Created by Universal Document Converter

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

الحمدُ للهِ ربِ العَالمينَ، والصَلَاةُ والسلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلَانِ عَلى المَبعُوثِ رَحْمَةً للعَالَمِينَ، نَبِيِّنَا مُحَمَدٍ وعَلى آلِهِ وصَحبِهِ أَجْمَعِينَ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بإحسانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَاجْعَلْنَا مَعَهُم بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، اللَّهُمّ عَلِمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، وارفَعْنِا وانفَعنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَزِدْنَا عِلْمًا وَاغْفِرْ لَنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ أَمَّا بعدُ:-

فهذا هو المجلس الثاني من مجالس كتاب التوحيد وقد وصلنا فيه إلى باب فضل التوحيد وما يُكفِّر من الذنوب.

## (المتن)

**الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:-**

يقول العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب.**

**وقول الله تعالى:** ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

**عن عبادة بن الصامت قال:** قال رسول الله: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»**.

**ولهما في حديث عتبان:** **« فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»**، وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله قال: **«قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا رب علمني شيئا أذكرك وأدعوك به. قال: قل يا موسى لا إله إلا الله، قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا، قال: يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله»** رواه ابن حبان والحاكم وصححه.

Created by Universal Document Converter

وللترمذي- وحسنه- عن أنس: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**قال الله تعالى: يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا: لأتيتك بقرابها مغفرة**».

## (الشرح)

هذا الباب يدل ويُبين فضل التوحيد وأنه سببٌ لمغفرة الذنوب، وأنه سببٌ لدخول الجنة، فإن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قال كما في الحديث الذي رواه عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال قال رسول الله: صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله**» إلى آخر الحديث...، قال: «**أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»، وهذا دليل على أن التوحيد سببٌ من أسباب دخول الجنة، بل هو سبب دخول الرئيسي.

كذلك من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله بيَّن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هنا أن الله يُحرِّمه على النار.

**إذًا الفضل الأول:** دُخول الجنة.

**والفضل الثاني:** التحريم على النار.

**كذلك كلمة التوحيد:** بيَّن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها لو وَضعت في كفة، وجميع ما في السماوات والأرض في كفة لمالت بهِّن لا إله إلا الله مما يدل على سِعة فضلها، ومن هنا اختلف العُلماء في بيان المقصود بمن قال لا إله إلا الله؛ هل يحصل له هذا الفضل بمُجرد هذا الأمر أم له اعتباراتٌ أخرى؟

هُنا قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: "**من قال هذه الكلمة وأدى حقها وفرضها**" يعني أن المقصود ليس مُجرد القول كما يزعم المُرجأة الذين يقولون أنه يكفي أن يقول الإنسان لا إله إلا الله ويكفيه ذلك لدخول الجنة، ويستدلون بهذه الأحاديث بالمناسبة.

**فنحن نقول لهم:** ليس في هذا الحديث أو هذه الأحاديث ما يدل على مُعتقدكم الفاسد، فالمقصود بهذه الأحاديث ليس مُجرَّد النُطق باللسان، وإنما كما قال سيدُ التابعين الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ قال: "**من قال هذه الكلمة وأدى حقها وفرضها**".

**وهُناك قولٌ ثانٍ:** في توجيه هذه الأحاديث في توجيه فضلها وهو ما ذكره الإمام البُخاري رَحِمَهُ اللهُ في صحيحه فقد ذكر البخاري رَحِمَهُ اللهُ بعض هذه الأحاديث وقال بعد ذلك قال: "**هذا عند الموت أو قبلهُ إذا**

Created by Universal Document Converter

**تاب وندم وقال لا إله إلا الله غُفر له"** انتهى كلامه فالبُخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ جعل هذه الأحاديث فيما إذا كان آخر كلام الإنسان، وإذا كان قد قاله على سبيل الندم والتوبة.

**وهُناك توجيه ثالث:** روي عن سعيد بن المُسيِّب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو ان هذا كان في أول الإسلام قبل أن تُستكمل الشرائع، ولكن ردَ هذا القول الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه على صحيح مُسلم، وبيَّن أنه لم يثبت عن سعيد بن المسيِّب، وبالتالي لا يصح ذلك في نسبته لسعيد بن المُسيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

**خُلاصة ذلك:** أن هذه الأحاديث ليست على إطلاقها بمعنى ليس مُجرد القول باللسان يُحقق فيه الإنسان دخول الجنة، والحرمان من النار وإنما المقصود القول باللسان، والعمل بمقتضى هذه الكلمة العظيمة.

## (المتن)

**فيه مسائل:**

**الأولى:** سعة فضل الله.

**الثانية:** كثرة ثواب التوحيد عند الله.

**الثالثة:** تكفيره مع ذلك للذنوب.

**الرابعة:** تفسير الآية التي في سورة الأنعام.

**الخامسة:** تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة.

**السادسة:** أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبين لك معنى قول: **"لا إله إلا الله"**، وتبين لك خطأ المغرورين.

**السابعة:** التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان.

**الثامنة:** كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل **"لا إله إلا الله "**.

**التاسعة:** التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات مع أن كثيرا ممن يقولها يخف ميزانه.

**العاشرة:** النص على أن الأرضين سبع كالسماوات.

**الحادية عشرة:** أن لهن عمارا.

**الثانية عشرة:** إثبات الصفات خلافا للأشعرية.

Created by Universal Document Converter

**الثالثة عشرة:** أنك إذا عرفت حديث أنس عرفت أن قوله في حديث عتبان: **"فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله"**أنه ترك الشرك ليس قولها باللسان.

**الرابعة عشرة:** تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي الله ورسوليه

**الخامسة عشرة:** معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله.

**السادسة عشرة:** معرفة كونه روحا منه.

**السابعة عشرة:** معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار.

**الثامنة عشرة:** معرفة قوله: **"على ما كان من العمل "**.

**التاسعة عشرة:** معرفة أن الميزان له كفتان.

**العشرون:** معرفة ذكر الوجه.

## باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب:

لما ذكر في الترجمة السابقة وجوب التوحيد، وأنه الفرض الأعظم على جميع العبيد، ذكر هنا فضله وهو آثاره الحميدة ونتائجه الجميلة، وليس شيء من الأشياء له من الآثار الحسنة، والفضائل المتنوعة مثل التوحيد. فإن خير الدنيا والآخرة من ثمرات هذا التوحيد وفضائله.

**فقول المؤلف رحمه الله: "وما يكفر من الذنوب"**من باب عطف الخاص على العام؛ فإن مغفرة الذنوب وتكفير الذنوب من بعض فضائله وآثاره كما ذكر شواهد ذلك في الترجمة.

**ومن فضائله:** أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتها.

ومن أجل فوائده أنه يمنع الخلود في النار.

إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة خردل. وأنه إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية.

**ومنها:** أنه يحصل لصاحبه الهدى الكامل والأمن التام في الدنيا والآخرة

**ومنها:** أنه السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه، وأن أسعد الناس بشفاعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **من قال:** لا إله إلا الله خالصا من قلبه.

**ومن أعظم فضائله:** أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها، وفي ترتب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت.

Created by Universal Document Converter

## (الشرح)

فلو فعل الكافر ما فعل من الإحسان والطاعة ومساعدة المُحتاجين وغير ذلك من أعمال الخير ولم يُحقق التوحيد، لم يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله؛ لم يُثب على هذه الأعمال في الآخرة وإنما يُعجِّل له ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الدنيا ثوابه، فيُعطى صِحة، يُعطى مال، يُعطى عافية، يُعطى سُمعة حسنة، يُعطى من خيرات الدنيا ما يُعطى جزاءً على ما فعل من صالحات.

**وإذا مات على الكُفر:** لم يُكتب له من هذه الأعمال في الآخرة شيء.

**أما إذا أسلَم ومنَ الله** عَزَّ وَجَلَّ **بالإسلام:** فمن فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنه يكتب له هذه الأجور هذه الأفعال ولو كان قد فعلها حال كُفره فيُثيبه عليها، وهذا يدل على عِظم التوحيد، فإن هذا الإنسان لم يمنعه من قبول أعماله إلا لأنه لم يكن موحدًا.

## (المتن)

**ومن أعظم فضائله:** أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها، وفي ترتب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت.

**ومن فضائله:** أنه يسهل على العبد فعل الخير وترك المنكرات ويسليه عن المصيبات، فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي، لما يخشى من سخطه وعقابه.

**ومنها:** أن التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين.

**ومنها:** أنه يخفف عن العبد المكاره ويهون عليه الآلام.

فبحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان، يتلقى المكاره والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة.

**ومن أعظم فضائله:** أنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم، وهذا هو العز الحقيقي والشرف العالي.

Created by Universal Document Converter

ويكون مع ذلك متألها متعبدا لله، لا يرجو سواه ولا يخشى إلا إياه، ولا ينيب إلا إليه، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه.

## (الشرح)

وهذا معنىً دقيق ومهم وهو أن التوحيد والعُبودية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هي غاية الحُرية، فإن الإنسان لا يبلغ غاية الحُرية إلا إذا حقق غاية التوحيد.

**أما إذا تحرر الإنسان بزعمه من عُبودية الله ومن توحيده:** فإنه سيكون في ذُل العُبودية، العبودية غير المُستحقة، سيكون عبدًا إما لغير الله من البشر يُطيعهم فيما أمروا، ويجتنب ما نهو عنه، ويخاف منهم خوفه من الله، ويُحبهم حبه لله.

**وإما أن يكون عبدًا لهواه:** فيكون إلهه هواه كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣].

أما الموحِّد الذي حقق التوحيد فعلًا وخلى قلبه عن سوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فهذا هو الحُر فعلًا لأنه غير مُسترق لأراء الناس، ولا لأفكار الناس، ولا لموجات الناس والتيارات التي تذهبُ بالناس يمينًا وشِمالًا، وكذلك هو حر عن هواه ولا يُقيَّد بهواه، وهذا هو العِلم كما ذكر الشيخ، هذا هو غاية الحُرية.

**كذلك الموحد:** ينبغي ألا يخاف في الله لومة لائم، إذا رأى أن هذا الأمر صواب وأنه يُرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فإنه لا يخاف في فعله لومة لائم، أما بعض الناس فإنه يرى أن هذا الأمر صواب، وأنه مصلحة وأنه خير، لكنه رُبما خشي من الناس، خشي من كلام الناس، خشي من انتقاد الناس، أو رُبما يطمع في مثلًا كلام الناس ومدح الناس ويرى أن هذا الفعل الذي يُريد أن يفعله سيجعله يخسر عدد من الناس مثلًا.

فهذا الشخص الذي يربط تصرفاته إقدامًا وإحجامًا للناس يدل ذلك على نقصٍ في توحيده؛ لأنه ربط نفسه بالناس، قبل أن يفعل الفعل ما يُفكر أن هذا الفعل يُرضي الله أو لا يُرضي الله، يقول كيف ستكون ردة فعل الناس؟ هل سيُعجبون أم سينتقدون؟ بغض النظر حتى لو كان الفعل الذي يفعله صحيح.

لكنه يقول للناس سينتقدوني لا لن أفعله، وإن كان فيه صواب وإن كان فيه خير، أنت مطيع لله أم مُطيع للناس؟ فهذا أمر مهم ولفتة مهمة جدًّا نبه عليها الشيخ عبد الرحمن الساعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أن التوحيد

Created by Universal Document Converter

يُحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم، كلما قوي التوحيد في قلبك كلما صِرت أكثر حُريةً من التعلق بالمخلوقين مهما كان هذا المخلوق من قُربه ومكانته أو عدده ونحو ذلك.

## (المتن)

**ومن فضائله التي لا يلحقه فيها شيء:** أن التوحيد إذا تم وكمل في القلب وتحقق تحققا كاملا بالإخلاص التام، فإنه يصير القليل من عمله كثيرا، وتضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب، ورجحت كلمة الإخلاص في ميزان العبد بحيث لا تقابلها السماوات والأرض وعمارها من جميع خلق الله، كما في حديث أبي سعيد المذكور في الترجمة، وفي حديث البطاقة التي فيها لا إله إلا الله التي وزنت تسعة وتسعين سجلا من الذنوب، كل سجل يبلغ مد البصر، وذلك لكمال إخلاص قائلها، وكم ممن يقولها لا تبلغ هذا المبلغ؛ لأنه لم يكن في قلبه من التوحيد والإخلاص الكامل مثل ولا قريب مما قام بقلب هذا العبد.

## (الشرح)

نعم وهذا من فضائل التوحيد أيضًا، أن الإنسان إذا حقق التوحيد في قلبه، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُضاعف له أعماله، يُضاعف له الحسنات والأجور، وبمِقدار إخلاصه يكون مِقدار ثوابه، وبالتالي قد يتفاوت الناس في العمل الواحد.

رُبَّ صفٍ من المُصلين يتفاوت الناس في أجر الصلاة التي يصلونها وهم في صفٍ واحدٍ كتفاوت السماء عن الأرض، وذلك بحسبِ إخلاصهم، بحسب خُشوعهم، بحسب إقبالهم على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا أمرٌ عظيم وفضلٌ عظيم وبالتالي إذا حقق الإنسان التوحيد وخلى قلبه عن الشِرك وعن الرياء، وعن طلب الثناء أو طلب المدح أو إلى آخره...؛ كلما ازداد أجرًا، وكُلما بُعثت له أُجوره.

## (المتن)

**ومن فضائل التوحيد:** أن الله تكفل لأهله بالفتح والنصر في الدنيا، والعز والشرف وحصول الهداية والتيسير لليسرى وإصلاح الأحوال والتسديد في الأقوال والأفعال.

**ومنها:** أن الله يدافع عن الموحدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة، ويمن عليهم بالحياة الطيبة والطمأنينة إليه والطمأنينة بذكره، وشواهد هذه الجمل من الكتاب والسنة كثيرة معروفة والله أعلم.

Created by Universal Document Converter

## (الشرح)

نعم وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨]، وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، ولكن هل يعني ذلك أن المؤمن لا يقع عليه أذى أبدًا؟ لأن بعض يستشكل قوله تعالى عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، ثم يقول ولكن قد حصل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيءٌ من الأذى، بل قد وضعت له اليهودية السُم في طعامه، وقد أكل النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ منه شيئًا يسيرًا.

كذلك في غزوة أُحد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كُسرت رباعيته وسال الدم ودخل المغفر في وجنته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ونحو ذلك، فكيف نجمع بين عصمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وحمايته وحماية المؤمنين وبين ما يقع لهم من بعض الابتلاءات وبعض المصائب، ونحو ذلك؟

**الجواب:** ...

والآية قد نزلت لما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يضع حارسًا على الباب فلما نزل قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، صرف النبيُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحُراس عن باب بيته.

**نقول:** هذا الأذى الذي كتبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على عباده المؤمنين الموحدين، وعلى رأسهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو مما تكمُل به أقدارهم، وتكمل به فضائِلهم، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أشدُ الناسِ بَلاءً الأنبياء، ثم الأمثلُ فالأمثل، يُبتلى المَرءُ عَلى قدرِ دِينه، فإن كان في دِينه غِلظة زِيد لهُ في البلاء»**، وبالتالي هذا الأذى مما يزيد المؤمن رفعةً وشرفًا، ومما يُثبته ويُقويه على إيمانه.

ومما يدل على ثباتِه على الإيمان، وإلا فكيف نعرف المؤمن من غير المؤمن؟ وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ [الحج: ١١].

فالأذى الذي يُصيب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو يُصيب المؤمنين ليس لمهانتهم على الله، هذا أمر ينبغي أن يُعلم، ليس لأنهم هانوا على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فسمح بأن يؤذوا، لا، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لاشك قادر على كل شيء، قادر على ألا يُصيبهم شوكة، فإذًا ما هو هذا الأذى؟

Created by Universal Document Converter

هذا الأذى هو مما أذِن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فيه ليرفع من درجاتهم، ولُصفيهم ويُخلصهم من أي دخيل كما بيَّن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من حِكم غزوة أُحد لما قُتل من قُتل من المسلمين، ويعني هُزم في النهاية هُزم المُسلمون في غزوة أُحد وإن كانت هزيمة ظاهرية؛ لكنهم في النهاية خرج المُشركون وهُم يرون أنهم قد انتصروا على المُسلمين في غزوة أُحد.

ماذا قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؟ قال: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [آل عمران: ١٤١] ، ليُمحِّص، ما معنى التمحيص؟ التصفية، حتى يكون المؤمن مثل الذهب، والذهب لا يصفى منه الشوائب إلا بالإحراق، إلا إذا عُرض على النار فتصفى الشوائب منه، إذًا لا تعارض بين تكفُّل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بحماية عبده المؤمن وحماية نبيه عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ وحماية المؤمنين، وبين ما تعرض له من أذى وهزيمة، فإن هذه الحماية تعني:

**أولًا:** الحماية من أن يُستأصلوا، هذا أولًا، الله تكفَّل بعدم استئصال المسلمين، يعني ألا تبقى له باقية.

**ثانيًا:** حماهم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من الأذى الذي يُهينهم أو الذي يكون على سبيل المهانة والمذلة، أما الأذى الذي يُقويهم ويُظهر ما عِندهم من إيمان وصبر؛ فهذا أمرٌ قد أذن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فيه، لا على سبيل المهانة وإنما على سبيل الابتلاء والاختبار والحكمة، ليظهر معدنهم وليظهر إيمانهُم، وليظهر فضلهم على غيرهم والله أعلم.

## (المتن)

**باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب.**

**وقول الله تعالى:** ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠] وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩]

**عن حصين بن عبد الرحمن قال:** كنت عند سعيد بن جبير، فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لدغت. قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت. قال: فما حملك على ذلك؟

**قلت:** حديث حدثناه الشعبي، قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: **"لا رقية إلا من عين أو حمة "**قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: **«عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان،**

Created by Universal Document Converter

والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب».

ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام، فلم يشركوا بالله شيئا، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبروه.

**فقال:** «هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»، فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «أنت منهم»، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «سبقك بها عكاشة».

**فيه مسائل:**

**الأولى:** معرفة مراتب الناس في التوحيد.

**الثانية:** ما معنى تحقيقه؟

**الثالثة:** ثناؤه – سبحانه – على إبراهيم بكونه لم يك من المشركين.

**الرابعة:** ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك.

**الخامسة:** كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد.

**السادسة:** كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل.

**السابعة:** عمق علم الصحابة بمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل.

**الثامنة:** حرصهم على الخير.

**التاسعة:** فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية.

**العاشرة:** فضيلة أصحاب موسى.

**الحادية عشرة:** عرض الأمم عليه، عليه الصلاة والسلام.

**الثانية عشرة:** أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها.

**الثالثة عشرة:** قلة من استجاب للأنبياء.

**الرابعة عشرة:** أن من لم يجبه أحد يأت وحده.

Created by Universal Document Converter

**الخامسة عشرة:** ثمرة هذا العلم وهو عدم الاغترار بالكثرة، وعدم الزهد في القلة.

**السادسة عشرة:** الرخصة في الرقية من العين والحمة.

**السابعة عشرة:** عمق علم السلف لقوله: **"قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن كذا وكذا"**. فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني.

**الثامنة عشرة:** بعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه.

**التاسعة عشرة:** قوله: **"أنت منهم"** علم من أعلام النبوة.

**العشرون:** فضيلة عكاشة.

**الحادية والعشرون:** استعمال المعاريض.

**الثانية والعشرون:** حسن خلقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

## (الشرح)

في قوله استعمال المعاريض لما قال للرجل سبقك بها عُكاشة، يعني لم يريد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول للرجل أنت لست منهم أو لا تستحق أن تكون منهم أو نحو ذلك ولكنه قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كلمةً تدل على عدم رغبته بالدُعاءِ له أو في بيان أنهم منهم.

وفي نفس الوقت لم يُرد أن يجرحه، فعرَّض فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ **«سبقك بها عُكاشة»**، فكأن الذي سبق يعني يستحق الدُعاء دون غيره وهذا من حُسنِ خُلقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما ذكر الشيخ في الفائدة أو المسألة الثانية والعِشرون.

من هذا الحديث في الصحيحين قبله قِصة بين حُصين بن عبد الرحمن وسعيد بن جُبير، وسعيد بن جُبير رَحِمَهُ اللَّهُ هو أحد التابعين، وهو من أصحاب عبد الله بن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وممن نقل عنه التفسير، وله آراء كثيرة جدًّا في التفسير منثورة في كُتب التفسير المُختلفة.

**حُصين يقول:** كنت عند سعيد بن جبير، فقال أي سعيد: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ كأن في الليل يعني حصل أنه هناك رأوا مثل كوكب أو شهاب في السماء ويعني كان من ضمن السوالف الذين رأوه، **فقال حُصين:** فقلتُ أنا، ثم قُلت أما إني لم أكن في صلاة، يعني استدرك حتى لا يُظن أنه كان يُصلي قيام الليل وأنه قال هذه الكلمة حتى يعلموا أنه كان يُصلي فأراد أن يوضِّح، فقال: أما إني لم أكن في

Created by Universal Document Converter

صلاة، ولكني لُدغت، قال: يعني سعيد بن جُبير، فما صنعت؟ قلت: ارتقيت، ارتقيت يعني رقيت نفسي بالرُقية الشرعية، قال: فما حملك على ذلك؟ لماذا ارتقيت؟ قال: حديثٌ حدَّث له الشعبي.

والشعبي هو عامر بن شراحيل الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: وما حدثكم؟ قلت حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: **"لا رقية إلا من عين أو حمة"**، والحمة هو يعني كُل دابة ذات سُم، كالحية والعقرب ونحوها، فقوله هنا**"لا رقية إلا من عين أو حمة"**، ليس فيه دليل على نفي الرُقية عن غيرها من الأمراض، وإنما كما قال أهل العلم: **"لا رقية إلا من عين أو حمة"**، أي لا رُقية كاملة، ولا رُقية أنفع في أمر كنفعها في هذين الأمرين.

**العين:** يعني الحسد.

**والحُمة:** يعني السُم.

ولا يعني ذلك أن الرُقية لا تنفع في غيرهما وإنما يعني هذا يدل على أنه لا رُقية أكمل ولا أفضل ولا أحسن في داء إلا في هذين الداءين أفضل من غيرهما، ثم قال سعيد: قال قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، وهذا فيه حُسن أدب السلف وأنهم لم يتجادلوا يقول أنا العلم عندي علم أحسن من الذي عندك، وأنت عندك كذا، قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع.

أنت لك سند ودليل فيما فعلت قد أحسنت ولكن ، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط»**، النبي هنا مُبهم وليس نبي مُعين، يعني النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول رأيت النبي، الألف واللام هنا ليست للعادل يعني نبي مُعين، لا، يقول رأيت أي أحد الأنبياء، ومعه الرهط، والرهط هو العدد ما بين الثلاثة إلى التسعة عدد قليل يعني.

والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، وهذا فيه دليل على أن القلة لا تدل على الحق، وأن الكثرة لا تدل أيضًا على الحق، القلة لا تدل على الباطل، يعني إذا كان عددهم قليل، لا يعني ذلك أنهم على باطل، وإذا كان عددهم كثير لا يعني ذلك أنهم على الحق.

**والدليل:** أن هذا نبي، لم يتبعه أحد أبدًا، ونبي معه رجل ورجلان، ونبي ومعه الرهط، والنبي إذا بُعث من الله فهذا يعني أنه قد أدى ما عليه، ولم يُقصر، ولكن لم يتبعه الناس، فهذا يدل على أن ليس من مسئولية الداعية وليس من وظائفه أن يقتنع الناس، الداعية وظيفته ومُهمته إيصال الحق إلى الناس.

Created by Universal Document Converter

فإن اقتنعوا واستجابوا فالحمد لله، وإلا فلا إثم ولا حرج عليه، ولا يحزن، ولا يتضايق، ولا ينقص ذلك من أجره شيء، فالأنبياء وهم أنبياء، بعضهم ليس معه أحد، لن يستجب له أحد، حتى زوجته، حتى أولاده، حتى أقرب الناس له، يعني النبي له أولاد أو زوجة أو على الأقل أب أو ابن أو إخوة، أو جيران، أقرب الناس له، ولا واحد، يأتي وليس معه أحد.

**قال:** إذ رفع لي سواد عظيم، يعني أمة، فهذا يدل على أن يوم القيامة تُجمع الأمم كُل أُمة على حِدة، أمة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأمة عيسى على حِدة، وأمة الإسلام أمة النبي محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، على حدة.

سوادٌ عظيم: يعني عالم، عدد كبير من الناس، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، بنو إسرائيل الذين آمنوا معه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذاب، من أمة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جعلنا الله وإياكم منهم.

انتهى، ثم نهض أي النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فدخل منزله فخاض الناس في أولئك، يعني من هؤلاء السبعين ألف؟ فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال آخرون: لعلهم الذين ولدوا في الإسلام، فلم يشركوا بالله شيئًا.

وهذا فيه جواز إعمال التفكير والبحث في النُصوص الشرعية، قبل سؤال أهل العِلم وقبل البحث في المسألة في كلام أهل العِلم، واضح، إذا رأيت حديثًا أو آية، لا مانع بدون أن تفتي الناس بهذا القول.

لكن لا بأس أن تتذاكر أنت وأصحابك، بل هذا مُفيد، من الطُرق المُفيدة في تدّبُر القرآن أن تتأمل الآية لوحدك أول شيء، قبل ما تقرأ كلام المُفسرين، وتُحاول أن تستنبط أنت بنفسك معنى، تذكر المعاني التي تستفيدها، ثم بعد ذلك تنظر في كلام أهل العِلم، فهذا يُفيدك فائدة عظيمة.

**أولًا:** إذا وافق كلامك كلام أهل العِلم فهذا فيه تثبيت لقولك، وفيه أيضًا فرح لك، تفرح إذا وافق كلامك كلام أهل العِلم.

**الأمر الثاني:** لو كان فيه خطأ ثم صححته فيكون هذا أيضًا أثبت للمعلومة، بخلاف ما لو هجمت مُباشرة إلى كلام المفسرين دون إعمال عقلك، فالصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ نفس الشيء، جلسوا يتدبرون، من هؤلاء؟ من هو الذين سيدخلون الجنة بلا حساب وعذاب؟

Created by Universal Document Converter

**قال:** فخرج عليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبروه، يا رسول الله نحن تدبرنا وسألنا فمن هؤلاء؟ فقال: «هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون».

**لا يسترقون:** أي لا يطلبون الرقية، لا يطلبون من أحدٍ أن يرقيهم، وهنا في سؤال، قد ورد في الصحيح في كتب الأحاديث الصحيحة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد رقى غيره، وكذلك فيه أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أمر بالرُقية كذلك كما في صحيح مُسلم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رخَّص في الرُقية من العين والحِمة، أو الحُمة، وكذلك في صحيح مُسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان يأمرني أن استرقي من العين.

فكيف نجمع بين الأحاديث الدالة على جواز الاسترقاء وبين أن الذين يدخلون الجنة بلا حِساب من أخَّص صفاتهم أنهم لا يسترقون، تفضل؟

**الجواب:** ...

لماذا؟

**الجواب:** ...

في تعلق، نعم هناك ثلاثة أقوال لأهل العِلم في معنى قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لا يسترقون»، هناك ثلاثة أقوال:

**القول الأول:** أن المقصود لا يسترقون الرُقية الشِركية، وليس المقصود مُطلق الرُقية، أي أنهم لا يسترقون بالشِرك والعبارات التي فيها شِرك ونحو ذلك، وهذا قد نقله الإمام ابن بطَّال في شرحه على صحيح البُخاري عن أبي الحسن القابسي، وأبو الحسن القابسي هو من أقدم من شرح البُخاري، له شرح لكنه لم يُطبع، كان ينقل عنه ابن بطَّال.

**يقول أبو الحسن القابسي في شرحه لهذا الحديث قال:** يريد الاسترقاء الذي كانوا يسترقونه في الجاهلية، أي الاسترقاء الشركي، هذا قول.

**القول الثاني:** أن المقصود الذين يسترقون مع اعتقادِ أن الرُقية تنفع بذاتها، لا بإذن الله، هذا على القول الثاني، ولا شك أن هذا الاعتقاد اعتقادٌ باطل، فالرُقية لا تنفع بذاتها، الذي ينفع هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا توجيه الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ، وكذلك الإمام المازري في شرحه على صحيح مُسلم في كتابه **"المُعلِّم بفوائد الإمام مُسلم"**، وهو شرح قديم من شُروح صحيح مُسلم القديمة، المُعلِّم هو اختصره شرح مختصر وترك

Created by Universal Document Converter

بعض الأحاديث فجاء القاضي عِياض بعده فأكمله وسمَّاه **"إكمال المُعلِّم"**، ثُم أتى الأُبِّي وأكمل شرح القاضي عياض فسمَّاه **"إكمال إكمالِ المُعلِّم"**.

**فالشاهد:** أن المازري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **"المُعلِّم"**، ذكر أن المقصود أي الذين يسترقون مع اعتقاد أن الرقية تنفع بذاتها.

**التوجيه الثالث:** ولعل هذا هو الأقرب، أن المقصود مُطلق الاسترقاء، وليس بالضرورة أن يكون اعتقاد الشِرك أو الاعتقاد أنها تنفع بذاتها، بل حتى الرُقية الشرعية الأكمل ألَّا تطلبها من غيرك، وذلك لأن النفس البشرية ضعيفة، فإذا ما طلبت الرقية ورقى الإنسان فإنها تتعلق بالراقي، ما لا تتعلق بالأدوية، وهذا ذكره شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بعض رسائله: أن المُداوي والراقي يختلفان، فإن المريض يتعلق بالراقي أكثر من تعلقه بالمُداوي، لذلك تجدهم يطلبون في الراقي أن يكون من أهل الصلاح صح؟ لأنه كلما كان صالح أكثر كُلما يعني أرادوا أن يرقيهم أكثر من غيره.

فقطعًا لباب التعلُق وسدًا لهذه الذريعة بيَّن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن هؤلاء الذين لا يسترقون لكمال توكلهم وتعلقهم بالله يدخلون جنته بغيرِ حسابٍ ولا عِقاب، وهذا بطبيعة الحال لا يعني حُرمة طلب الرُقية من الآخرين، ولكن نقول الأكمل ألا ترقي ألا تطلب الرُقية من الآخرين وإن شئت فارقِي نفسك.

أما قول النبي، عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حديث عائشة في مُسلم: **"أمرني النبي** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **أن أسترقِي من العين"** ليس فيه أنه أمرها أن تطلب من غيرها، بل كلمة استرقِي من العين يدخل فيها أي ارقي نفسك، فلا تعارض إن شاء الله في هذا.

**ولا يكتوون:** كذلك فالكي يعني آخر العلاج وهو أمر يعني ليس مُرغبًا فيه.

**ولا يتطيرون:** أي لا يتشاءمون.

**وجِماع ذلك كُله هذه الأمور الثلاثة:** النهي عن الاسترقاء، وعن الاكتواء، وعن التطيُر، جماعه التوكل على الله ولذلك قال: وعلى ربهم يتوكلون.

وفي هذا الحديث الشهادة لعُكَّاشة أنه من أهل الجنة، صح، ومن عقيدة أهل السُنة والجماعة ألا نشهد لأحدٍ بجنةٍ أو نار إلا من شهد له الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أو شهِد له رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد شهد الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لجُملة من الصحابة منهم العشرة المعروفين المُبشرين بالجنةِ، ومنهم عُكاشة بن محصن،

Created by Universal Document Converter

ومنهم ثابت بن قيس، ومنهم بلال بن رباح، ومنهم الحسن والحُسين سيدا شباب أهل الجنة إلى آخره...، جمع من الصحابة نجزمُ أنهم من أهل الجنة جَزْمًا، لأن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قد شهد لهم بذلك.

## (المتن)

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ : **باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب.**

وهذا الباب تكميل للباب الذي قبله وتابع له، فإن تحقيق التوحيد تهذيبه وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر، ومن البدع القولية الاعتقادية، والبدع الفعلية العملية، ومن المعاصي، وذلك بكماله الإخلاص لله في الأقوال والأفعال والإرادات، وبالسلامة من الشرك الأكبر المناقض لأصل التوحيد، ومن الشرك الأصغر المنافي لكماله، وبالسلامة من البدع والمعاصي التي تكدر التوحيد، وتمنع كماله وتعوقه عن حصول آثاره.

فمن حقق توحيده بأن امتلأ قلبه من الإيمان والتوحيد والإخلاص، وصدقته الأعمال بأن انقادت لأوامر الله طائعة منيبة مخبتة، إلى الله ولم يجرح ذلك بالإصرار على شيء من المعاصي، فهذا الذي يدخل الجنة بغير حساب، ويكون من السابقين إلى دخولها وإلى تبوء المنازل منها.

**ومن أخص ما يدل على تحقيقه:** كمال القنوت لله، وقوة التوكل على الله بحيث لا يلتفت القلب إلى المخلوقين في شأن من شئونه، ولا يستشرف إليهم بقلبه، ولا يسألهم بلسان مقاله أو حاله، بل يكون ظاهره وباطنه وأقواله وأفعاله وحبه وبغضه وجميع أحواله كلها مقصودا بها وجه الله، متبعا فيها رسول الله.

**والناس في هذا المقام العظيم درجات:** ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأنعام: ١٣٢] وليس تحقيق التوحيد بالتمني ولا بالدعاوى الخالية من الحقائق، ولا بالحلي العاطلة، وإنما ذلك وصدقته الأخلاق الجميلة، والأعمال الصالحة الجليلة.

فمن حقق التوحيد على هذا الوجه حصلت له جميع الفضائل المشار إليها في الباب السابق بأكملها والله أعلم.

## (الشرح)

والله أعلم وصلى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وجزاكم الله خيرًا.

Created by Universal Document Converter

شرح

كتاب القول السديد في مقاصد التوحيد

للشيخ: "عبد الرحمن السعدي" رَحِمَهُ اللَّهُ

# ﴿الخوف من الشرك﴾

لفضيلة الشيخ الدكتور

## مطلق الجاسر

- حفظه الله -

Created by Universal Document Converter

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

**الحمدُ للهِ، والصَلَاةُ والسَلام على رسُول الله وعَلى آلِهِ وصحبهِ ومن والاهُ وبعدُ:-**

فلا زلنا في كتاب التوحيد وشرحه وشرح مقاصده، القول السديد، وبعد أن بيَّن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ التوحيد أولًا ثم بيَّن فضلهُ، ومكانتهُ، ثم بيَّن من فضائِله أيضًا أن من حقَّق التوحيد دخل الجنة بغير حساب، بدأ ببيان الخوف من الشِرك، وأن الإنسان لا ينبغي أن يأمن من مكر الله، وينبغي أن يحذر أشد الحذر من الوقوع في الشِرك ومناقضة التوحيد.

## (المتن)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياءِ والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **باب الخوف من الشرك.**

**وقول الله:** ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وقال الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]

**وفي الحديث: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»**، فسئل عنه فقال: **«الرياء»**

وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار»** رواه البخاري.

ولمسلم عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار»**.

## (الشرح)

ويدل على هذا أن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو من هو في قُربه من الله، ومع ذلك دعا أن يُجنبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِبادة الأصنام، ولم يقل أنا نبي وأنا أين والأصنام أين؟ وأنا لا أخاف الشِرك، لا؛ لشدِة معرفته بالله عَزَّ وَجَلَّ، وخطورة الشِرك دعا ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنت يُجنبه وبنيه عِبادة الأصنام.

Created by Universal Document Converter

## (المتن)

**فيه مسائل:**

**الأولى:** الخوف من الشرك.

**الثانية:** أن الرياء من الشرك.

**الثالثة:** أنه من الشرك الأصغر.

**الرابعة:** أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين.

**الخامسة:** قرب الجنة والنار.

**السادسة:** الجمع بين قربهما في حديث واحد.

**السابعة:** أنه من لقيه لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار، ولو كان من أعبد الناس.

**الثامنة:** المسألة العظيمة: سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام.

**التاسعة:** اعتباره بحال الأكثر لقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

**العاشرة:** فيه تفسير **"لا إله إلا الله"** كما ذكره البخاري.

**الحادية عشرة:** فضيلة من سلم من الشرك.

**باب: الخوف من الشرك.**

الشرك في توحيد الإلهية والعبادة ينافي التوحيد كل المنافاة. وهو نوعان: شرك أكبر جلي، وشرك أصغر خفي.

**فأما الشرك الأكبر:** فهو أن يجعل لله ندا يدعوه كما يدعو الله، أو يخافه أو يرجوه أو يحبه كحب الله، أو يصرف له نوعا من أنواع العبادة، فهذا الشرك لا يبقى مع صاحبه من التوحيد شيء، وهذا المشرك الذي حرم الله عليه الجنة ومأواه النار.

ولا فرق في هذا بين أن يسمي تلك العبادة التي صرفها لغير الله عبادة، أو يسميها توسلا، أو يسميها بغير ذلك من الأسماء، فكل ذلك شرك أكبر ؛ لأن العبرة بحقائق الأشياء ومعانيها دون ألفاظها وعباراتها.

Created by Universal Document Converter

**وأما الشرك الأصغر:** فهو جميع الأقوال والأفعال التي يتوسل بها إلى الشرك، كالغلو في المخلوق الذي لا يبلغ رتبة العبادة، وكالحلف بغير الله ويسير الرياء ونحو ذلك.

فإذا كان الشرك ينافي التوحيد، ويوجب دخول النار والخلود فيها، وحرمان الجنة إذا كان أكبر، ولا تتحقق السعادة إلا بالسلامة منه، كان حقا على العبد أن يخاف منه أعظم خوف، وأن يسعى في الفرار منه ومن طرقه ووسائله وأسبابه، ويسأل الله العافية منه كما فعل ذلك الأنبياء والأصفياء وخيار الخلق.

وعلى العبد أن يجتهد في تنمية الإخلاص في قلبه وتقويته، وذلك بكمال التعلق بالله تألها، وإنابة وخوفا ورجاء وطمعا وقصدا لمرضاته وثوابه في كل ما يفعله العبد، وما يتركه من الأمور الظاهرة والباطنة، فإن الإخلاص بطبيعته يدفع الشرك الأكبر والأصغر، وكل من وقع منه نوع من الشرك فلضعف إخلاصه.

## (الشرح)

صحيح، لذلك ينبغي على الإنسان أن يحذر أشَّد الحذر من الشِرك ووسائله ويسَّد الباب أمام ذلك.

## (المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ : **باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله.**

## (الشرح)

هذا الباب بعد أن بيَّن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أهمية التوحيد وفضله، والخوف من الشِرك بيَّن أنه ينبغي على الإنسان ألا يقتصر على نفسه في الخير، بل ينبغي أن يدعو غيره، فقال: باب: الدعاء أس الدعوة، دعاء الآخرين أي دعوتهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله.

## (المتن)

**باب الدعاء إلى شهادة أنه لا إله إلا الله.**

**قول الله تعالى:** ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بعث معاذًا إلى اليمن، قال له **«إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»**، وفي رواية: **«إلى أن يوحدوا الله»**، **«فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك**

Created by Universal Document Converter

لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

## (الشرح)

هذا الحديث حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما بعثه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى اليمن فيه عِدة فوائد:

**الفائدة الأولى:** قبولُ خبر الواحد حتى في العقائد، خلافًا لمن قال بخلاف ذلك، لأن معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلَّغهم التوحيد والدعوة إلى التوحيد وهو واحد، ولم يُنكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك.

**ثانيًا من الفوائد في هذا الحديث:** عدم وجوب صلاة الوتر، خلافًا للحنفية الذين أوجبوها رحمة الله عليهم لأن هذا الأمر أو هذا الحديث في آخر حياة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بعث معاذًا اليمن على الصحيح في السنة العاشرة تقريبًا من الهجرة، وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات»، ولم يذكر من ضمنها الوتر.

**الفائدة الثالثة:** أهميةُ معرفةِ حال المدعوين قبل دعوتهم، وذلك لأن مُعاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنك تأتي قوما من أهل الكتاب»، فأخبره بحالهم قبل توجهه إليهم، وهذا فيه إشارة إلى أهمية أن يكون الداعية مُطلعًا على أحوال من يدعوهم، أحوالهم الفكرية، وأحوالهم العقدية، وأحوالهم الاجتماعية، حتى يستطيع أن يختار الطريقة المناسبةَ لدعوتهم، لأن الدعوة تختلف طُرقها باختلاف المدعوين، فمن الناسِ من يقتنع بطريقةٍ لا يقتنع الآخرون بها.

لذلك النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لم يقل له: إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب عبثًا؛ قالها قصدًا ليعلم الطريقة الصحيحة في دعوتهم.

**الفائدةُ الرابعة:** أن أهم ما يُدعى إليه التوحيد، لذلك قال: «فليكن أول ما تدعُوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»، فأهم ما يدعو الداعيةُ إليه التوحيد.

**الفائدة الخامسة:** حُرمة أخذ كرائم الأموال، والكرائِم جمع كريمة، والكريمة كما قال ابن قرقول في "**المطالع**": هي جامعة الكمال الممكن في حقها من غزارة لبن وجمال صورة، يحرم أخذ نفائس الأموال في الصدقات، وإنما تؤخذ من الصدقات، وأن هذا ظُلم.

Created by Universal Document Converter

**الفائدة السادسة:** أن الكافر لا يُعطى من الزكاة، يحرُم أن يُعطر الكافر من الزكاة، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «تؤخذ من أغنيائِهم فتُردُ على فقرائِهم»، أي فقراء المُسلمين، هذه رُبما أهم الفوائد، وفي الحديث فوائد أخرى كثيرة.

## (المتن)

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يوم خيبر: لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه. فبات الناس يدوكون ليلتهم، أيهم يعطاها، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقيل: هو يشتكي عينيه، قال: «فأرسلوا إليه»، فأتي به، فبصق في عينيه ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال: «نفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم» يدوكون: أي يخوضون.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** أن الدعوة إلى الله طريق من اتبع رسوله الله صلى الله عليه وسلم.

**الثانية:** التنبيه على الإخلاص ؛ لأن كثيرا من الناس لو دعا إلى الحق، فهو يدعو إلى نفسه.

**الثالثة:** أن البصيرة من الفرائض.

**الرابعة:** من دلائل حسن التوحيد: كونه تنزيه الله تعالى عن المسبة.

**الخامسة:** أن من قبح الشرك كونه مسبة لله.

**السادسة:** – وهي من أهمها– إبعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك.

**السابعة:** كون التوحيد أول واجب.

**الثامنة:** أنه يبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة.

**التاسعة:** أن معنى: **"أن يوحدوا الله"** معنى شهادة: أن لا إله إلا الله.

**العاشرة:** أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها، أو يعرفها ولا يعمل بها.

الحادية عشرة: التنبيه على التعليم بالتدريج.

**الثانية عشرة:** البداءة بالأهم فالأهم.

Created by Universal Document Converter

**الثالثة عشرة:** مصرف الزكاة.

**الرابعة عشرة:** كشف العالم الشبهة عن المتعلم.

الخامسة عشرة: النهي عن كرائم الأموال.

**السادسة عشرة:** اتقاء دعوة المظلوم.

**السابعة عشرة:** الإخبار بأنها لا تحجب.

**الثامنة عشرة:** من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء.

**التاسعة عشرة:** قوله: **«لأعطين الراية»**، إلخ. علم من أعلام النبوة.

**العشرون:** تفله في عينيه علم من أعلامها أيضا.

**الحادية والعشرون:** فضيلة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

**الثانية والعشرون:** فضل الصحابة في دوكهم تلك الليلة، وشغلهم عن بشارة الفتح.

**الثالثة والعشرون:** الإيمان بالقدر؛ لحصولها لمن لم يسع لها، ومنعها عمن سعى.

**الرابعة والعشرون:** الأدب في قوله: **"على رسلك"**.

**الخامسة والعشرون:** الدعوة إلى الإسلام قبل القتال.

**السادسة والعشرون:** أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا.

**السابعة والعشرون:** الدعوة بالحكمة لقوله: **"أخبرهم بما يجب عليهم"**.

**الثامنة والعشرون:** المعرفة بحق الله في الإسلام.

**التاسعة والعشرون:** ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد.

**الثلاثون:** الحلف على الفتيا.

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ :

**باب: الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله.**

Created by Universal Document Converter

وهذا الترتيب الذي صنعه المؤلف في هذه الأبواب في غاية المناسبة، فإنه ذكر في الأبواب السابقة وجوب التوحيد وفضله، والحث عليه وعلى تكميله، والتحقق به ظاهرا وباطنا، والخوف من ضده، وبذلك يكمل العبد نفسه.

ثم ذكر في هذا الباب تكميله لغيره بالدعوة إلى شهادة **"أن لا إله إلا الله"** ، فإنه لا يتم التوحيد حتى يكمل العبد جميع مراتبه، ثم يسعى في تكميل غيره- وهذا هو طريق جميع الأنبياء-؛ فإنهم أول ما يدعون قومهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهي طريقة سيدهم وإمامهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه قام بهذه الدعوة أعظم قيام، ودعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، لم يفتر ولم يضعف حتى أقام الله به الدين، وهدى به الخلق العظيم، ووصل دينه ببركة دعوته إلى مشارق الأرض ومغاربها، وكان يدعو بنفسه ويأمر رسله وأتباعه أن يدعوا إلى الله وإلى توحيده قبل كل شيء؛ لأن جميع الأعمال متوقفة في صحتها وقبولها على التوحيد.

## (الشرح)

نعم، وعلى الداعية أن يبدأ بهذا التدريج الذي قاله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يدعو وينصح الناس بشيء والناس عندهم خلل في العقيدة، ينبغي أن يبدأ بالأهم وأن يُركِّز على العقيدة، فالناس مثلًا إذا خرجوا عن دين الله وأصبحوا يتشككون في دين الله، وأصبحوا يُناقشون أمور من المُسلَّمات ينبغي أن يُتفرَّغ لهم لردِّهم إلى الجادة في باب التوحيد والإسلام والكُفر وأن يُبين لهم هذا الباب وأن يُرجعوا إلى التوحيد قبل أن ينصحهم بالأخلاق أو أن ينصحهم عن أهمية الصلاة أو عن ترك التدخين أو نحو ذلك، ينبغي أولًا أن ينصح بالتوحيد، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

## (المتن)

فكما أن على العبد أن يقوم بتوحيد الله، فعليه أن يدعو العباد إلى الله بالتي هي أحسن، وكل من اهتدى على يديه فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء.

وإذا كانت الدعوة إلى الله، وإلى شهادة أن لا إله إلا الله فرضا على كل أحد، كان الواجب على كل أحد بحسب مقدوره.

Created by Universal Document Converter

فعلى العالم من بيان ذلك، والدعوة والإرشاد والهداية أعظم مما على غيره ممن ليس بعالم.

وعلى القادر ببدنه ويده أو ماله أو جاهه وقوله أعظم مما على من ليست له تلك القدرة.

**قال تعالى:** ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ورحم الله من أعان على الدين ولو بشطر كلمة، وإنما الهلاك في ترك ما يقدر عليه العبد من الدعوة إلى هذا الدين.

## (الشرح)

وهذا الكلام ورحم الله من أعان على الدين ولو بشطر كلمة ينطبق في هذا العصر على وسائِل التواصُل لأن رُبَّ كلمةٍ في وسائل التواصل الاجتماعي اليوم يقولها الإنسان تنفع، ويتأثر بها الآخرون وتؤثِّر، ورحم اللهُ من أعان على الدين ولو بشَطرِ كلمة.

## (المتن)

**قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ : باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.**

**وقول الله تعالى:** ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

**وقوله:** ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]

**وقوله:** ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] الآية.

**وقوله:** ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وفي الصحيح عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله»**.

**وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب.**

**فيه أكبر المسائل وأهمها:** وهي تفسير التوحيد وتفسير الشهادة وبينهما بأمور واضحة:

**منها:** آية الإسراء بين فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين، ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر.

Created by Universal Document Converter

**ومنها:** آية براءة بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلها واحدا مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد في المعصية، لا دعاؤهم إياهم، ومنها: قول الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للكفار: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧].

فاستثنى من المعبودين ربه، وذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن هذه البراءة، وهذه الموالاة هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، فقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨].

**ومنها آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم:** ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله، فدل على أنهم يحبون الله حبا عظيما ولم يدخلهم في الإسلام، فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله؟ وكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله؟

**ومنها:** قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله»**.

**وهذا من أعظم ما يبين معنى: "لا إله إلا الله"** فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه، فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها! ويا له من بيان ما أوضحه! وحجة ما أقطعها للمنازع!

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ باب: **تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.**

هما بمعنى واحد، فهو من باب عطف المترادفين.

وهذه المسألة أكبر المسائل وأهمها كما قال المصنف- رحمه الله-.

**وحقيقة تفسير التوحيد:**

العلم والاعتراف بتفرد الرب بجميع صفات الكمال وإخلاص العبادة له.

وذلك يرجع إلى أمرين:

Created by Universal Document Converter

**الأمر الأول:** نفي الألوهية كلها عن غير الله، بأن يعلم ويعتقد أنه لا يستحق الإلهية ولا شيئا من العبودية أحد من الخلق لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب ولا غيرهما، وأنه ليس لأحد من الخلق في ذلك حظ ولا نصيب.

**والأمر الثاني:** إثبات الألوهية لله تعالى وحده لا شريك له، وتفرده بمعاني الألوهية كلها، وهي نعوت الكمال كلها، ولا يكفي هذا الاعتقاد وحده حتى يحققه العبد بإخلاص الدين كله لله، فيقوم بالإسلام والإيمان والإحسان وبحقوق الله وحقوق خلقه، قاصدا بذلك وجه الله، وطالبا رضوانه وثوابه.

## (الشرح)

وهذا معنى لا إله إلا الله، فهي نفيٌ وإثبات، لا إله نفي الألوهية عن غير الله عَزَّ وَجَلَّ، نفي الألوهية كُلها عن كُلِ ما سوى الله، نفي جميع أنواع الألوهية عن جميعِ الناسِ أو جميع الخلق أو جميع الوجود سوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا معنى لا إله.

**والنوع الثاني أو القسم الثاني:** إثبات الألوهية لله سبحانه وحده إثباتُ كامِلِ الألوهية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحدهُ لا شريك له وتفرُده بذلك، فهذا هو تفسير التوحيد، نفيٌ ينفي الإنسان الإلهية وجميع صُورها عن من سِوى الله، ثُم يُثبتها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

## (المتن)

**والأمر الثاني:** إثبات الألوهية لله تعالى وحده لا شريك له، وتفرده بمعاني الألوهية كلها، وهي نعوت الكمال كلها، ولا يكفي هذا الاعتقاد وحده حتى يحققه العبد بإخلاص الدين كله لله، فيقوم بالإسلام والإيمان والإحسان وبحقوق الله وحقوق خلقه، قاصدا بذلك وجه الله، وطالبا رضوانه وثوابه.

ويعلم أن من تمام تفسيرها وتحقيقها البراءة من عبادة غير الله، وأن اتخاذ أنداد يحبهم كحب الله أو يطيعهم كطاعة الله، أو يعمل لهم كما يعمل لله ينافي معنى لا إله إلا الله أشد المنافاة.

وبين المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله"** فلم يجعل مجرد التلفظ بها عاصما للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ولا دمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم

Created by Universal Document Converter

يحرم ماله ولا دمه، فتبين بذلك أنه لا بد من اعتقاد وجوب عبادة الله وحده لا شريك له، ومن الإقرار بذلك اعتقادا ونطقا، ولا بد من القيام بعبودية الله وحده طاعة لله وانقيادا، ولا بد من البراءة مما ينافي ذلك عقلا وقولا وفعلا.

## (الشرح)

وأما حديث أُسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي كان يُقاتل المُشرك فرفع المُشركُ يدهُ وأعلن التوحيد فقتله أُسامة فزجره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رغم أن هذا المُشرك أعلن التوحيد، ولم يظهر منه سوى ذلك، فكيف نجمع بينه وبين قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هنا: **«من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبُد من دون الله حرُم مالهُ ودمه وحِسابُه على الله»**، الجواب: أنه إذا نطق الكافر بشهادة التوحيد يجب أن يتوقف عن قتله إذا كان مُحاربًا حتى يتبين أمره.

فإن تبيَّن أنه شهِد بالتوحيد لكنه لا زال على الشِرك وأن هذا التوحيد الذي نطق به ليس توحيدًا على الحقيقة هنا يثبُت أنه لم يدخل الإسلام، وإلا إذا ثبت أنه مُسلمٌ حقًا وان توحيدهُ حق فإنه في هذه الحالة يثبُت دخوله في الإسلام، وبالتالي لا يجوز الإقدام على قتلِه حتى يتبين هل هو صادقٌ في هذا النطق أم لا؟

وهذا الخطأ الذي وقع فيه أُسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأنكره عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشدَّد عليه النكير وقال: **«أشققت عن قلبِه حتى تعلم أنهُ قالها حقًا أم لا؟»** لا زال يُكررها يقول أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى تمنيت أنني أسلمت يومئذ من شدةِ نكير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه، ولا تعارض بينه وبين هذا الحديث لأن المقصود أنه يجب الامتناع طالما نطق بشهادة التوحيد حتى يظهر منه ما يُنافي هذه الشهادة وهو الشِرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

## (المتن)

ولا يتم ذلك إلا بمحبة القائمين بتوحيد الله وموالاتهم ونصرتهم، وبغض أهل الكفر والشرك ومعاداتهم، لا تغني في هذا المقام الألفاظ المجردة، ولا الدعاوى الخالية من الحقيقة، بل لا بد أن يتطابق العلم والاعتقاد والقول والعمل، فإن هذه الأشياء متلازمة متى تخلف واحد منها تخلفت البقية والله أعلم.

## (الشرح)

هذا والله أعلم وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وجزاكم الله خيرًا.

Created by Universal Document Converter

شرح

كتاب القول السديد في مقاصد التوحيد

للشيخ: "عبد الرحمن السعدي" رَحِمَهُ اللَّهُ

# ﴿بعض مظاهر الشرك﴾

لفضيلة الشيخ الدكتور

## مطلق الجاسر

- حفظه الله -

Created by Universal Document Converter

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

**الحمدُ للهِ، والصَلَاةُ والسَلام على رسُول الله وعَلى آلهِ وصحبهِ ومن والاهُ وبعدُ:-**

وصلنا بعد أن بيَّن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أهمية التوحيد، وفضل التوحيد، وتفسير التوحيد، وخُطورة الشِرك، سيُبيِّن من خلال هذا الباب الذي وقفنا عِنده والأبواب التي تليه، بعض المظاهر الشركِية التي تقدَح في جناب التوحيد، وتخدش يعني بُنيان التوحيد، والتي نبَّه عليها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويجب على المُسلم أن ينتبه لها وأن يحذرها، فبيَّن في هذا الباب، في قوله: بابٌ من الشِرك، لبسِ الحلقةِ والخيطِ ونحوهما برفع البلاء أو دفعهِ.

## (المتن)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوها لرفع البلاء أو دفعه

**وقول الله تعالى:** ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

وعن عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى رجلا في يده حلقة من صفر، فقال: **«ما هذه؟»** قال: من الواهنة؟ فقال: **«انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا»** رواه أحمد بسند لا بأس به.

وله عن عقبة بن عامر مرفوعا: **«من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له»**.

وفي رواية: **«من تعلق تميمة فقد أشرك»**.

## (الشرح)

نعم حديث عُمران بن حُصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ رأى رجلًا في يده حلقة من صُفر، يعني مثل السوار من صُفر أي من نُحاس، وكانوا يعتقدون قديمًا فيه اعتقادًا خاصًا أنه يُعالج من مرض يُسمى الواهنة، وهو مرض أو حالة تأتي للإنسان يهن فيها جِسمه يصير فيه وهن، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمَّا رآها قال: **«ما هذه؟»** قال من الواهنة، فقال: **«انزعها فإنها لا تزيدُك إلا وهنًا، فإنك لو مِتَّ وهي عليك؛ ما**

Created by Universal Document Converter

**أفلحت أبدًا»**، لماذا؟ لأنه خشي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يقدَح هذا الأمر في توحيد هذا الرجل وأن يُعلِّق قلبه بهذهِ الحلقة، بدلَ أن يُعلِقها بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن يعتقد أنها هي التي تشفي، ولذلك حذَره النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك.

كذلك **«من تعلَّق تميمةً فلا أتَّم الله له، ومن تعلَّق ودعةً فلا ودع الله له»**، وفي رواية: **«من تعلَّق تميمةً فقد أشرك»**، كذلك هذا من هذا الباب، وسيأتي الآن إن شاء الله في كلام الشارحِ ما يضبطُ ضابطٍ جيد.

## (المتن)

ولابن أبي حاتم عن حذيفة: أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمى، فقطعه وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦].

**فيه مسائل:**

**الأولى:** التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك.

**الثانية:** أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح، فيه شاهد لكلام الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر.

**الثالثة:** أنه لم يعذر بالجهالة.

## (الشرح)

قضية أنه لم يُعذر بالجهالةِ طبعًا هذه المسألة فيها تفصيل، وخُلاصة ما عليه الحنابلة رحمة الله عليهم التفصيل في قضية العُذر بالجهل بين الأمر الظاهر الواضِح، والأمر الخفي الذي قد يخفى، فيُعذر في الأمر الخفي لاسيما في بلدٍ مثلاً لا يوجد فيه من يُوضِح له الحق، أو بلد رُبما يكثُر فيه الباطل كثرةً لا يستطيع الإنسان من خلالها أن يصل إلى الحق بسهولة ونحو ذلك، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو أعلم بمن يُعذر.

**أما الأمر الظاهِر** أو يكون في بلد لا يخفى عليه هذا عادةً فهذا لا يُعذر، حتى الإطلاق الذي أطلقه هُنا الشيخ أنه لم يُعذر بالجهل بيَّن المُحقق أن هذا يعني أن للشيخ عِبارة أخرى تدل على أنه لا يقصد الإطلاق، فقد نقل هُنا عنه في مؤلفاته في مجموعِ مؤلفاته قال: وأما ما ذكر الأعداء عني أني أُكفِّر بالظن وبالموالاة، أو أُكفِّر الجاهل الذي لم تقُم عليه الحُجة فهذا بُهتانٌ عظيم، هو ينفي هذا عن نفسه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذا يدل على أنه يعذر بالجهل في المسائِل الخفية.

Created by Universal Document Converter

**الحادية عشرة:** الدعاء على من تعلق تميمة أن الله لا يتم له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له، أي ترك الله له.

## (الشرح)

**طبعًا التميمة والودعة الفرق بينهما:** أن التميمة هي عبارة عن رُقعة أو ورقة يُكتب فيها بعض الأدعية، ويُكتب فيها بعض المسائل يعني دعوات أو رُقى، وهي مُختلف، والأمر في قضية التميمة في القرآن الكريم أخَّف إذا كان المكتوب فيها أخَّف، رُويَ لذلك عن بعض الصحابة.

أما إذا كان في عبارات أُخرى غير القرآن هذا الذي فيه إشكال أو فيه اعتقاد خاص أن هذه التميمة تنفع وتضر، هُنا الإشكال، **أما الودعة:** فهذا نوع من الحِجارة، الودع نوع من الحِجارة يُعلَّق ويُظنُ به أنه ينفع أو يضر.

## (المتن)

قال الشارح رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: باب: من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وهذا الباب يتوقف فهمه على معرفة أحكام الأسباب.

**وتفصيل القول فيها:** أنه يجب على العبد أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور:

## (الشرح)

وهذه مُهمة يا إخوان، التفصيل الذي ذكره الشيخ هنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تفصيلٌ جليل في التعامل مع الأسباب عمومًا، الأسباب التي يتخذُها الإنسان في تطَلُّب نفع أو دفع ضرر كثيرة جدًّا، مثل الأدوية، مثل يعني كُل الوسائل التي تؤدي إلى الإنسان، التي يستعين بها للحصول إلى مطلوبٍ ما، من جلبِ نفعٍ أو دفع ضُر.

**هذه الأسباب:** يجب أن تتعامل معها وفق هذه الضوابط الثلاثة التي تحكم علاقتك مع هذه الأسباب، سواء كانت أدوية أو رُقى، أو نحو ذلك ينبغي أن تخضع لهذه الضوابط، فما هي هذه الضوابط؟

## (المتن)

**أحدها:** أن لا يجعل منها سببا إلا ما ثبت أنه سبب شرعًا أو قدرًا.

Created by Universal Document Converter

## (الشرح)

**أولًا:** أن يثبت أنه سبب أصلًا، سواء كان هذا الثبوت من الناحية القدرية يعني التجربة مثلاً، هذا الدواء جُرِّب فوُجِدَ أنه نافع، أو اختُبر فوُجدَ أنه نافع، أو الناحية الشرعية مثل الرُقى والأدعية التي وردت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأمراض أو الآلام كقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إذا تألمت فضع يدك على ما تألَّم من جسدِك ثم قُل ثلاثًا: بسم الله، بسم الله، بسم الله، ثم قُل سبع مرات: أعوذ بعِزة الله وقُدرته من شرِ ما أجد وأحاذر**»، هذا سبب ثبت أنه سبب شرعي، وإذا ثبت أنه سبب شرعي أو قَدرِي يجوز الأخذُ به.

**أما شيء لم يثبت أنه سبب قدري أو شرعي:** مثل إنسان على سبيل المثال أتى بخيط مثلاً خيط وقال أنا هذا الخيط أتفائل به، إذا أُصبت بالحُمى أعقد خُنصري بهذا الخيط مثلاً، وسأطيب إن شاء الله، نقول له هذا لا يجوز، لماذا؟ لأن هذا الخيط أنت اتخذته سببًا لعِلاج الحُمى، هل هو سبب قدري؟ هل من الطِب، أثبت الطِب مثلاً أن عقدَك للخِنصر يُشافي من الحمى؟ إذا ثبت ما عندنا مُشكلة اربطها، ما في مُشكلة، إذا ما ثبت، **نقول:** هل ثبت شرعًا أن من علاج الحُمى ربط الخُنصر؟ إذا لم يثبت لا قدرًا -يعني دنيويًا وتجريبيًا-، ولا شرعًا؛ فلا يجوز أن تتخذه سببًا، مهما كان هذا السبب.

**من أمثلة ذلك:** ما يُضع في بعض البُيوت أو المحلات في بعض البلدان من العيون الزرقاء مثلاً التي يزعمون أنها تطرد الحسد أو تطرد العين مثلاً، وهذا لا يجوز لأنه لم يثبُت لا قدرًا ولا شرعًا أن هذه العُيون الزرقاء أو اللوحات الزرقاء وما أدري لماذا أزرق، لا أدري لماذا زرقاء، لكن هكذا تُعرِّف عليها، فهذه لا يجوز تعليقها؛ لأنها لم يثبُت أنها سبب شرعي، ولا سبب قدري، لطرد العين مثلاً فلماذا عُلِّقت؟

ولا يُستبعد أن يكون ذلك بل قد قرأته بنفسي في بعض كُتب أهل التنصير في مؤتمر أُقيم في كلورادو في أمريكا في السبعينات الميلادية، وطُبعت محاضر هذا المؤتمر التنصيري الكبير، كان من ضِمن ما قرأته بعيني **قالوا:** يجب أن نُرسِّخ هذه المفاهيم في قُلوب العامة، وأذكر وضعوا صُور لمثل هذا، العين الزرقاء، وكذا، وقال هذا يجب أن يُبث وأن يُعلَّق الناس بمثل هذه الأمور والخُزعبلات، فالقضية يعني ليس عبثية.

هناك أُناس تدعم مثل هذه الأمور، تدعم البدع، تدعم الشِركيات، تدعم أهل البِدع، لمآرب هم يرونها، لذلك ينبغي أن يُنتبه لمثل ذلك، إذًا هذا هو الأمر الأول، أن يكون السبب هذا ثابت شرعًا أو قدرًا.

Created by Universal Document Converter

## (المتن)

**ثانيها:** أن لا يعتمد العبد عليها، بل يعتمد على مسببها ومقدرها، مع قيامه بالمشروع منها، وحرصه على النافع منها.

## (الشرح)

إذا ثبت أنه سبب قدري أو شرعي؛ يجب عليك ألا تربط قلبك به، وإنما اربط قلبك بالمُسبب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مُسبب الأسباب لا بالسبب، وتعتقد أن هذا السبب وسيلة، وأن مُسبب الأسباب والشافي حقيقةً هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإذا تعلق قلبُك بالسبب هنا أصبح عندك خدش في تعلقك بالله، خدش بالتوحيد، وهذا أمر ينبغي أن يتعهد الإنسان فيه نفسه، حتى لو كان الرُقية الشرعية، حتى لو كان القرآن الكريم والرُقية الشرعية والعِلاج، هذا تستعمله، لكن تُعلِّق قلبك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتدعو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتتوكل عليه، ثم بعد ذلك تنظر في الأسباب الشرعية أو القدرية التي تجلب لك النفع أو تدفع عنك الضر.

## (المتن)

**ثالثها:** أن يعلم أن الأسباب مهما عظمت وقويت فإنها مرتبطة بقضاء الله وقدره لا خروج لها عنه، والله تعالى يتصرف فيها كيف يشاء إن شاء أبقى سببيتها جارية على مقتضى حكمته ليقوم بها العباد، ويعرفوا بذلك تمام حكمته، حيث ربط المسببات بأسبابها والمعلولات بعللها، وإن شاء غيرها كيف يشاء لئلا يعتمد عليها العباد، وليعلموا كمال قدرته، وأن التصرف المطلق والإرادة المطلقة لله وحده، فهذا هو الواجب على العبد في نظره وعمله بجميع الأسباب.

## (الشرح)

نعم هذا الأمر الثالث، وهو بعد أن تعرف أنه سبب شرعي أو قدري ثم لا تُعلِّق قلبك به.

**الأمر الثالث:** أن تعلم أنه ليس بالضرورة أن يحصل ما تُريد، ليس بالضرورة أنك إذا شربت الدواء أن تُشفى، أو إذا أخذت السبب أن يحصل لك، ليس أمرًا حتميًا لأن الأمر خاضع لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إن شاء سبحانه أن يُبطل مفعول السبب لأبطل كما أبطل مفعول النار لما وقع فيها إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع أنها سبب للحرق، لكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعلها بردًا وسلامًا، ولذلك هذا الأمر الثالث له تعلُق بالأمر الثاني وهو

Created by Universal Document Converter

تعلق القلب بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى لا بالسبب، ويترتب على ذلك أن تعتقد أن هذا السبب ليس بالضرورة ان يحصل ما تُريد، وهنا مسألة من ضِمن الأسباب الدُعاء.

الدعاء سبب من الأسباب الجالبة للنفع والدافعة للضُر، بعض الناس يقع في إشكال بالنسبة للدعاء يقول أنا دعوت ودعوت ولكن لم يستجب الله عَزَّ وَجَلَّ لي، سنوات وأنا أدعو بالأمر الفُلاني، سنوات وأنا مريض مثلاً وأدعو الله لي بالشفاء لكن الله عَزَّ وَجَلَّ ما شفاني، وبعضهم يصل إلى اليأس، ويصل إلى الشك والعياذ بالله في وجود الله أحيانًا، لماذا؟ قال لأن الدعاء أنا دعوت والله ما استجاب لي.

**نحن نقول:** أن أولًا الأسباب ليس بالضرورة أن يحصل ما رُجي منها ليس بالضرورة، هذا أولًا.

**ثانيًا:** الدُعاء وعدنا فيهِ ربُنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَى بالإجابة صحيح، لكن الإجابة لها ثلاثة أشكال، ليس لها شكل واحد، قد يستجيب الله عَزَّ وَجَلَّ لك ويُحقق لك ما دعوت به حرفيًا، هذا النوع الأول.

أو قد لا يُعطيك الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى ما دعوت به حرفيًا لكن يدفع عنك من الشر بمقدار ما دعوت، يكون أنت مثلاً دعوت الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرزقك وظيفةً مُعينة، قدَّمت على وظيفة، ثم جلست تدعو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى أن يُيسِّر لك هذه الوظيفة لكنها لم تتيسر، ولم تتوظف في هذه الوظيفة؛ لكن دعاؤك هذا كان سببًا لصدِّ حادثٍ كان قد قُدِّر لك، لكنك ما تعلم، ما تدري ما كان أنه كان يُقدَّر لك حادث، ولولا دعاؤك لما قُدِّر.

**أو وهذا الأمر الثالث:** أن يدَّخر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى لك من الأجور بمقدار ما دعوت في الآخرة، فأنت لن تخسر شيئًا، كل ما في الأمر أنك في الاستجابة الثانية، والاستجابة الثالثة لن تشعر أنه قد استُجيب لك، ما تدري، بدفع الضر ما تدري ما كان مقدَّر لك ضر ثُم دُفِع، أو بالأجر ما تدري أنك قُدِّر لك أجر يوم القيامة، أنت فقط تُريد النوع الأول تريد تحقيق ما قصدت، وينبغي أن تعلم أنه قد يكون فيما دعوت به شر لك.

كم من شخص يسأل الله ويدعو بأمر ويُلِّح في الدُعاء يُريده ولا يعلم أن هذا الأمر شرٌ له، هو في ظاهره يعلم أنه خير، قد مثلاً يدعو بالزواج من امرأة مُعينة أو يدعو بالوظيفة في وظيفة مُعينة، ويدعو ويُلِّح ولا يدري أن الزواج بهذه المرأة سببُ تعاسته، أو الوظيفة هذه سببُ تعاسته، لذلك ثق بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، واعلم أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى إن دعوته فإنه سيستجيبُ لك، لكن ليس بالضرورة أن تظهر الاستجابة على

Created by Universal Document Converter

شكل ما دعوت به حقيقةً، هذا خيار ممكن يحصل، لكن ليس بالضرورة، فإن لم يحصُل وإن لم تره بعينك لا تقل الله لم يستجب لي، بل قُل لعله قد صرف عني من الشر أو لعله قد أعطاني سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بدل هذا من الخير ولعل ما دعوت به فيه شرٌ لي، فأنا صُرفت عنه، أهم شيء لا تتوقف عن الدُعاء.

فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل»، قالوا وكيف يعجل يا رسول الله؟ قال: «يدعو ويدعو حتى يقول: قد دعوت ودعوت فلم يُستجب لي، فيستحسِر عند ذلك ويدع الدُعاء»، هذا لن يستجيب الله عَزَّ وَجَلَّ له، فهذا أمرٌ مُهم ينبغي أن يُنتبه له.

## (المتن)

إذا علم ذلك فمن لبس الحلقة أو الخيط أو نحوهما قاصدا بذلك رفع البلاء بعد نزوله، أو دفعه قبل نزوله فقد أشرك ؛ لأنه إن اعتقد أنها هي الدافعة الرافعة فهذا الشرك الأكبر.

وهو شرك في الربوبية حيث اعتقد شريكا مع الله في الخلق والتدبير.

وشرك في العبودية حيث تأله لذلك وعلق به قلبه طمعا ورجاء لنفعه، وإن اعتقد أن الله هو الدافع الرافع وحده ولكن اعتقدها سببا يستدفع بها البلاء، فقد جعل ما ليس سببا شرعيا ولا قدريا سببا، وهذا محرم وكذب على الشرع وعلى القدر.

**أما الشرع:** فإنه ينهى عن ذلك أشد النهي، وما نهى عنه فليس من الأسباب النافعة.

**وأما القَدَر:** فليس هذا من الأسباب المعهودة ولا غير المعهودة التي يحصل بها المقصود، ولا من الأدوية المباحة النافعة.

وكذلك هو من جملة وسائل الشرك؛ فإنه لا بد أن يتعلق قلب متعلقها بها، وذلك نوع شرك ووسيلة إليه.

## (الشرح)

نعم الخيط والواهنة التي توضع للواهنة والخيط الذي يُوضع والسِوار ونحو ذلك، خاضعة لهذه الضوابط، فنقول: هل هذا السوار سبب شرعي؟ الجواب لا، لا يوجد دليل شرعي، بل الشرع ينهى عنه، هل هو سبب قدري؟ أيضًا لا، إلا إذا ثبت طبيًا أن هُناك مثلاً كما يقولون بعض الأسورة تضغط على

Created by Universal Document Converter

أعصاب مُعينة أو نحو ذلك، إذا صحَّ ذلك فلا بأس لأنه أصبح سببًا قدريًا، إذا صحَّ وثبت أنه فعلًا يُوضع هنا جِهاز مثلاً أو يعني سوار طِبي يضغط ويُعالج لو ثبت أنه علاج فعلًا فالأمر يختلف.

**المقصود بالشِرك هنا:** إذا لم يثبت أنه لا علاج طبي، ولم يثبت شرعًا؛ فهنا لا يجوز ويُصبحُ إما شِركًا أكبر إذا اعتقد فيه ما يُصرف لله عَزَّ وَجَلَّ، أما إذا ما اعتقد يقول لا أنا ما أعتقد أنه، لكن أنا أُعلِّق قلبي بالله؛ نقول لا، هذا شِرك أصغر، لماذا تُعلِّقه؟ ليس هو وسيلة شرعية ولا وسيلة قدرية فلماذا تُعلِقه قد يكون ذريعةً إلى الشِرك.

## (المتن)

فإذا كانت هذه الأمور ليست من الأسباب الشرعية التي شرعها على لسان نبيه التي يتوسل بها إلى رضاء الله وثوابه، ولا من الأسباب القدرية التي قد علم أو جرب نفعها مثل الأدوية المباحة كان المتعلق بها متعلقا قلبه بها راجيا لنفعها، فيتعين على المؤمن تركها ليتم إيمانه وتوحيده؛ فإنه لو تم توحيده لم يتعلق قلبه بما ينافيه، وذلك أيضا نقص في العقل حيث التعلق بغير متعلق ولا نافع بوجه من الوجوه، بل هو ضرر محض.

والشرع مبناه على تكميل أديان الخلق بنبذ الوثنيات والتعلق بالمخلوقين، وعلى تكميل عقولهم بنبذ الخرافات والخزعبلات، والجد في الأمور النافعة المرقية للعقول، المزكية للنفوس، المصلحة للأحوال كلها دينيها ودنيويها والله أعلم.

### باب ما جاء في الرقى والتمائم.

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **"أنه كان مع رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في بعض أسفاره، فأرسل رسولا أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر، أو قلادة إلا قطعت"**

## (الشرح)

قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن أبي بشير الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **"أنه كان مع رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في بعض أسفاره، فأرسل رسولًا أن لا يبقيَّن في رقبة بعيرٍ قلادةٌ من وتر، أو قلادةٌ "**، هذا شكٌ من الراوي، يعني هل ذكر قلادةً من وتر أو أطلق قلادة مُطلقة هكذا؟ وهذه القلادة المقصودة بالحديث أنه **"لا يبقيَّن في رقبة بعيرٍ قلادةٌ من وتر، أو قلادةٌ إلا قُطعت"**.

Created by Universal Document Converter

قال أبو عُبيد: القاسم بن سلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابهِ **"غريب الحديث"**، قال: **"كانوا يُقلِّدون الإبل الأوتار"** يعني مثل القِلادة، يُعلِّقون على الناقة حبل مثلًا وتر لئلا تُصيبها العين، عندهم اعتقاد أن هذا الخيط يمنع العين عن البعير.

قال: **"فأمرهم النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بإزالتها"**، لأنه ليس سببًا شرعيًا ولا سببًا قدريًا فلا يجوز التعلُق به.

## (المتن)

**وعن ابن مسعود قال:** سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«إن الرقى والتمائم والتولة شرك»** رواه أحمد وأبو داود.

## (الشرح)

قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **«إن الرقى والتمائم والتولة شرك»**، قال الإمام الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الرُقى، قال: **"المُرادُ به ما كان بغير لسان العرب، فلا يُفهم معناه ولعله قد يكون فيه سِحرٌ أو نحو من المحظُور"**، فالرُقى ليست كُلها ممنوعة، الرقى كما لا يخفى منها المشروع ومنها الممنوع، والمقصود بالحديث هُنا الرُقى الممنوعة، وهي ما إذا كانت بغير لسان العرب، أو بكلام لا يُفهم طلاسم ونحو ذلك، أو يكون فيه نوعٌ من الشِرك، دُعاء غير الله عَزَّ وَجَلَّ أو نحو ذلك، هذا هو المقصود، أما الرُقى الشرعية فغير داخلة في الحديث، كذلك التمائم، التمائم سيأتينا تعليق الشيخ.

## (المتن)

**وعن عبد الله بن عكيم مرفوعا: «من تعلق شيئا وكل إليه»** رواه أحمد والترمذي.

**"التمائم"**: شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه. منهم ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

## (الشرح)

نعم ورد عن السلف بعض السلف بعض الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جواز تعليق التميمة من القرآن، يعني الطفل الصغير يُعلَّق على رقبته قلادة مثلًا أو نحو مكتوب فيها آيات مثلًا، أو كما تفعل بعض النساء عندها قلادة من ذهب فيها قرآن مكتوب فيها، هذا رخَّص فيه بعض السلف وبعضهم نهى، فالمسألة فيها خلافٌ بين السلف، ورد عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ النهي عن ذلك مُطلقًا، مطلق تعليق التميمة.

Created by Universal Document Converter

## (المتن)

و"**الرقى**": هي التي تسمى العزائم، وخص منها الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين والحمة.

## (الشرح)

العين معروفة، والحمة: قرصة النملة، نوع من النمل قرصته يُرقى منها.

## (المتن)

و"**التولة**": هي شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

وروى أحمد عن رويفع، قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا رويفع، لعل الحياة تطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلد وترا، أو استنجى برجيع دابة أو عظم، فإن محمدا بريء منه**».

**وعن سعيد بن جبير قال: "من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة"** رواه وكيع.

**وله عن إبراهيم قال: "كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن"**.

## (الشرح)

نعم، لكن الصحيح أن التمائم الشرعية، هذا عفوًا التمائم فيها خلاف كما قُلنا بين السلف، لكن بالنسبة للرُقى الصحيح كما قُلنا أن منها ما هو مشروع، في القُرآن أو ما ثبت في السُنة، أو ما كان معناه صحيحًا، ومنها ما هو ممنوع.

## (المتن)

**فيه مسائل:**

**الأولى:** تفسير الرقى والتمائم.

**الثانية:** تفسير التولة.

**الثالثة:** أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء.

**الرابعة:** أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك.

**الخامسة:** أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء هل هي من ذلك أم لا؟

**السادسة:** أن تعليق الأوتار على الدواب من العين من ذلك.

Created by Universal Document Converter

**السابعة:** الوعيد الشديد على من علق وترا.

**الثامنة:** فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان.

**التاسعة:** أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف؛ لأن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود.

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : **باب ما جاء في الرقى والتمائم.**

## (الشرح)

يعني كلام إبراهيم طبعًا هذا إبراهيم النخعي، كانوا يكرهون ليس كُل السلف، يقصد أصحاب عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وليس المقصود كُل السلف.

## (المتن)

أما التمائم فهي: تعاليق تتعلق بها قلوب متعلقيها، والقول فيها كالقول في الحلقة والخيط كما تقدم.

**فمنها:** ما هو شرك أكبر كالتي تشتمل على الاستغاثة بالشياطين أو غيرهم من المخلوقين، فالاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك كما سيأتي إن شاء الله.

**ومنها:** ما هو محرم كالتي فيها أسماء لا يفهم معناها؛ لأنها تجر إلى الشرك، وأما التعاليق التي فيها قرآن أو أحاديث نبوية أو أدعية طيبة محترمة فالأولى تركها لعدم ورودها عن الشارع، ولكونها يتوسل بها إلى غيرها من المحرم؛ ولأن الغالب على متعلقها أنه لا يحترمها ويدخل بها المواضع القذرة.

## (الشرح)

**وقُل مثل ذلك:** في تعليق الآيات في البيوت، والأماكن، تعليق الآيات، آية الكُرسي أو سورة الفاتحة أو نحو ذلك، فهذه الكلام فيها مثل الكلام هُنا نقول الأولى تركها لماذا؟ لأنه قد لا تُحترم هذه الآيات المُعلقة، قد يحدث في هذا المجلس ما لا يُرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، رغم وجود قرآن مُعلَّق، فالأولى تركها ولا نقول حرام لكن الأولى تركُها.

## (المتن)

فإن كانت من القرآن أو السنة أو الكلام الحسن، فإنها مندوبة في حق الراقي؛ لأنها من باب الإحسان، ولما فيها من النفع، وهي جائزة في حق المرقي، إلا أنه لا ينبغي له أن يبتدئ بطلبها، فإن من كمال توكل العبد وقوة يقينه أن لا يسأل أحدا من الخلق لا رقية ولا غيرها، بل ينبغي إذا سأل أحدا أن يدعو له أن يلحظ

Created by Universal Document Converter

مصلحة الداعي والإحسان إليه، بتسببه لهذه العبودية له مع مصلحة نفسه، وهذا من أسرار تحقيق التوحيد ومعانيه البديعة التي لا يوفق للتفقه فيها والعمل بها إلا الكمل من العباد.

وإن كانت الرقية يدعى بها غير الله ويطلب الشفاء من غيره، فهذا هو الشرك الأكبر؛ لأنه دعاء واستغاثة بغير الله.

فافهم هذا التفصيل، وإياك أن تحكم على الرقى بحكم واحد مع تفاوتها في أسبابها وغاياتها.

## (الشرح)

والرُقى فيها تفاصيل كثيرة في شروطها وأنواعها الواردة في السُنة لها ست أنواع مشروعة من طُرق الرُقية، وقد فصَّلت فيها مُحاضرة بعُنوان الرُقية الشرعية أحكامٌ وآداب، فمن أراد التفصيل فليرجع إليها.

## (المتن)

### باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما.

**وقول الله تعالى:** ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٣].

**عن أبي واقد الليثي قال:** خرجنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، **يقال لها:** ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الله أكبر إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى»** : ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] **«لتركبن سنن من كان قبلكم»**، رواه الترمذي وصححه.

## (الشرح)

نعم، هذا الحديث حديث أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنهم خرجوا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى حُنين، وهذا بعد فتح مكة، وكما تعلمون أن قد أسلم بعد فتح مكة عدد كبير من أهل مكة لذلك قال: ونحن حُدثاءُ عهدٍ بكُفرٍ، وللمُشركين سِدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، المُشركون لهم سِدرة (شجرة)، كانوا يتبرَّكون بها، يعكفون عندها ويعتقدون أن لها خاصية مُعينة، وأن فيها بركة، وينُوطون بها

Created by Universal Document Converter

أسلحتهم يعني يُعلِّقون أسلحتهم بها، ظنًا منهم أن هذا التعليق سيجعل الأسلحة أكثر قوةً أو أنهم سينتصرون، فهذا المنظر شدَّ بعض الصحابة، وتمنوا لو كان عندهم مثل هذه الشجرة فاستأذنوا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط (يعني شجرة) كما لهم ذاتُ أنواط، أعجبهم المنظر، قالوا نريد أن نفعل مثلهم.

فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الله أكبر»، وفيه جواز أو مشروعية التكبير عند التعجُّب، أو عند قولِ أمرٍ مهم، فهو النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من كبَّر، قال الله أكبر، لأنه تعجَّب من هذا الكلام واستعظمه، «إنها السُنن»، يعني هذه السُنن الكونية في أنكم ستتبعون من كان قبلكم، قُلتم، يعني هذه إنها السُنن هي مثل كلمة التاريخ يُعيد نفسه، أو أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُعيد التاريخ، «قُلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى» : ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

بنو إسرائيل لمَّا عبروا مع موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وجدوا أقوام يعكفون على أصنامٍ لهم فقالوا لموسى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «لتركَبُنَّ سَننَ من كان قبلكم»، رواه الترمذي وصححه.

ومن أمثلة هذا الأمر في واقعنا المُعاصِر في هذه الشجرة ذات الأنواط ما يفعله بعض المُسلمين مع الأسف تقليدًا لبعض الكُفَّار مما يُسمى بشجرة الأمنيات، أو جدار الأمنيات، وهذا مع الأسف تسرَّب إلى بعض أبنائِنا وبناتنا كما قد وُجد في بعض المدارس قريبًا أنهم علَّقوا أُمنيات يكتبون ورقة، كل واحد يكتب أُمنية، ثم يربطها في حبل ثم يُعلقها في شجرة وهذا قد رأيناه من بعض الكُفَّار يفعلونه في بُلدانهم، ومع الأسف تسرَّب إلى بعضِ بُلدان المُسلمين وبعضهم يفعلونها بحُسن النية.

وهذا شبيه بهذا الحديث ذات أنواط، يعتقدون أن تعليق الأمنية على هذه الشجرة أو على هذا الجِدار سيُحققها، وهذا لم يثبت أنه سببٌ لا شرعيٌ ولا قدري، من أراد شيئًا فليرفع يديه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وليدعو، لذلك لا يجوز مثل هذه الأفعال، وينبغي أن يُحذَر من مثل هذه الأمور، في أن تتسرب إلى أبنائنا وبناتنا وليُنتبه من ذلك.

Created by Universal Document Converter

## (المتن)

**فيه مسائل:**

**الأولى:** تفسير آية النجم.

**الثانية:** معرفة صورة الأمر الذي طلبوا.

**الثالثة:** كونهم لم يفعلوا.

**الرابعة:** كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك لظنهم أنه يحبه.

**الخامسة:** أنهم إذا جهلوا هذا، فغيرهم أولى بالجهل.

## (الشرح)

نعم يعني هم طلبوا هذا الطلب وهم في حضرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فما بالُك بغيرهم، فلا شكَ أن الأمر أشَّد.

## (المتن)

**السادسة:** أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم.

**السابعة:** أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعذرهم بل رد عليهم بقوله: **«الله أكبر إنها السنن لتتبعن سنن من كان قبلكم»** فغلظ الأمر بهذه الثلاث.

## (الشرح)

طبعًا هذا قد يكون فيه نظر، أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لم يعذُرهم، لا، هو بيَّن لهم، ليس القضية في إعذار أو غير إعذار، هو بيَّن لهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنها السُنن: **«لتتبعُّن سَننَ من كان قبلكم»**، وليس فيه أنه لم يعذرهم أو أنه عذرهم، هو بيَّن لهم فقط عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، هو أنزل عليهم عقوبة مُعينة نقول نعم، هو لم يعذرهم، لكن لم يُعاقبهم النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

## (المتن)

**الثامنة:** الأمر الكبير- وهو المقصود- أنه أخبر أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ [الأعراف: ١٣٨].

**التاسعة:** أن نفي هذا من معنى **"لا إله إلا الله"** مع دقته وخفائه على أولئك.

Created by Universal Document Converter

**العاشرة:** أنه حلف على الفتيا وهو لا يحلف إلا لمصلحة.

**الحادية عشرة:** أن الشرك فيه أكبر وأصغر؛ لأنهم لم يرتدوا بهذا.

**الثانية عشرة:** قولهم: "**ونحن حدثاء عهد بكفر**" فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك.

**الثالثة عشرة:** التكبير عند التعجب خلافا لمن كرهه.

**الرابعة عشرة:** سد الذرائع.

**الخامسة عشرة:** النهي عن التشبه بأهل الجاهلية.

**السادسة عشرة:** الغضب عند التعليم.

**السابعة عشرة:** القاعدة الكلية؛ لقوله: «**إنها السنن**».

**الثامنة عشرة:** أن هذا علم من أعلام النبوة لكونه وقع كما أخبر.

**التاسعة عشرة:** أن كل ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا.

**العشرون:** أنه مقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر. أما: "**من ربك**"،فواضح، وأما"**من نبيك**"، فمن إخباره بأنباء الغيب، وأما "**ما دينك**"فمن قولهم: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ [الأعراف: ١٣٨]، إلى آخره.

**الحادية والعشرون:** أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين.

**الثانية والعشرون:** أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة؛ لقولهم: "**ونحن حدثاء عهد بكفر**".

**قال الشارح: باب: من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما.**

أي فإن ذلك من الشرك ومن أعمال المشركين، فإن العلماء اتفقوا على أنه لا يشرع التبرك بشيء من الأشجار والأحجار والبقع والمشاهد وغيرها، فإن هذا التبرك غلو فيها، وذلك يتدرج به إلى دعائها وعبادتها، وهذا هو الشرك الأكبر كما تقدم انطباق الحد عليه، وهذا عام في كل شيء حتى مقام إبراهيم وحجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصخرة بيت المقدس وغيرها من البقع الفاضلة.

وأما استلام الحجر الأسود وتقبيله، واستلام الركن اليماني من الكعبة المشرفة، فهذا عبودية لله وتعظيم لله وخضوع لعظمته، فهو روح التعبد.

Created by Universal Document Converter

فهذا تعظيم للخالق وتعبد له، وذلك تعظيم للمخلوق وتأله له.

فالفرق بين الأمرين كالفرق بين الدعاء لله الذي هو إخلاص وتوحيد، والدعاء للمخلوق الذي هو شرك وتنديد.

والله أعلم وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد.

Created by Universal Document Converter

شرح

كتاب القول السديد في مقاصد التوحيد

للشيخ: "عبد الرحمن السعدي" رَحِمَهُ اللَّهُ

# ﴿الذبح لغير الله تعالى﴾

لفضيلة الشيخ الدكتور

## مطلق الجاسر

- حفظه الله -

Created by Universal Document Converter

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

**الحمدُ للهِ، والصَلَاةُ والسَلام على رسُول الله وعَلى آلِهِ وصحبهِ ومن والاهُ وبعدُ:-**

فوصلنا في هذا الكتاب **"القول السديد في مقاصد التوحيد"** للشيخ عبد الرحمن الساعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى باب ما جاء في الذبح لغير الله تعالى.

## (المتن)

**بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، اللّٰهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين.**

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **باب ما جاء في الذبح لغير الله.**

**وقول الله تعالى:** ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

**وقوله:** ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢].

عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: حدثني رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأربع كلمات: **"لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثا، لعن الله من غير منار الأرض"** رواه مسلم.

وعن طارق بن شهاب أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب»**، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: **«مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئا، فقالوا لأحدهما: قرب، قال: ليس عندي شيء أقرب، قالوا له: قرب ولو ذبابا، فقرب ذبابا فخلوا سبيله، فدخل النار وقالوا للآخر: قرب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله، فضربوا عنقه، فدخل الجنة»** رواه أحمد.

## (الشرح)

هذا الباب في ما جاء في الذبحِ لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والذبح وهو النُسك كان ولا وزال أحد أنواع العبادات التي يتقرب لها الناس إلى معبوداتهم، وقد كان أهل الأديان قديمًا يذبحون ويُقرِّبون القرابين لآلهتهم ومعبوداتهم، وقد حرَّم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يُذبح لغير الله، بل هو الشِرك أقرب وهو شِرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إذا قصد بهذه الذبيحة التقرُّب إلى المذبوح له، فهذا لا شك أنه شِرك، وقد قال الله

Created by Universal Document Converter

تحمي حُقوق الناس فتجد من لا يخاف الله يعني يتوسع في أرضه لليمين قليلًا أو لليسار، وهذا ملعون والعِياذ بالله.

الحديث الذي بعده رواه الإمام أحمد رحمة الله عليه، وقد اختُلف في تصحيح هذا الحديث، واختُلف قبل ذلك في رفعه ووقفه، وهذا الحديث بيَّن فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أن رجلًا الجنة في ذبابة، ورجلًا دخل النار في ذُبابة»، قالوا كيف ذل يا رسول الله؟ قال: «مرَّ رجلان على قومٍ لهم صنم لا يجُوزهُ»، يعني لا يسمحون لأحد أن يتعدى هذا الصنم لا يتعداه، «لا يجوزُه أحدٌ حتى يُقرِّب له شيئًا»، تعظيمًا لهذا الصنم، «فقالوا لأحدهما قرِّب»، اذبح قربان يعني، «فقال ليس عندي شيء أُقربه، قالوا له قرِّب ولو ذُبابًا، فقرَّب ذُبابًا؛ فخلَّوا سبيله فدخل النار، وقالوا للآخر: قرِّب، فقال: ما كُنت لأقرِّب لأحدٍ شيئًا دون الله عَزَّ وَجَلَّ، وأبى فضربوا عُنقه فدخل الجنة»، رواه أحمد.

**هذا الحديث قد يرد عليه أمور:**

**أولًا:** ألا يُعذَر المُكره على الشِرك وعلى الكُفر؟ الجواب نعم يُعذر؛ لكن الجواب على ذلك أن الأول لم يفعل هذا الأمر وهو الذبح لغير الله ولو كان ذُبابة على سبيل الإكراه وإنما لتساهُله وقِلة ديانته قرَّب لهذا الصنم ولم يكن في الحقيقة مُكرهًا، لو كان مُكرهًا لما استحق دخول النار؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، فدلَّ ذلك على أن هذا الرجل لم يكن مُكرهًا حقيقةً بل فعل ذلك لقلةِ ديانته، ولتساهُله في الشِرك.

**الأمر الثاني:** أن الإنسان صحيح أنه إذا أُكرِه على الكُفر وهُدِّد بالقتل في حالٍ لم يكفر أو لم يفعل هذا المُكفِّر، لكن العُلماء نصوا ومنهم الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ على أن الصبر على القتل في سبيل الله وألا يفعل الكُفر خير ومستحب وأمرٌ فاضل، وأنه سيُجازى عليه إن شاء الله جزاءً عظيمًا، لكن له رُخصة، له رُخصة في أن لا يرتكب هذا المكفِّر الذي هُدِّد في حال إذا لم يفعلهُ.

## (المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فيه مسائل:

**الأولى:** تفسير ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام: ١٦٢].

**الثانية:** تفسير ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

Created by Universal Document Converter

**الثالثة:** البداءة بلعنة من ذبح لغير الله.

**الرابعة:** لعن من لعن والديه، ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك.

**الخامسة:** لعن من آوى محدثا، وهو الرجل يحدث شيئا يجب فيه حق الله، فيلتجئ إلى من يجيره من ذلك.

**السادسة:** لعن من غير منار الأرض، وهي المراسيم التي تفرق بين حقك وحق جارك من الأرض فتغيرها بتقديم أو تأخير.

**السابعة:** الفرق بين لعن المعين ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم.

## (الشرح)

نعم، فلا يلزم من لعن الصفة لعنُ المُعينين، يعني لما لعن الله من ذبح لغير الله، أو لعن الله من لعن والديه، أو لعن الله من غير منار الأرض مثلاً؛ لا يعني أنك إذا رأيت رجلًا يُغير منار الأرض أن تقول: لعنة الله عليك، لا يلزم، بل لا يجوز لماذا؟لأمك لم تتأكد بعد أن هذا الرجُل فعلًا معذور أو غير معذور، ربما يكون جاهل، ربما ظننت أنه يُغير منار الأرض، وهو في الواقع ردَّ حقًا مسلوبًا مثلاً.

**المقصود:** المُسارعة إلى اللعن لعن المُعيَّن لا تجوز لأن هناك على الشخص الواحد مُلابسات كثيرة، ربما يكون معذورًا، ربما لم ترى الحقيقة، ربما توهمت، ربما هُناك مانع، ربما هناك شرط لم يتحقق، أشياء كثيرة، لذلك نصَّ العُلماء على عدم جواز لعن المُعينين، ولو اتصفوا بصفاتٍ فيها لعن.

**ولكن لك أن تقول:** لعن الله من غيَّر منار الأرض، لكن ليس لك أن تقول: يا فُلان لعنك الله، مثلاً، أو لعنة الله عليك، إذا رأيته يفعل هذا الشيء لأنه قد يكون معذورًا وأنت لا تدري، لكن لا يمنعك ذلك طبعًا من نصيحته، وتحذيره، وأن تقول له انتبه! هذا الأمر فيه لعن، إياك أن تدخل في لعنة الله، ونحو ذلك فلا بأس.

Created by Universal Document Converter

## (المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

**الثامنة:** هذه القصة العظيمة، وهي قصة الذباب.

**التاسعة:** كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده، بل فعله تخلصا من شرهم.

**العاشرة:** معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم، مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر.

## (الشرح)

على طِلِبَتِهِمْ، والمعروف طلبتهم، لكن قد تكون لُغة.

## (المتن)

**الحادية عشرة:** أن الذي دخل النار مسلم ؛ لأنه لو كان كافرا لم يقل: «دخل النار في ذباب».

**الثانية عشرة:** فيه شاهد للحديث الصحيح: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك».

**الثالثة عشرة:** معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان.

قال الشارح رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

## (الشرح)

في قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «لعن الله من ذبح لغير الله»، هذا الحديث يُمكن أن تكون له من الصُور المُعاصِرة ما يفعله البعض من الذبح وتلطيخ السيارة أو البيت بدم الذبيحة، ويقصِد بذلك التقرب للجن كما يحدث ويفعله البعض إذا نزل بيتًا جديدًا أو اشترى سيارةً جديدة، أو شيئًا جديدًا يأتي إلى عتبة البيت أو يأتي إلى السيارة ويذبح ذبيحة، وبعضهم يذبح طائر، ثم يُلطِّخ هذه السيارة أو عتبة البيت بالدم يقصِد بذلك التقرُّب إلى الجن والشياطين رجاء حمايتهم لبيته، أو كفِّ شرِهم عن بيتِهِ، وهذه النية بهذا الذبح شِرك لا يجوز، قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : **"فإن قصد تعظيم المذبوح له غير الله تعالى والعِبادة له؛ كان ذلك كُفرًا فإن كان الذابحُ مُسلمًا قبل ذلك صار بالذبحِ مُرتدًا، أما إذا ذبح الذبيحة لله عَزَّ وَجَلَّ فرحًا بهذا البيت فهذا لا بأس به".**

Created by Universal Document Converter

**وهذا يُسمى عند الفُقَهَاء:** الوكيرة، الوكيرة هي: الذبيحة التي تُذبح عند نُزول البيت الجديد، فهذا لا بأس به، أو إذا نجح أحد أولاده أو عاد من سفر، أو حصل له أمرٌ مُفرِح ذبح، لكن يكون قد ذبح لله فرحًا بهذه المُناسبة أو بنزول هذا البيت، إذًا الأمر يختلف بحسب النية.

**أما في الحالتين:** تلطيخ الدم، وتلطيخ البيت بالدم، أو تلطيخ السيارة بالدم؛ لا يجوز حتى لو بالنية الصالحة لله، لأنه نجس، لأن هذا الدم نجس، فإن نوى بهذا الذبح التقرُّب للشياطين أو كف شر الشياطين أو نحو ذلك فيكون قد دخل في الشِرك والعِياذُ بالله.

## (المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **باب ما جاء في الذبح لغير الله.**

أي أنه شرك، فإن نصوص الكتاب والسنة صريحة في الأمر بالذبح لله، وإخلاص ذلك لوجهه، كما هي صريحة بذلك في الصلاة، فقد قرن الله الذبح بالصلاة في عدة مواضع من كتابه.

وإذا ثبت أن الذبح لله من أجل العبادات وأكبر الطاعات، فالذبح لغير الله شرك أكبر مخرج عن دائرة الإسلام.

فإن حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده: (أن يصرف العبد نوعا أو فردا من أفراد العبادة لغير الله) ، فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك وكفر، فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر الذي لا يشذ عنه شيء.

**كما أن حد الشرك الأصغر هو:** (كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة) فعليك بهذين الضابطين للشرك الأكبر والأصغر، فإنه مما يعينك على فهم الأبواب السابقة واللاحقة من هذا الكتاب، وبه يحصل لك الفرقان بين الأمور التي يكثر اشتباهها والله المستعان.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

**وقول الله تعالى:** ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

Created by Universal Document Converter

وعن ثابت بن الضحاك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة، فسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟» قالوا: لا قال: «فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟» قالوا: لا، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم» رواه أبو داود وإسناده على شرطهما.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** تفسير قوله: ﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً﴾[التوبة: ١٠٨].

**الثانية:** أن المعصية قد تؤثر في الأرض وكذلك الطاعة.

**الثانية:** أن المعصية قد تؤثر في الأرض وكذلك الطاعة.

## (الشرح)

**وقوله تعالى:** ﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً﴾[التوبة: ١٠٨]، المقصود به المسجد الضِرار، الذي أُسِّس على غير تقوى من الله، بل أُسِّس ضِرارًا وكُفرًا وتفريقًا بين المُسلمين، وإرصادًا لمن حرب الله ورسوله، فهذا المكان أصبح مكانًا موصوفًا بصفاتٍ سيئة، وقد نهى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقوم فيه أي أن يُصلي فيه، حتى لو كانت الصلاة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لماذا؟

لأن هذا المكان القيام فيه؛ فيه نُصرة للكُفر، نُصرة للشِرك، نُصرة للنفاق، نُصرة للمنافقين، وفيه كذلك من جهةٍ أخرى تشبه بأهل النِفاق وأهل الشِرك وأهل الكُفر، وهذا طبعًا يؤيد ما بوَّب له المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يُذبح لله بمكان يُذبح فيه لغير الله، يعني ولو كان الذبح لله.

هو ناوي الله عَزَّ وَجَلَّ لكن المكان مما يُذبح فيه لغير الله، فالرائي إذا رآك لا يعلم نيتك، فقد يظُنك ممن يذبح لغير الله، أو على الأقل تكون قد كثَّرت سواد من يذبح لغير الله، أو أعنتهم على هذا الباطل الذي هُم فيه.

كذلك يؤيد ذلك الحديث لما سُئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن رجلٍ نذر أن ينحر إبلًا ببوانة، مكان اسمه بوانة، النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سأل عِدة أسئلة:

قال: هذا المكان الذي هو بوانة هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يُعبد؟ قالوا لا.

Created by Universal Document Converter

**السؤال الثاني:** هل كان فيها عِيد من أعيادهم؟ قالوا لا، فلما تأكد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هذا المكان خلى من مظاهر الشِرك ليس فيه عِيد للمُشركين، وليس فيه صنم للمُشركين، قال: **«أوفِ بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله»**، دلَّ على أن الذبح في مكان يُذبح فيه لغير الله معصية، واضح من الحديث، **«ولا في ما لا يملكُ ابن آدم»**، وهذا واضح وفيه سد الذرائِع المفضية إلى الشِرك، ينبغي أن تُسَّد الذرائع حتى أنه لا يجوزُ الذبحُ في مكان يُذبح فيه لغير الله ولو كانت نيتك لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سدًا للذريعة، وحسمًا لمادة الشِرك، وقطعًا لكُل طريقٍ يؤدي إليه.

## (المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

**الثالثة:** رد المسألة المشكلة إلى المسألة البينة ليزول الإشكال.

**الرابعة:** استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك.

**الخامسة:** أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع.

**السادسة:** المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله.

**السابعة:** المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله.

**الثامنة:** أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة؛ لأنه نذر معصية.

**التاسعة:** الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصده.

## (الشرح)

ومن هذا الحذر من مُشابهة المُشركين في أعيادهم ولو لم يقصِده؛ ما يفعله البعض مع الأسف في هذا الزمن من الاحتفال بأعياد الكُفَّار، وأعياد المُشركِين مثل ما يُسمى بالكريسماس، ومثل ما يُسمى بعِيد الفِصح، وغير ذلك من الأعياد الشِركية الكُفرية فلا شك أن الاحتفال بها مُحرَّم، وفيه مُشابهة للمُشركين.

بل إذا كان العِيد هذا مبنيًا على فِكرة كُفرية، هذا يُخشى على صاحبه، وذلك مِثل ما يُسمى بعِيد المِيلاد أو الكريسماس عند النصارى، هو في حقيقته احتفال بميلاد ابن الله تعالى الله عَزَّ وَجَلَّ عمَّا يقولون علوًا كبيرًا، فكيف يقبل مُسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويتلو القرآن ويقرأ تشنيع الله

Created by Universal Document Converter

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على من يزعم أن لله ولدًا، قال: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٩ - ٩١].

**ومع ذلك:** يحتفل معهم بهذه الاحتفالية الكُفرية الشِركية هذا أمرٌ خطير، ينبغي على الإنسان أن ينتبه ويحذر منه، وأن يُنكر مظاهر هذا الشيء، ومع الأسف في بعض بلدان المُسلمين في أوقات هذه الأعياد نرى مظاهر هذه الأعياد على بعض المحلات، يضعون ما يُسمى بشجرة الميلاد، وفي بعض البيوت مع الأسف، وفي بعض مظاهر هذا العيد، وهذا والله من الإعانة على هذا العيد الكُفري الشِركي الذي ينسبون فيه لله عَزَّ وَجَلَّ الولد، فهذا يجب على كُل مُسلم أن يحذره وأن يُحذِّر منه.

## (المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

**العاشرة:** لا نذر في معصية.

**الحادية عشرة:** لا نذر لابن آدم فيما لا يملك.

قال الشارح رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

**باب: لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله.**

ما أحسن إتباع هذا الباب بالباب الذي قبله، فالذي قبله من المقاصد وهذا من الوسائل، ذاك من باب الشرك الأكبر، وهذا من وسائل الشرك القريبة، فإن المكان الذي يذبح فيه المشركون لآلهتهم تقربا إليها وشركا بالله قد صار مشعرا من مشاعر الشرك، فإذا ذبح فيه المسلم ذبيحة ولو قصدها لله، فقد تشبه بالمشركين وشاركهم في مشعرهم، والموافقة الظاهرة تدعو إلى الموافقة الباطنة والميل إليهم.

## (الشرح)

اقرأ كلام الحاشية إذا نفس الطبعة كلام جميل للحافظ ابن كثير.

## (المتن)

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣]

Created by Universal Document Converter

**قال الحافظ ابن كثير: "فنهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع ، وحرم عليهم أكل هذه الذبائح التي فعلت عند النصب حتى ولو كان يذكر عليها اسم الله في الذبح عند النصب من الشرك الذي حرمه الله ورسوله . وينبغي أن يحمل هذا على هذا ؛ لأنه قد تقدم تحريم ما أهل به لغير الله".**

## (الشرح)

**والنُصب:** هي ما يُوضع أمام الآلهة قديمًا أو ما يُسمى بالآلهة ليُذبح، فقد الله عَزَّ وَجَلَّ الذبح، ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣]، حتى لو ذكر عليه اسم الله، أو ذبحه لله عَزَّ وَجَلَّ.

## (المتن)

قال الشارح رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: والموافقة الظاهرة تدعو إلى الموافقة الباطنة والميل إليهم.

**ومن هذا السبب:** نهى الشارع عن مشابهة الكفار في شعارهم وأعيادهم وهيئاتهم ولباسهم، وجميع ما يختص بهم إبعادا للمسلمين عن الموافقة لهم في الظاهر التي هي وسيلة قريبة للميل والركون إليهم، حتى إنه نهى عن الصلاة النافلة في أوقات النهي التي يسجد المشركون فيها لغير الله خوفا من التشبه المحذور.

## (الشرح)

**ومع الأسف الشديد:** هُناك في بعض بُلدان المُسلمين وقد ظهر يعني في بلادنا فِكرة، أو رأي يقول: لماذا تُنكرون على من يعبد آلهته علنًا، وقد وُجد بعض الديانات وضعوا له صنم في مكان أو وضعوا لهم يعني طُقوس مُعينة يعبدون فيها غير الله عَزَّ وَجَلَّ علنًا، يعني على البحر أو في مكانٍ ما.

وهَبَّ بعض المواطنين جزاهم الله خيرًا بالإنكار عليهم والإبلاغ عنهم، فظهَر عند البعض شُبهة وهي أن يقولوا لماذا لا تُعطون هؤلاء حُرية ممارسة الأديان، وأن الإسلام، مع الأسف بعضهم ينسب ذلك للإسلام، قد كفل حُرية الشعيرة أو الشعائر أو حُرية التدَيُن بغير دين الإسلام ويقولون: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ونحو ذلك من الأمور.

**الجواب على ذلك أن يُقال:** أن البلد المُسلِم صحيح أنه يُمكن أن يكون فيه من يعبد غير الله عَزَّ وَجَلَّ، وقد أقر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُجود اليهود في المدينة وصالحهم بل أقرَ وُجود حتى بعض المُشركِين ولم

Created by Universal Document Converter

يُجبرهم على الدُخول في الإسلام صحيح، لكن لا يجوز لأحدٍ من هؤلاء أن يُظهِر عبادته للعلن، في بيته له أن يفعل ما يشاء، دون إعلان، ودون إظهار.

**أما في العلن في بلد الإسلام** فلا يجوز أن يُعبد غير الله، ولا أن تظهر شعيرةٌ غير الشعيرةِ الإسلامية، ولا أن تُفعل وتُمارس أي نوع من أنواع الطُقوس غير الشريعة الإسلامية، وأن هذا، الإقرار بهذا لا يُقرِه الدِين.

**فإن قال قائل:** لكنكم إذا ذهبتم إلى بلاد الكُفَّار يسمحون لكم بالصلاة، ويسمحون لكم بممارسة شعائركم، بل بالدعوة إلى دينكم، ويُعطون الإذن ببناء المساجد ونحو ذلك فلماذا لا تسمحون لهم أنتم بالدعوة إلى دينهم في بلاد الإسلام ولا تسمحون لهم بممارسة شعائرهم الظاهرة في بلاد الإسلام؟

**الجواب على هذا أن نقول:** أن الأمور هذه لا يُتعامل معها بمُعاملة المثل بالمثل، يعني إذا مشينا على هذا المبدأ يعني أنهم إذا منعوا المفروض أننا نمنع، وإذا سمحوا المفروض أننا نسمح، والأديان والبلدان لن تقوم على ردةِ الأفعال، ردود الأفعال، فمن غير المنطقي أن تقول لنا اسمحوا لهم لأنهم سمحوا لنا، لا، نحن نسمح ونمنع حسب ما يُملي عليه ديننا لا بحسب ما يفعله الآخرون هذا أولًا.

**ثانيًا:** كونهم سمحوا لنا لا يعني بالضرورة أن نسمح لهم، فمن سمح لك بالخير لا يلزم من ذلك أن تسمح له بالشر، ومِثل ذلك ومثل من يقول: قد سمحوا لنا أن نشرب العصائر في بُلدانهم، فلنسمح لهم أن يشربوا الخُمور في بلداننا، كونهم سمحوا لنا بأن نشرب المُباحات لا يلزم من ذلك أن نسمح لهم أن يشربوا المُحرمات.

**الأمر الثالث:** أن هذه النظرة وهي الحُرية غير موجودة عندهم كما تظنون، يعني الحُرية عندهم مُقيدة، لا يوجد بلد في العالم مهما كان دينه عنده الحُرية مُطلقة، كُل بلد فيه حدود، لكن الفرق أن تلك البُلدان التي أصبحت بُلدانًا عِلمانية المُقدسات عندها تحولت من الأديان إلى العلمانية، فمثلًا في بعض البلدان لا يُسمح لك بأن تتكلم مُجرد الكلام عمَّا يُسمى مذبحة اليهود الهولوكوست.

في بعض البُلدان الكلام العلني عن مذبحة الهولوكوست بالنفي إذا قُلت لا يوجد شيء اسمه هولوكوست تُسجن، مع أن هذا رأي، افرض أنه رأي، وأن والله هذه كذبة وإلى آخره...، تُسحب وتُسجن، وتُغلق القناة التي تكلمت فيها أو الصحيفة التي كتبت فيها فهُم عندهم مُقدسات، ونحن عندنا مُقدسات، الإشكالية أن الدين عِندهم لم يعد مُقدسًا.

Created by Universal Document Converter

لك أن تدين الله بما تشاء، لكن عندهم أمور مُقدَّسة، لا تستطيع مثلاً أن تتكلم برأي مُعيَّن مما يُناقض مُقدسات تلك الأديان وبالتالي نحن أيضًا المُسلمين عِندنا مُقدسات لكن مُقدساتنا دينية وبالتالي لا يُوجد حُرية مُطلقة، وهذه الشُبهة مع الأسف انطلت على البعض.

**يقول:** إي والله خلينا نسمح لهم، هم سمحوا لنا بالصلاة في بُلدانهم فلنسمح لهم بالصلاة، نقول لهم ما سمحوا لك بالصلاة لحُبٍ في دينك، لا، هم أصلًا الدين عندهم لم يعد مُقدسًا أصلًا، قد سقط من زمان، لكن جرِّب أن تتكلم عن الهولوكوست عندهم وانظر ماذا سيفعلون بك؟ أو تكلم عن آراء معينة، في كُل بلد هناك آراء ممنوع أن تتكلم فيها، لك أن تتكلم في كُل شيء، لكن لا تقترب عند النقطة المُحرمة.

فليست القضية أنهم عندهم تسامح، لا، القضية أن الدِين عندهم فقط سقط من مرتبة القداسة فقط لا أكثر ولا أقل، وبالتالي لا يجوز لنا أن نسمح في بُلدان الإسلام بمُمارسة أي شعيرة ظاهرة من الشعائِر التي فيها عبادة لغير الله عَزَّ وَجَلَّ، ويجب على المسلمين أن يُنكروا ذلك، وألا يسمحوا به في العلن، في بيوتهم لهم أن يفعلوا ما يشاءوا طالما أنهم لم يُعلنوا ولم يُظهروا هذا الأمر في العلن.

لعلنا نقف هنا والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

Created by Universal Document Converter

شرح

كتاب القول السديد في مقاصد التوحيد

للشيخ: "عبد الرحمن السعدي" رَحِمَهُ اللَّهُ

# ﴿من الشرك النذر لغير الله﴾

لفضيلة الشيخ الدكتور

## مطلق الجاسر

- حفظه الله -

Created by Universal Document Converter

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

الحمدُ للهِ ربِ العَالمينَ، والصَلَاةُ والسلامُ الأَتمَّانِ الأَكْمَلَانِ عَلى المَبعُوثِ رَحْمَةً للعَالَمِينَ، نَبِيِّنا مُحَمَدٍ وعَلى آلِهِ وصَحبِهِ أَجْمَعِينَ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بإحسانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَاجْعَلْنَا مَعَهُم بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، اللَّهُمّ عَلِمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، وارفَعْنِا وانفَعنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَزِدْنَا عِلْمًا وَاغْفِرْ لَنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ أَمَّا بعدُ:-

فقد وصلنا في هذا الكتاب المُبارك كتاب: **"القول السديد في مقاصد التوحيد"**، إلى باب: من الشرك النذر لغير الله.

## (المتن)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمُرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:-

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: باب من الشرك النذر لغير الله

**وقول الله تعالى:** ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ [الإنسان: ٧].

**وقوله:** ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

وفي الصحيح عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»**.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** وجوب الوفاء بالنذر.

**الثانية:** إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غيره شرك.

**الثالثة:** أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به.

**باب من الشرك:** الاستعاذة بغير الله

**وقول الله تعالى:** ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن: ٦].

وعن خولة بنت حكيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **"من نزل منزلا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك"** رواه مسلم٢.

Created by Universal Document Converter

## (الشرح)

يعني أن الاستغاثة أعَّم من الدُعاء، الدُعاء نوع من أنواع الاستغاثة، عفوًا العكس، الاستغاثة نوع من أنواع الدُعاء، عطف الدُعاء على الاستغاثة من باب عطف العام على الخاص، دُعاء أعَّم، والاستغاثة أخَّص، وذلك أن الدعاء هو اللجوء والطلب من الله عَزَّ وَجَلَّ في حال الشِدة وفي حال الرخاء، أما الاستغاثة فتكون في حال الشِدة فقط، الإنسان يستغيث إذا تعرَّض لضرر أو نحو ذلك، أما الدُعاء فيشمل الشِدة وغيرها.

## (المتن)

**فيه مسائل:**

**الأولى:** أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص.

**الثانية:** تفسير قوله: ﴿وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ﴾ ١.

**الثالثة:** أن هذا هو الشرك الأكبر.

**الرابعة:** أن أصلح الناس لو يفعله إرضاء لغيره صار من الظالمين.

**الخامسة:** تفسير الآية التي بعدها.

**السادسة:** كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفرا.

**السابعة:** تفسير الآية الثالثة.

**الثامنة:** أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله، كما أن الجنة لا تطلب إلا منه.

**التاسعة:** تفسير الآية الرابعة.

**العاشرة:** أنه لا أضل ممن دعا غير الله.

**الحادية عشرة:** أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه.

**الثانية عشرة:** أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له.

**الثالثة عشرة:** تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو.

**الرابعة عشرة:** كفر المدعو بتلك العبادة.

**الخامسة عشرة:** أن هذه الأمور هي سبب كونه أضل الناس.

Created by Universal Document Converter

**السادسة عشرة:** تفسير الآية الخامسة.

**السابعة عشرة:** الأمر العجيب، وهو إقرار عبدة الأوثان بأنه لا يجيب المضطر إلا الله، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين.

**الثامنة عشرة:** حماية المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمى التوحيد والتأدب مع الله.

**قال الشارح غفر الله له باب: من الشرك: النذر لغير الله.**

**باب من الشرك:** الاستعاذة بغير الله.

**باب من الشرك:** أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره.

متى فهمت الضابط السابق في حد الشرك الأكبر، وهو أن (من صرف شيئا من العبادة لغير الله فهو مشرك) .

فهمت هذه الأبواب الثلاثة التي والى المصنف بينها.

فإن النذر عبادة مدح الله الموفين به، وأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالوفاء بنذر الطاعة، وكل أمر مدحه الشارع أو أثنى على من قام به أو أمر به فهو عبادة.

فإن العبادة (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة)، والنذر من ذلك.

## (الشرح)

نعم وهذا التعريف لأن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه العبودية ذكر أن هو: (اسمٌ جامع لكل ما يحبهُ الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة)، فمن صرف شيئًا من هذه العبادة، ومن هذه الأمور لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فقد أشرك، وليس بالضرورة أن يصرف كُل العبادة لغير الله حتى يكون مُشركًا، بل يكفي أن لو صرف نوعًا من أنواعِ العبادة لغير الله فقد أشرك.

## (المتن)

وكذلك أمر الله بالاستعاذة به وحده من الشرور كلها، وبالاستغاثة به في كل شدة ومشقة، فهذه إخلاصها لله إيمان وتوحيد، وصرفها لغير الله شرك وتنديد.

Created by Universal Document Converter

## (الشرح)

طبعًا مع بيان ضابط ألا يُستطاع هذا، لا يقدر على ذلك إلا الله، لكن لو استعاذ إنسانٌ بالإنسان فيما يقدِر عليه فلا يدخل فيما نحن فيه، أو استغاث به فيما يقدِر عليه يقول يا فُلان أغثني بالماء، أغثني بجنود لني عندي ناس سيعتدون علينا، أغثني بكذا، ليس هذا داخلًا فيما نحن فيه.

**المقصود:** أن يستعيذ بالله عَزَّ وَجَلَّ، أن يستعيذ بغير الله فيما لا يقدِر عليه إلا الله، كأن يستعيذ من الشيطان بمخلوق، يا فُلان أعذني من الشيطان الرجيم، وهل يستطيع المخلوق أن يُعيذ نفسه من الشيطان فضلًا على أن يُعيذ غيره، وبالتالي لابد من بيان هذا الضابط أن المقصود بذلك أن يستعيذ أو يستغيث بغير الله فيما لا يقدر عليه أحد إلا الله.

## (المتن)

**والفرق بين الدعاء والاستغاثة:** أن الدعاء عام في كل الأحوال والاستغاثة هي الدعاء لله في حالة الشدائد، فكل ذلك يتعين إخلاصه لله وحده، وهو المجيب لدعاء الداعين المفرج لكربات المكروبين، ومن دعا غيره من نبي أو ملك أو ولي أو غيرهم أو استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر، وكما أنه خرج من الدين فقد تجرد أيضا من العقل، فإن أحدا من الخلق ليس عنده من النفع والدفع مثقال ذرة لا عن نفسه ولا عن غيره، بل الكل فقراء إلى الله في كل شئونهم.

## (الشرح)

صحيح، كيف تستغيث بمن لا يقدر، لأن هذا مخالف للعقل، شخص لا يقدر أن ينفع نفسه كيف تستغيث به في شيء لا يقدر عليه، إذا كان يقدر عليه نحن قلنا ما في مانع، لكن إذا ما يقدر عليه، كيف مثلاً يقول يا فُلان ارزقني الولد، مثل بعض مع الأسف المُسلمين في هذا الزمن، يدعون غير الله عَزَّ وَجَلَّ، يا فلان ارزقني الولد، يا فُلان ارزقني كذا، ماذا بيده هذا الإنسان حتى يرزقك ولد أو يرزقك مال أو يرزقك شيء؟ فهذا يعني فضلًا عن مُخالفته للدين هو مُخالف للعقل.

## (المتن)

**باب: قول الله تعالى:** ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١، ١٩٢].

Created by Universal Document Converter

**وقوله:** ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

وفي الصحيح عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شُج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أُحد وكُسرت رباعيته. فقال: **«كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟»** فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

وفيه عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: **«اللّهم العن فلانا وفلانا»**.

**بعدما يقول: "سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد"**، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] الآية.

**وفي رواية:** يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

**وفيه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:** قام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أنزل عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فقال: **«يا معشر قريش- أو كلمة نحوها- اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب: لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد: سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئا»**.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** تفسير الآيتين.

**الثانية:** قصة أحد.

**الثالثة:** قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة.

**الرابعة:** أن المدعو عليهم كفار.

**الخامسة:** أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار، منها شجهم نبيهم وحرصهم على قتله، ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم.

**السادسة:** أنزل الله عليه في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

Created by Universal Document Converter

**السابعة قوله:** ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، فتاب عليهم فآمنوا.

**الثامنة:** القنوت في النوازل.

**التاسعة:** تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

**العاشرة:** لعن المعين في القنوت.

**الحادية عشرة:** قصته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أنزل عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

**الثانية عشرة:** جده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الأمر بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون، وكذلك لو يفعله مسلم الآن.

**الثالثة عشرة:** قوله للأبعد والأقرب: **«لا أغني عنك من الله شيئا"حتى قال: "يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا»**، فإذًا صرح وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني شيئا عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم تبين له التوحيد وغربة الدين.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١].

هذا شروع في براهين التوحيد وأدلته، فالتوحيد له من البراهين النقلية والعقلية ما ليس لغيره.

## (الشرح)

صحيح، التوحيد له من البراهين العقلية والنقلية الكثير جدًّا حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه **"درء تعارض العقل والنقل"**، أن كلما عظُم الشيء كُلما عظمت دلائله، ولا أعظم التوحيد؛ فلذلك كثُرت وعظُمت دلائلهُ ساءٌ كان توحيد الألوهية أو توحيد الربوبية.

## (المتن)

**فتقدم أن التوحيدين:** توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات من أكبر براهينه وأضخمها، فالمتفرد بالخلق والتدبير، والمتوحد في الكمال المطلق من جميع الوجوه هو الذي لا يستحق العبادة سواه.

وكذلك من براهين التوحيد معرفة أوصاف المخلوقين ومن عبد مع الله، فإن جميع ما يعبد من دون الله من ملك وبشر ومن شجر وحجر وغيرها كلهم فقراء إلى الله، عاجزون ليس بيدهم من النفع مثقال ذرة، ولا يخلقون شيئا وهم يخلقون، ولا يملكون ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، والله تعالى هو

Created by Universal Document Converter

الخالق لكل مخلوق وهو الرازق لكل مرزوق، المدبر للأمور كلها، الضار النافع، المعطي المانع، الذي بيده ملكوت كل شيء، وإليه يرجع كل شيء، وله يقصد ويصمد ويخضع كل شيء.

## (الشرح)

نعم، القاعدة العقلية المُتفق عليها عند الجميع أن فاقد الشيء لا يُعطيه، فلا تُصدِّق أن شيئًا أوجده إنسانٌ لا يملكه أصلًا، أنت تعلم أنه لا يملكه، فمثلًا إذا قيل لك: هذه الصخرة التي تزن نصف طِن قد حرَّكها هذا الطفل الصغير، الذي لا يزن أكثر من عِشرين كيلو هل ستصدِق؟

أبدًا لأن فاقد الشيء لا يُعطيه، تحريك هذه الصخرة يستدعي قوة، وهذا الطفل فاقد للقوة، فلا يقبل عقلُك أن يُقال لك إن الذي حرَّك الصخرة هذه هذا الطِفل، وأنت تُشاهد الكون هذا كُله، وما فيه من قُوى، وما فيه من صُنع مُتقن، وأنت ترى من تراه من الناس تجدهم فاقدين لهذه القُوة، فاقدين لهذا الإحكام، تعلم أن ولا واحد منهم هو الذي صنع ذلك، ومن زُعم أن هذا إله سواء، هذا إنسان بعد، فما بالك أن الإله صنم، كيف فاقد الشيء يُعطيه؟

كيف صنم لا يتحرك ولا يسمع ولا يرى ولا يُبصر يُعطي البصر والسمع والقوة؟ فلذلك من أعظم براهين التوحيد أن تتفكَّر في المخلوقات، وفي كُل ما زُعم أنه هو الخالق أو هو الإله، وتنظر هل القوى التي عنده تُساوي القوى الموجودة في العالم؟ فإذا كانت لا تُساويها وقُواه أقل منها، فكيف فاقد الشيء ويُعطيه.

العقل يأبى ذلك، ولا يقبل العقل إلا أن تقول أن الذي أعطى هذا الكون ما فيه من صُنعٍ مُتقن ومن قُوى هو يملك هذه الأمور، يملك هذه القوة، وليس ذلك إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فأي برهان أعظم من هذا البرهان الذي أعاده الله وأبداه في مواضع كثيرة من كتابه وعلى لسان رسوله، فهو دليل عقلي فطري كما أنه دليل سمعي نقلي على وجوب توحيد الله وأنه الحق، وعلى بطلان الشرك.

وإذا كان أشرف الخلق على الإطلاق لا يملك نفع أقرب الخلق إليه وأمسهم به رحما فكيف بغيره؟ فتبا لمن أشرك بالله وساوى به أحدا من المخلوقين، لقد سلب عقله بعدما سلب دينه.

فنعوت الباري تعالى وصفات عظمته وتوحده في الكمال المطلق أكبر برهان على أنه لا يستحق العبادة إلا هو. وكذلك صفات المخلوقات كلها، وما هي عليه من النقص والحاجة والفقر إلى ربها في كل شئونها، وأنه ليس لها من الكمال، إلا ما أعطاها ربها من أعظم البراهين على بطلان إلهية شيء منها.

Created by Universal Document Converter

## (الشرح)

لذلك ما تجد أي مخلوق إلا وفيه نقص، أي مخلوق سواء كان حيًا أو جمادًا، فالبشر نحن فينا من النقص الشيء الكثير، أنت حتى النوم يغلبك النوم، أحيانًا لا تستطيع أن تُقاومه، ممكن تُقاومه يوم يومين لكن خلاص تنام على نفسك، صح ولا لا؟

الخلاء قضاء الحاجة تغلبك، ما تستطيع، المرض يجعلك طريح الفِراش، أشياء كثيرة، الهواء ربما يغلبك، الجراثيم الصغيرة تدخل جِسمك تغلبك، فإذا تفكَّر الإنسانُ في نفسِه وما فيه من نقص، سيعرف قدر نفسه، وكذلك بقية المخلوقات، كل مخلوق لابد أن يكون فيه نقصٌ بوجه من الوجوه، وهذا كُله إذا تفكَّر الإنسان فيه يعلم أن هذا الكون خالقه هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي ليس فيه نقصٌ بوجه من الوجوه.

**فإن قال قائل:** لكننا لم نرى الخالق بأعيننا؟ الجواب: أنه لا يُشترط في أن تراه بعينك لأنك ترى آثارهُ، ومخلوقاتِه، وصُنعه الذي لا يستطيع أحدٌ أن يُنكره إلا من فقد عقله، فإن قيل لك هذه الغُرفة المصنوعة من الخشب، المصنوعة فيها جلسة وفيها سرير وفيها كذا، دخلتها وقِيل لك: أترى هذه الغرفة لا يوجد أحد صنعها.

إذا صدَّقت ذلك فأنت مجنون، فإن قيل لك: هُناك من صنعها، يقول كيف؟ أنا لا أصدِق أريد أن أرى بعيني، هل يحتاج ذلك؟ لا، أنت ترى صُنعه تعرف أن هناك من صنعه بل ستعرف صفاته كذلك، أن الذي صنع هذا لابد أن يكون فيه صفات مُعينة تعرفها بمُجرد أن تنظُر إلى صُنعه وخلقه.

## (المتن)

فمن عرف الله وعرف الخلق اضطرته هذه المعرفة إلى عبادة الله وحده، وإخلاص الدين له والثناء عليه، وحمده وشكره بلسانه وقلبه وأركانه، وانصرف تعلقه بالمخلوقين خوفا ورجاء وطمعا، والله أعلم.

باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].

وفي الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك،** ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].

Created by Universal Document Converter

فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض- وصفه سفيان بكفه، فحرفها وبدد بين أصابعه- فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها، الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء».

وعن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر، وتكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة، - أو قال: رعدة - شديدة خوفا من الله ، فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا لله سجدا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال: الحق، وهو العلي الكبير، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله».

**فيه مسائل:**

**الأولى:** تفسير الآية.

**الثانية:** ما فيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصا من تعلق على الصالحين، وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب.

**الثالثة:** تفسير قوله: ﴿قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].

**الرابعة:** سبب سؤالهم عن ذلك.

**الخامسة:** أن جبريل يجيبهم بعد ذلك بقوله: **"قال كذا وكذا"**.

**السادسة:** ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل.

**السابعة:** أنه يقول لأهل السماوات كلهم؛ لأنهم يسألونه.

**الثامنة:** أن الغشي يعم أهل السماوات كلهم.

**التاسعة:** ارتجاف السماوات لكلام الله.

**العاشرة:** أن جبريل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله.

**الحادية عشرة:** ذكر استراق الشياطين.

**الثانية عشرة:** صفة ركوب بعضهم بعضا.

Created by Universal Document Converter

**الثالثة عشرة:** إرسال الشهب.

**الرابعة عشرة:** أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وتارة يلقيها في أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه.

**الخامسة عشرة:** كون الكاهن يصدق بعض الأحيان.

**السادسة عشرة:** كونه يكذب معها مائة كذبة.

**السابعة عشرة:** أنه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء.

**الثامنة عشرة:** قبول النفوس للباطل كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة؟.

**التاسعة عشرة:** كونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها.

**العشرون:** إثبات الصفات خلافا للأشعرية المعطلة.

**الحادية والعشرون:** التصريح بأن تلك الرجفة والغشي خوفا من الله.

**الثانية والعشرون:** أنهم يخرون لله سجدا.

## (الشرح)

مثل صِفة الكلام: إذا قضى الله الأمر في السماء إلى آخر الآية فقال فيسمعها، كأنها سلسلة فيسمعها مسترق السمع إلى آخره...، كذلك إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلَّم بالوحي، وهذا في صِفة الكلام، صفة الكلام لله عَزَّ وَجَلَّ على ما يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

## (المتن)

**الحادية والعشرون:** التصريح بأن تلك الرجفة والغشي خوفا من الله.

**الثانية والعشرون:** أنهم يخرون لله سجدا.

**باب قول الله تعالى:** ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ: ٢٣].

وهذا أيضا برهان عظيم آخر على وجوب التوحيد وبطلان الشرك، وهو ذكر النصوص الدالة على كبرياء الرب وعظمته التي تتضاءل وتضمحل عندها عظمة المخلوقات العظيمة، وتخضع له الملائكة والعالم العلوي والسفلي، ولا تثبت أفئدتهم عندما يسمعون كلامه، أو تتبدى لهم بعض عظمته ومجده، فالمخلوقات

Created by Universal Document Converter

بأسرها خاضعة لجلاله، معترفة بعظمته ومجده خاضعة له خائفة منه، فمن كان هذا شأنه فهو الرب الذي لا يستحق العبادة والحمد والثناء والشكر والتعظيم والتأله إلا هو، ومن سواه ليس له من هذا الحق شيء.

فكما أن الكمال المطلق والكبرياء والعظمة ونعوت الجلال والجمال المطلق كلها لله لا يمكن أن يتصف بها غيره، فكذلك العبودية الظاهرة والباطنة كلها حقه تعالى الخاص الذي لا يشاركه فيه مشارك بوجه.

## (الشرح)

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

## (المتن)

### باب الشفاعة.

**وقول الله:** ﴿ ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ٥١].

**وقوله:** ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ ﴾ [الزمر: ٤٤].

**وقوله:** ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

**وقوله:** ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم: ٢٦].

**وقوله:** ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ(٢٢)وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ٢٢: ٢٣] ﴾.

**قال أبو العباس:** نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه أو يكون عونا لله ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده- لا يبدأ بالشفاعة أولا- ثم يقال له: **"ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع"**.

Created by Universal Document Converter

وقال أبو هريرة له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه »، فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله. وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود.

فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** تفسير الآيات.

**الثانية:** صفة الشفاعة المنفية.

## (الشرح)

**الشفاعة المنفية:** هي التي لا تكون بغير إذن الله، هذا منفي.

**والشفاعة المُثبتة:** هي التي تكون بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ، وتستلزم إذنه للشافع ورِضاه عن المشفُوع، فلا يُستدل بذلك على أن هُناك من الناس من لهم سُلطة، بعض الناس مع الأسف نفوا الشفاعة، يعني لجهلهم وسَقطة لبعض المفكرين كما يُسمونهم يُنكرون الشفاعة.

**قالوا:** الشفاعة هذا معناه أن هناك من البشر من له إن صحَّ التعبير سُلطة مُعينة، كما أن البشر في الدُنيا يشفعون لبعض فيأتي إنسان لشخصٍ له جاه لا يستطيع المشفوع له أن يرده، هذا الأصل في الشفاعة في الدنيا نقول نعم هذا بين البشر، فقال: فلا يجوز أن نقول أن هُناك ناس تشفع عند الله.

**نقول له:** أنت فاهم الشفاعة خطأ، ليست الشفاعة عند الله عَزَّ وَجَلَّ مثل الشفاعة عِند البشر، لأن الله عَزَّ وَجَلَّ لا يقبل شفاعة إلا إذا كان راضيًا عن المشفوع، ولا يستطيع أحد أن يُكرِه الله عَزَّ وَجَلَّ على شيء أو يُجبره على شيء حاشا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، طيب لماذا إذًا الشفاعة طالما أن الله عَزَّ وَجَلَّ راضي عن المشفوع له؟

**الجواب:** إكرامًا للشافع، وإعطاءً لقيمته، وإكرامًا له وتقديرًا له، مثل شفاعة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، نوع من الإكرام له، مثل الشهيد يشفع، نوع من الإكرام له ولأهله، وليس لأن هذا الشهيد له سُلطةٌ مُعينة

Created by Universal Document Converter

على الله عَزَّ وَجَلَّ، تعالى الله عَزَّ وَجَلَّ عن ذلك، فبسبب تشبيههم الشفاعة عند الله بالشفاعة عند المخلوقين أنكروا الشفاعة.

قل لا، هُناك فرق، الشفاعة عند الله ليست من الشفاعة عند المخلوق، فالله عَزَّ وَجَلَّ يعني إذا أراد ألا يُشفِعه لفعل، ولا يضُره شيء، بخِلاف المخلوق، المخلوق ممكن أنت تُشفِّع إنسانًا يعني تقبل شفاعته وأنت راغم، وأنت كاره، فقط حتى لا ترد هذا الذي أتى به، لا تستطيع ترده، لكن الله عَزَّ وَجَلَّ بخِلاف ذلك، فهو نوعٌ من الإكرام فقط للشافع وليس فيه شيءٌ من الإكراه.

## (المتن)

**فيه مسائل:**

**الأولى:** تفسير الآيات.

**الثانية:** صفة الشفاعة المنفية.

**الثالثة:** صفة الشفاعة المثبتة.

**الرابعة:** ذكر الشفاعة الكبرى وهي المقام المحمود.

**الخامسة:** صفة ما يفعله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لا يبدأ بالشفاعة بل يسجد، فإذا أذن له شفع.

**السادسة:** من أسعد الناس بها؟.

**السابعة:** أنها لا تكون لمن أشرك بالله.

**الثامنة:** بيان حقيقتها.

**باب: الشفاعة.**

إنما ذكر المصنف الشفاعة في تضاعيف هذه الأبواب؛ لأن المشركين يبررون شركهم ودعاءهم للملائكة والأنبياء والأولياء بقولهم: نحن ندعوهم مع علمنا أنهم مخلوقون ومملوكون، ولكن حيث إن لهم عند الله جاها عظيما ومقامات عالية، ندعوهم ليقربونا إلى الله زلفى وليشفعوا لنا عنده.

كما يتقرب إلى الوجهاء عند الملوك والسلاطين، ليجعلوهم وسائط لقضاء حاجاتهم وإدراك مآربهم. وهذا من أبطل الباطل، وهو تشبيه الله العظيم ملك الملوك الذي يخافه كل أحد، وتخضع له المخلوقات بأسرها بالملوك الفقراء المحتاجين للوجهاء والوزراء في تكميل ملكهم ونفوذ قوتهم.

Created by Universal Document Converter

فأبطل الله هذا الزعم وبين أن الشفاعة كلها له، كما أن الملك كله له، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، ولا يرضى إلا توحيده وإخلاص العمل له. فبين أن المشرك ليس له حظ ولا نصيب من الشفاعة.

وبين أن الشفاعة المثبتة التي تقع بإذنه إنما هي الشفاعة لأهل الإخلاص خاصة وأنها كلها منه، رحمة منه وكرامة للشافع، ورحمة منه وعفوا عن المشفوع له، وأنه هو المحمود عليها في الحقيقة، وهو الذي أذن لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها وأناله المقام المحمود.

فهذا ما دل عليه الكتاب والسنة في تفصيل القول في الشفاعة.

وقد ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ كلام الشيخ تقي الدين في هذا الموضع وهو كاف شاف. فالمقصود في هذا الباب ذكر النصوص الدالة على إبطال كل وسيلة وسبب يتعلق به المشركون بآلهتهم، وأنه ليس لها من الملك شيء، لا استقلالا ولا مشاركة ولا معاونة ولا مظاهرة ولا من الشفاعة شيء.

وإنما ذلك كله لله وحده، فتعين أن يكون المعبود وحده.

**باب قول الله تعالى:** ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

**في الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال:** لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل. فقال له: **«يا عم: قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله»** فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأعادا، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله. فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»**فأنزل الله ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾.

**وأنزل في أبي طالب:** ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

**فيه مسائل:**

**الأولى:** تفسير ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

**الثانية:** تفسير ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

Created by Universal Document Converter

**الثالثة:** – وهي المسألة الكبيرة–: تفسير قوله: **"قل لا إله إلا الله"**. بخلاف ما عليه من يدعي العلم.

**الرابعة:** أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قال للرجل: **"قل لا إله إلا الله"** فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام.

## (الشرح)

يعني أبو جهل يعلم أنه إذا قل لا إله إلا الله يعني أنه ينبُذ مِلة عبد المُطلِّب وأنه يترك الأصنام، بخلاف من يقول لا إله إلا الله ويدعو غير الله، ويصرف شيء من العبادة لغير الله.

## (المتن)

**الرابعة:** أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قال للرجل: **"قل لا إله إلا الله"** فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام.

**الخامسة:** جده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومبالغته في إسلام عمه.

**السادسة:** الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه.

**السابعة:** كونه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استغفر له فلم يغفر له بل نهي عن ذلك.

## (الشرح)

نعم لأن هناك من قال: أن حد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان مُسلمًا، وهذا الحديث يدل على أنه ماذا؟ لما قال على مِلة عبد المُطلب دل على أنه غير مُسلم، والخلاف في والدي النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عبد الله بن عبد المُطلب، فهناك من يقول أنهما من أهل الفترة، وهناك من يقول: أنهما كافرين.

## (المتن)

**الثامنة:** مضرة أصحاب السوء على الإنسان.

## (الشرح)

صحيح كيف أن مضرة أصحاب السوء كيف أن أبا جهل وعبد الله بن أبي أُمية كانا سببًا في صد أبي طالب عن الإسلام رغم مواقفه مع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ونُصرتِه له، ومعونته له، ومع ذلك لم يُوفق للإسلام، وكان من أسباب ذلك وجود جُلساء السوء الذين صدُّوه عن الإيمان.

Created by Universal Document Converter

## (المتن)

**التاسعة:** مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر.

**العاشرة:** الشبهة للمبطلين في ذلك لاستدلال أبى جهل بذلك.

**الحادية عشرة:** الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم، لأنه لو قالها لنفعته.

**الثانية عشرة:** التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين؛ لأن القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها مع مبالغته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتكريره، فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها.

**باب قول الله تعالى:** ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]

وهذا الباب أيضا نظير الباب الذي قبله، وذلك أنه إذا كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أفضل الخلق على الإطلاق، وأعظمهم عند الله جاها وأقربهم إليه وسيلة، لا يقدر على هداية من أحب هداية التوفيق، وإنما الهداية كلها بيد الله، فهو الذي تفرد بهداية القلوب كما تفرد بخلق المخلوقات فتبين أنه الإله الحق.

**وأما قوله تعالى:** ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، **فالمراد بالهداية هنا:** هداية البيان وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المبلغ عن الله وحيه الذي اهتدى به الخلق.

نقف عند هذا والله أعلم.

Created by Universal Document Converter

شرح

كتاب القول السديد في مقاصد التوحيد

للشيخ: "عبد الرحمن السعدي" رَحِمَهُ اللَّهُ

# ﴿الغلو في الصالحين﴾

لفضيلة الشيخ الدكتور

## مطلق الجاسر

- حفظه الله -

Created by Universal Document Converter

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

الحمدُ للهِ ربِ العَالمينَ، والصَلَاةُ والسلامُ الأَتمَّانِ الأَكْمَلَانِ عَلى المَبعُوثِ رَحْمَةً للعَالَمِينَ، نَبِيِّنا مُحَمَدٍ وعَلى آلِهِ وصَحبِهِ أَجْمَعِينَ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بإحسانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَاجْعَلْنَا مَعَهُم بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، اللَّهُمّ عَلِمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، وارفَعْنِا وانفَعنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَزِدْنَا عِلْمًا وَاغْفِرْ لَنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ أَمَّا بعدُ:-

أما بعد فقد وصلنا إلى باب ما جاء أن سبب كُفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغُلو في الصالحين، تفضل.

(المتن)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمُرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:-

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

**باب: ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم.**

هو الغلو في الصالحين

وقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

وفي الصحيح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

قال: **"هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم، عبدت".**

**وقال ابن القيم:** قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

وعن عمر أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله»**، أخرجاه.

(الشرح)

Created by Universal Document Converter

لا تُطروني، والإطراء هو مُجاوزة الحدِ، في المدح والكذب فيه، الإطراء هو مجاوزة الحد، المدح بأن يُذكر في الممدوح ما ليس فيه.

## (المتن)

وقال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو».

**ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **قال:** «هلك المتنطعون»، قالها ثلاثا.

## (الشرح)

المتنطعون هم أهل التنطُّع، والتنطُّع هو التعمُّق في الشيء والتكلف فيه، أصله من النِطع، والنِطع هو سقف الحلق الأعلى، لأن المتكلِّف والمتنطع يتشدَّق في حديثه ويتكلَّم بملء فيه، ويعني يُلصق لسانه بنِطع حلقه من تشدُّقه بالكلام، فهذا الأصل فيه، ثُم أصبح يُطلق على كُل متكلِّف متعمِّق غالي مُتجاوز للحد كُل هذا يُسمى متنطِّع.

## (المتن)

**الأولى:** أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب.

**الثانية:** معرفة أول شرك حدث على وجه الأرض أنه بشبهة الصالحين.

**الثالثة:** أول شيء غير به دين الأنبياء، وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم.

**الرابعة:** قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها.

**الخامسة:** أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل.

**فالأول:** محبة الصالحين.

**والثاني:** فعل أناس من أهل العلم والدين شيئا أرادوا به خيرا، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره

## (الشرح)

نعم، الباطل الصِرف لا يكاد يُوجد، يعني شيء باطل صِرف محض هذا نادر، لا يوجد باطِل إلا وقد خالطهُ شيءٌ من الحق، وهذا الحق الذي يُخالُطه هو الذي أوهم الناس به، فالشرك مثلاً فيه أو كما يظنُونه أنه تقدير للصالحين، حُب للصالحين، احترام، لكن تجاوزوا فيه الحد.

Created by Universal Document Converter

الشيطان كما ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره له حبائِل، وقد استقصى ذلك ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه **"إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان"** وذكر من طُرقه وحبائله ومصائده الشيء الكثير منها أنه لا يفجأ الإنسان بالمعصية يقول له اعصي أو اكفر، لا، وإنما هي خُطوات، خُطوة يجعله يستسهل الأمر ثم خُطوة ثانية، ثم خُطوة ثالثة حتى يوقعه في المحظور شيئًا فشيئًا.

## (المتن)

**السادسة:** تفسير الآية التي في سورة نوح.

**السابعة:** جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد.

**الثامنة:** فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدع سبب الكفر.

**التاسعة:** معرفة الشيطان بما تئول إليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل.

**العاشرة:** معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما يئول إليه.

**الحادية عشرة:** مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح.

**الثانية عشرة:** معرفة النهي عن التماثيل والحكمة في إزالتها.

**الثالثة عشرة:** معرفة شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

**الرابعة عشرة:** - وهي أعجب وأعجب- قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال.

**الخامسة عشرة:** التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

**السادسة عشرة:** ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.

**السابعة عشرة:** البيان العظيم في قوله: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**» فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين.

**الثامنة عشرة:** نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين.

**التاسعة عشرة:** التصريح بأنها لم تعبد حتى نسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده.

**العشرون:** أن سبب فقد العلم موت العلماء.

Created by Universal Document Converter

**قال الشارح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

**ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين.**

**والغلو:** هو مجاوزة الحد بأن يجعل للصالحين من حقوق الله الخاصة به شيء، فإن حق الله الذي لا يشاركه فيه مشارك هو الكمال المطلق والغنى المطلق والتصرف المطلق، من جميع الوجوه، وأنه لا يستحق العبادة والتأله أحد سواه.

فمن غلا بأحد من المخلوقين حتى جعل له نصيبا من هذه الأشياء، فقد ساوى به رب العالمين، وذلك أعظم الشرك.

ومن رفع أحدا من الصالحين فوق منزلته التي أنزله الله بها فقد غلا فيه، وذلك وسيلة إلى الشرك وترك الدين.

**والناس في معاملة الصالحين ثلاثة أقسام:**

أهل الجفاء الذين يهضمونهم حقوقهم، ولا يقومون بحقهم من الحب والموالاة لهم والتوقير والتبجيل.

وأهل الغلو الذين يرفعونهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله بها.

وأهل الحق الذين يحبونهم ويوالونهم، ويقومون بحقوقهم الحقيقية، ولكنهم يبرءون من الغلو فيهم، وادعاء عصمتهم، والصالحون أيضا يتبرءون من أن يدعوا لأنفسهم حقا من حقوق ربهم الخاصة، كما قال الله عن عيسى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ [المائدة: ١١٦].

**واعلم أن الحقوق ثلاثة:**

**حق خاص لله:** لا يشاركه فيه مشارك، وهو التأله له وعبادته وحده لا شريك له، والرغبة والإنابة إليه حبا وخوفا ورجاء.

**وحق خاص للرسل:** وهو توقيرهم وتبجيلهم والقيام بحقوقهم الخاصة.

**وحق مشترك:** وهو الإيمان بالله ورسله وطاعة الله ورسله ومحبة الله ورسله، ولكن هذه لله أصلا وللرسل تبعا لحق الله.

فأهل الحق يعرفون الفرقان بين هذه الحقوق الثلاثة، فيقومون بعبودية الله وإخلاص الدين له، ويقومون بحق رسله وأوليائه على اختلاف منازلهم ومراتبهم، والله أعلم.

Created by Universal Document Converter

## (المتن)

**ولها عنها قالت:** لما نزل برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طفق يطرح خميصة له على وجهه.

## (الشرح)

نُزِل أي أتاه ملك الموت، نُزِلَ بالشخص أي أتاه ملك الموت، نُزل بالشخص أي احتُضر أو بلغته الوفاة.

## (المتن)

**ولها عنها قالت:** لما نزل برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها فقال - وهو كذلك -: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا أخرجاه.

**ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال:** سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل؛ فإن الله قد اتخذني خليلا، كما اتخذ إبراهيم خليلا. ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك». فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن - وهو في السياق - من فعله.

## (الشرح)

**في السياق:** يعني في سياق الموت.

## (المتن)

والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يبن مسجد، وهو معنى قولها: خشي أن يتخذ مسجدا. فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا».

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد»، ورواه أبو حاتم في صحيحه.

Created by Universal Document Converter

**فيه مسائل:**

**الأولى:** ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجدا يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح، ولو صحت نية الفاعل.

**الثانية:** النهي عن التماثيل وغلظ الأمر في ذلك.

**الثالثة:** العبرة في مبالغته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك، كيف بين لهم هذا أولا، ثم قبل موته بخمس قال ما قال، ثم لما كان في السياق لم يكتف بما تقدم.

**الرابعة:** نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر.

**الخامسة:** أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم.

**السادسة:** لعنه إياهم على ذلك.

**السابعة:** أن مراده تحذيره إيانا عن قبره.

**الثامنة:** العلة في عدم إبراز قبره.

**التاسعة:** في معنى اتخاذها مسجدا.

**العاشرة:** أنه قرن بين من اتخذها مسجدا، وبين من تقوم عليهم الساعة، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته.

**الحادية عشرة:** ذكره في خطبته قبل موته بخمس: الرد على الطائفتين اللتين هما أشر أهل البدع، بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة، وهما الرافضة والجهمية. وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد.

**الثانية عشرة:** ما بلي به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من شدة النزع.

**الثالثة عشرة:** مما أكرم به من الخلة.

**الرابعة عشرة:** التصريح بأنها أعلى من المحبة.

**الخامسة عشرة:** التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة.

**السادسة عشرة:** الإشارة إلى خلافته.

## (الشرح)

Created by Universal Document Converter

طبعًا بالنسبة لما جاء في التغليظ في من عبد الله عند قبر رجلٍ صالح فكيف إذا عبده، في هذه الأحاديث تحذير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من اتخاذ القبور مساجد، أي أن يُعبد الله عَزَّ وَجَلَّ في القبر أو عند القبر.

لذلك يحرم الصلاة في المقبرة وهي ما ضمت ثلاثة قبور فأكثر، وإذا كانت محوطة يحرُم الصلاة فيها، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لعنةُ اللهِ على اليهُودِ والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائِهم مساجد»، وهذا فيه التغليظ الشديد على من فعل ذلك، وكذلك حذَّر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقال: «إن من شِرار الناس من تُدركهم الساعة وهم أحياء»، وذلك لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يبعث قُبيل قيام الساعة بريحٍ باردة فلا تمُر على نفسٍ مؤمنةٍ إلا قبضتها، فلا يبقى في الأرض إلا شِرار الناس حتى لا يُقال في الأرض الله الله، قال: «والذين يتخذون القُبور مساجِد»، ورواه أبو حاتم في صحيحه.

**فإن قال قائل:** لكن الآن مسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ داخله قبره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقبر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ داخل المسجد فما تقولون في هذا؟ ما رأيكم؟

**الجواب:** ...

**فيه ثلاثة قُبور:** النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأبو بكر، وعُمر.

**الجواب:** ...

لكن داخل في النهاية، ما رأيُكم؟ الحديث عام، هو في المسجد في النهاية.

طبعًا الجواب عن ذلك: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يُدفن في المسجد وإنما دُفن في بيته في بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ولم يدخل هذا البيت في المسجد إلا بعد انقراض أغلب الصحابة سنة أربعة وتسعين تقريبًا.

**السؤال:** ...

**جواب الشيخ:** لا نسيت أنه كان حاكم، لكن كان في خلافة من؟ الوليد بن عبد الملك إذا ما خانتني الذاكرة، فأدخل بعد توسِعة المسجد أُدخل، لكن حتى بعد إدخال البيت النبوي في المسجد هو ليس من المسجد، يعني لو فرضنا جدلًا أن المسجد وُسِّع، وهناك بيت أردنا أن نوسِعه فلم يقبل، فتجاوزوه ووسعوا المسجد من الجهة الأخرى، فالبيت ليس له حُكم المسجد، داخل البيت كأنه جزيرة لها حُكمها الخاص

Created by Universal Document Converter

ليست من المسجد، واضح، لأن المسجد ليس بالضرورة أن يكون مُربعًا ممكن أن يكون يعني يأخذ شكل هندسي آخر.

وبالتالي حتى وإن حاوط وأحاط المسجد بالحُجرة من جميع الجهات لكن داخل الحُجرة ليس من المسجد، ثم إن التابعين بعد ذلك ومن أتى وحكم المدينة وضعوا إمعانًا في إبعاد البيت أو الحُجرة عن المسجد وضعوا خلف القبر جدارًا مثلثًا بمعنى أن الجِدار الخلفي للقبر ليس مُستقيمًا وإنما هو جدار خارج هكذا، وجدار خارج هكذا فأصبح كأنه مُثلث من الخلف حتى لا يُستقبل، وهناك عِدة جُدر داخل الحُجرة تحول بينهم وبين المسجد.

**فالخُلاصة:** أن القبر ليس هناك متمسك ومستمسك لمن يزعم جواز إدخال القبور إلى المساجد بقبر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لأنه أولًا: لم يُدفن في المسجد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولم يُبنى عليه مسجد، أساسًا وإنما حصلت توسعة للمسجد النبوي فدخلت الحُجرة، دخل ما حول الحُجرة، أما الحُجرة نفسها فلا زالت ليس من المسجد، ليس بُقعةً من المسجد، واضح.

فمن اعتكف في المسجد النبوي، ودخل الحُجرة يُعتبر خرج من المسجد ليس داخل المسجد لا مانع أن يكون هناك بُقعة داخل المسجد ليست من المسجد، يُحيطها المسجد من جميع الجهات ما في مانع.

يعني لو فرضنا مثلاً تخيلوا معي: أن هذا المسجد فيه حديقة في النصف، وليس لها باب وإنما فقط وُضعت لها شبابيك حتى تُنير على المسجد ومفتوحة من فوق، فصار المسجد يعني مُربع لكن في وسطِه مُربع فارغ تخيلتم معي، ما هو وسط هذا المسجد لا يُعتبر من المسجد، فالمسجد ليس شرط أن يأخذ شكل مُربع، ممكن يأخذ أي شكل من الأشكال، ويُمكن أن يكون داخِل المسجد حُجرة أو بُقعة أو حديقة أو نحو ذلك وليبس لها حُكم المسجد، لاحظتم كيف؟ هذا هو أقرب ما يُقال في ذلك والله أعلم.

## (المتن)

**باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله.**

روى مالك في الموطأ: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اللّٰهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**.

Created by Universal Document Converter

**ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد:** ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ [النجم: ١٩]، قال: كان يلت لهم السويق، فمات فعكفوا على قبره.

**وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس:** كان يلت السويق للحاج.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: **"لعن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج"** رواه أهل السنن.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** تفسير الأوثان.

**الثانية:** تفسير العبادة.

**الثالثة:** أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه.

**الرابعة:** قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد.

**الخامسة:** ذكر شدة الغضب من الله.

**السادسة:** – وهي من أهمها– صفة معرفة عبادة اللات التي هي من أكبر الأوثان.

**السابعة:** معرفة أنه قبر رجل صالح.

**الثامنة:** أنه اسم صاحب القبر وذكر معنى التسمية.

**التاسعة:** لعنه زوارات القبور.

**العاشرة:** لعنه من أسرجها.

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ :

**باب: ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟**

**باب: ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله.**

ما ذكر المصنف في البابين يتضح بذكر تفصيل القول فيما يفعل عند قبور الصالحين وغيرهم.

**وذلك أن ما يفعل عندها نوعان:** مشروع وممنوع.

Created by Universal Document Converter

أما المشروع فهو ما شرعه الشارع من زيارة القبور على الوجه الشرعي من غير شد رحل، يزورها المسلم متبعا للسنة فيدعو لأهلها عموما، ولأقاربه ومعارفه خصوصا، فيكون محسنا إليهم بالدعاء لهم وطلب العفو والمغفرة والرحمة لهم، ومحسنا إلى نفسه باتباع السنة وتذكر الآخرة والاعتبار بها والاتعاظ.

**أما الممنوع فإنه نوعان:**

**أحدهما:** محرم ووسيلة للشرك كالتمسح بها والتوسل إلى الله بأهلها، والصلاة عندها، وكإسراجها والبناء عليها، والغلو فيها وفي أهلها إذا لم يبلغ رتبة العبادة.

**والنوع الثاني:** شرك أكبر كدعاء أهل القبور والاستغاثة بهم، وطلب الحوائج الدنيوية والأخروية منهم، فهذا شرك أكبر، وهو عين ما يفعله عباد الأصنام مع أصنامهم.

ولا فرق في هذا بين أن يعتقد الفاعل لذلك أنهم مستقلون في تحصيل مطالبه، أو متوسطون إلى الله، فإن **المشركين يقولون:** ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

فمن زعم أنه لا يكفر من دعا أهل القبور حتى يعتقد أنهم مستقلون بالنفع ودفع الضرر، وأن من اعتقد أن الله هو الفاعل وأنهم وسائط بين الله وبين من دعاهم واستغاث بهم لم يكفر.

من زعم ذلك فقد كذب ما جاء به الكتاب والسنة، وأجمعت عليه الأمة من أن من دعا غير الله فهو مشرك كافر في الحالين المذكورين، سواء اعتقدهم مستقلين أو متوسطين. وهذا معلوم بالضرورة من دين الإسلام.

فعليك بهذا التفصيل الذي يحصل به الفرقان في هذا الباب المهم الذي حصل به من الاضطراب والفتنة ما حصل، ولم ينج من فتنته إلا من عرف الحق واتبعه.

## (الشرح)

وهذا التفصيل الذي ذكره الشيخ حسن في التفريق بين المشروع والممنوع في زيارة القبور، أما ما يتعلق بزيارة النساء للقبور لم يتطرق له الشارح، قد روى حديثًا هنا ذكره أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **"أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لعن زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسُرج"**.

Created by Universal Document Converter

اختلف العُلماء رَحِمَهُ اللَّهُم، في حُكم زيارة النساء للقبور، بعد اتفاقهم على أن المرأة التي يُخشى من زيارتها للقبر حُدوثُ أمرٍ مُحرَّم يعني المرأة التي تعلم من نفسها أنها إذا ذهبت إلى المقبرة لن تتمالك نفسها ستلطُم أو تشق الجيوب أو نحو ذلك فهذا يحرم عليها الزيارة بلا نزاع كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أما المرأة التي لا يغلب على الظن حدوث أو صُدور ما يحرُم منها فقد اختلف العُلماء في زيارتها للقُبور على ثلاثة أقوال:

**جمهور العلماء:** على أن زيارة النساء للقبور مكروهة فقط، وليست مُحرَمة، أنها على الكراهة، وعلى هذا مُعتد الحنابلة، ومعتمد الشافعية، وجمع من أهل العلم، بل نقل الإمام ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ الإجماع على الكراهة، واستدل بأحاديث كثيرة منها حديث أُم عطية رَضِيَ اَللَّهُ تعالى عَنْها قالت: **"نُهينا عن إتباع الجنائز ولم يُعزم علينا"**، كذلك استدلوا بحديث المرأة التي وهذا في صحيح مُسلم، وجدها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبكي عند قبر، فقال: **«يا أمةَ الله اصبري»**، فقالت: إليك عني، فما كانت تعرف أنه هو النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإنك لم تُصب بمُصيبتي.

**والشاهد من الحديث:** أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يُنكِر عليها زيارتها للقبر، وقالوا الجمع بين النصوص، **«لعن الله زوارات القبور»**، مع إذنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أو إقراره المرأة، كذلك حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا الذي فيه: **"فماذا نقول إذا دخلنا؟"** فقال: **«السلام عليكم أهل الديار من المسلمين والمؤمنين»** إلى آخره...، قالوا مجموع النُصوص يدلُ على الكراهة.

**القول الثاني:** أن زيارة النساء للقُبور مُحرمة، وهذا يعني قول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، وابن القيم، ويُفتي به بعض المشايخ المُعاصرين، مُستندين فيه على أحاديث لع النساء زوارات القُبور.

وذهب الحنفية إلى أنه حتى لا كراهة في زيارتهم، حتى الكراهة لا، ما يوجد، وأن المرأة كالرجُل في حُكم زيارة القبر، لا فرق بين الرجل والمرأة، بل أن العِبرة والمقصد من زيارة القُبور أمران:

**وهو تذكر الآخرة:** **«إني كُنت نهيتكم عن زيارة القبُور، ألا فزوروها»**، قالوا فزوروها هذا عام، يشمل الرجال والنساء، فإنها تذكِّر الآخرة، والمرأة تحتاجُ أن تتذكر الآخرة كما يحتاجُ ذلك الرجُل، فلذلك قالوا: لا فرق لا كراهة ولا تحريم.

Created by Universal Document Converter

**أما هذا الحديث المروي هنا: «لعن الله زائرات القُبور»**، فهذا قد ضُعِّف كلمة زائرات والصواب كما ذكر جمع من المُحدثين لفظ زوارات اللاتي تكون من ديدنها هذا الأمر، أما الزائرة فيعني لفظة زائرات القُبور لم يُصححها عدد من أهل العِلم والله أعلم.

## (المتن)

**باب: ما جاء في حماية المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.**

**جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك.**

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٨، ١٢٩].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيدا، وصلوا علي؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»** رواه أبو داود بإسناد حسن ورواته ثقات.

وعن علي بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيدخل فيها فيدعو فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«لا تتخذوا قبري عيدا، ولا بيوتكم قبورا، وصلوا علي فإن تسليمكم يبلغني حيث كنتم»** رواه في المختارة.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** تفسير آية براءة.

**الثانية:** إبعاده أمته عن هذا الحمى غاية البعد.

**الثالثة:** ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته.

**الرابعة:** نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص، مع أن زيارته من أفضل الأعمال.

**الخامسة:** نهيه عن الإكثار من الزيارة.

**السادسة:** حثه على النافلة في البيت.

**السابعة:** أنه متقرر عندهم أنه لا يصلي في المقبرة.

Created by Universal Document Converter

**الثامنة:** تعليل ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب.

**التاسعة:** كونه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في البرزخ تعرض أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه.

**قال الشارح:** باب ما جاء في حماية المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

من تأمل نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب، رأى نصوصا كثيرة تحث على القيام بكل ما يقوي التوحيد وينميه ويغذيه، من الحث على الإنابة إلى الله وانحصار تعلق القلب بالله رغبة ورهبة، وقوة الطمع في فضله وإحسانه والسعي لتحصيل ذلك، وإلى التحرر من رق المخلوقين وعدم التعلق بهم بوجه من الوجوه، أو الغلو في أحد منهم، والقيام التام بالأعمال الظاهرة والباطنة، وتكميلها وخصوصا حث النصوص على روح العبودية وهو الإخلاص التام لله وحده.

ثم في مقابلة ذلك نهى عن أقوال وأفعال فيها الغلو بالمخلوقين، ونهى عن التشبه بالمشركين؛ لأنه يدعو إلى الميل إليهم، ونهى عن أقوال وأفعال يخشى أن يتوصل بها إلى الشرك، كل ذلك حماية للتوحيد، ونهى عن كل سبب يوصل إلى الشرك، وذلك رحمة بالمؤمنين ليتحققوا بالقيام بما خلقوا له من عبودية الله الظاهرة والباطنة وتكميلها، لتكمل لهم السعادة والفلاح، وشواهد هذه الأمور كثيرة معروفة.

**باب: ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان.**

**وقول الله تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠].

**وقوله تعالى:** ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

Created by Universal Document Converter

عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟ »، أخرجاه.

ولمسلم عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا».

ورواه البرقاني في صحيحه، وزاد: «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى».

**فيه مسائل:**

**الأولى:** تفسير آية النساء.

**الثانية:** تفسير آية المائدة.

**الثالثة:** تفسير آية الكهف.

**الرابعة: – وهي أهمها–:** ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع؟ هو اعتقاد قلب؟ أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها؟.

**الخامسة: قولهم:** إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلا من المؤمنين.

**السادسة: – وهي المقصود بالترجمة–** أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الأمة كما تقرر في حديث أبي سعيد.

**السابعة:** تصريحه بوقوعها: أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة.

Created by Universal Document Converter

**الثامنة:** العجب العجاب: خروج من يدعي النبوة مثل المختار مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه بأنه من هذه الأمة، وأن الرسول حق، وأن القرآن حق، وفيه أن محمدا خاتم النبيين، ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح، وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة وتبعه فئام كثيرة.

**التاسعة:** البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى، بل لا تزال عليه طائفة.

**العاشرة:** الآية العظمى: أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم.

**الحادية عشرة:** أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة.

**الثانية عشرة:** ما فيه من الآيات العظيمة منها: إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب، وأخبر بمعنى ذلك فوقع كما أخبر بخلاف الجنوب والشمال.

وإخباره بأنه أعطي الكنزين.

وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين.

## (الشرح)

يعني يُشير الشيخ أنه انتشار الإسلام كان انتشار من جهة الشرق والغرب، فليس انتشارًا جهة الشمال والجنوب، يعني بشكل أوضح.

## (المتن)

⇦ وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين.

⇦ وإخباره بأنه منع الثالثة.

⇦ وإخباره بوقوع السيف، وأنه لا يرفع إذا وقع.

⇦ وإخباره بإهلاك بعضهم بعضا، وسبي بعضهم بعضا، وخوفه على أمته من الأئمة المضلين.

⇦ وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة.

⇦ وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة.

وكل هذا وقع كما أخبر، مع أن كل واحدة منها من أبعد ما يكون في العقول.

**الثالثة عشرة:** حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين.

**الرابعة عشرة:** التنبيه على معنى عبادة الأوثان.

Created by Universal Document Converter

## (الشرح)

نعم هو في الحقيقة كلامه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وتحذيره من المتنبئين الكذابين الذين يخرجون، وإتباع الناس لهم هو في الحقيقة نظريًا مُستبعد، لكنه عمليًا وارد، الآن يخرج مجانين وسُفهاء ويُنادون بأمور يضحك منها العقلاء وتجد من يتبعهم في هذا الزمن.

يعني لو عُرض كلامهم لا أقول على القرآن والسُنة بل أقول على العُقلاء فقط لضحك منهم الناس واستهزءوا بهم، ومع ذلك يجدون أتباعهم، مثل ما انتشر الآن فيما يتعلق بما يُسمى الطاقة، ويعني الطاقة السلبية والطاقة الإيجابية، وهذه الأمور الغريبة، حتى أنني سمعت مرةً رسالةً صوتية بعثت بها امرأة لمجموعة من البنات الصِغار ومع الأسف الشديد هذه المرأة تأثَّر بها بعض البنات.

**تقول:** إذا أردتي شيء ارسمي رسمة بورقة صغيرة، واحدة تقول أنا رسمت مرة صورة رجل خالي لا عنده لا شنب ولا لحية فمن بكرة عطلت سيارتي، وقف لي واحد لا عنده شنب ولا لحية، فقلت ما به، فرسمت واحد له شنب فتقول من بُكرة ذهبت للجمعية فواجهني واحد له شنب، انظروا كيف ضحكتم على هذا الكلام هذا الكلام يتأثَّر به بعض البنات.

**وتقول لهم:** إذا أردتن شيئًا فرددوا قبل النوم أنا أريد كذا، أنا أريد كذا، يعني حتى تجعلهم مثلاً مجانين، صحيح، فلا نستغرب أن في يخرج من يدعي النبوة، الدجال يتبعه فئام من البشر، والآن في مثل هذه الأزمنة يتبعونهم مثل هؤلاء، تقول إذا أردت شيء اعزم، وهذا الأمر الذي يحصل فيه طوَّام كثيرة منها:

تعليق النفس، وتعليق القُدرة بذات الإنسان، أنت تقدر، وأنت تستطيع، أنت إذا أردت شيء ستفعله، ولا يُعلقونهم بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أنه اسأل الله، استعين بالله، لا، تقول إذا حطيت شيء برأسك ورددته وأعطيته قوة إيجابية مثل طاقة إيجابية ورسمته ورددته قبل النوم سيحصل، أين الاستعانة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ أين سؤال الله عَزَّ وَجَلَّ التوفيق؟ أين لا حول ولا قوة إلا بالله؟

هم لسان حالهم هؤلاء أنه لا حول ولا قوة إلا بالنفس، وهذا خطير، لذلك يجب أن يُحذر مثل هؤلاء.

## (المتن)

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان.**

Created by Universal Document Converter

مقصود هذه الترجمة الحذر من الشرك والخوف منه، وأنه أمر واقع في هذه الأمة لا محالة، والرد على من زعم أن من قال: لا إله إلا الله، وتسمى بالإسلام أنه يبقى على إسلامه ولو فعل ما ينافيه من الاستغاثة بأهل القبور ودعائهم، وسمى ذلك توسلا لا عبادة فإن هذا باطل.

فإن الوثن اسم جامع لكل ما عبد من دون الله لا فرق بين الأشجار والأحجار والأبنية، ولا بين الأنبياء والصالحين والطالحين في هذا الموضع- وهو العبادة- فإنها حق الله وحده، فمن دعا غير الله أو عبده فقد اتخذه وثنا وخرج بذلك عن الدين، ولم ينفعه انتسابه إلى الإسلام، فكم انتسب إلى الإسلام من مشرك وملحد وكافر ومنافق، والعبرة بروح الدين وحقيقته لا بمجرد الأسامي والألفاظ التي لا حقيقة لها.

(الشرح)

والله أعلم وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد.

Created by Universal Document Converter

شرح

كتاب القول السديد في مقاصد التوحيد

للشيخ: "عبد الرحمن السعدي" رَحِمَهُ اللَّهُ

# ﴿ما جاء في السحر﴾

لفضيلة الشيخ الدكتور

## مطلق الجاسر

- حفظه الله -

Created by Universal Document Converter

## (المتن)

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمُرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:-**

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **باب ما جاء في السحر.**

**وقول الله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

**وقوله:** ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١] قال عمر: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان.

وقال جابر: **"الطواغيت كهان كان ينزل عليهم الشيطان، في كل حي واحد".**

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«اجتنبوا السبع الموبقات»**. قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: **«الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»**

**وعن جندب مرفوعا: «حد الساحر ضربه بالسيف»**،رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف.

**وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال: "كتب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر".**

وصح **"عن حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقُتلت"** وكذلك صح عن جندب، قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** تفسير آية البقرة.

**الثانية:** تفسير آية النساء.

**الثالثة:** تفسير الجبت والطاغوت والفرق بينهما.

**الرابعة:** أن الطاغوت قد يكون من الجن وقد يكون من الإنس.

**الخامسة:** معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي.

**السادسة:** أن الساحر يكفر.

**السابعة:** أنه يقتل ولا يستتاب.

Created by Universal Document Converter

**الثامنة:** وجود هذا في المسلمين على عهد عمر فكيف بعده؟

**باب بيان شيء من أنواع السحر.**

**قال أحمد:** حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف عن حيان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه، أنه سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت**»، قال عوف: العيافة: زجر الطير، والطرق: الخط يخط بالأرض، والجبت: **قال الحسن:** إنه الشيطان، إسناده جيد، ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد**» رواه أبو داود وإسناده صحيح.

**وللنسائي من حديث أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «**من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئا وُكِلَ إليه**» ، وعن ابن مسعود أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ألا هل أنبئكم ما العضه؟ هي النميمة: القالة بين الناس**» رواه مسلم. ولهما عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن من البيان لسحرا**».

**فيه مسائل:**

**الأولى:** أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت.

**الثانية:** تفسير العيافة والطرق.

**الثالثة:** أن علم النجوم نوع من أنواع السحر.

**الرابعة:** أن العقد مع النفث من ذلك.

**الخامسة:** أن النميمة من ذلك.

**السادسة:** أن من ذلك بعض الفصاحة.

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ : **باب السحر.**

**وباب: شيء من أنواع السحر.**

وجه إدخال السحر في أبواب التوحيد أن كثيرا من أقسامه لا يتأتى إلا بالشرك، والتوسل بالأرواح الشيطانية إلى مقاصد الساحر، فلا يتم للعبد توحيد حتى يدع السحر كله قليله وكثيره.

Created by Universal Document Converter

ولهذا قرنه الشارع بالشرك، فالسحر يدخل في الشرك من جهتين: من جهة ما فيه من استخدام الشياطين ومن التعلق بهم، وربما تقرب إليهم بما يحبون ليقوموا بخدمته ومطلوبه.

ومن جهة ما فيه من دعوى علم الغيب، ودعوى مشاركة الله في علمه وسلوك الطرق المفضية إلى ذلك، وذلك من شعب الشرك والكفر.

وفيه أيضا من التصرفات المحرمة والأفعال القبيحة كالقتل والتفريق بين المتحابين والصرف والعطف والسعي في تغيير العقول، وهذا من أفظع المحرمات، وذلك من الشرك ووسائله، ولذلك تعين قتل الساحر لشدة مضرته وإفساده، ومن أنواعه الواقعة في كثير من الناس النميمة، لمشاركتها للسحر في التفريق بين الناس، وتغيير قلوب المتحابين وتلقيح الشرور. فالسحر أنواع ودركات بعضها أقبح وأسفل من بعض.

## (الشرح)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

**الحمدُ للهِ، والصَلَاةُ والسَلام على رسُول الله وعَلى آلِهِ وصحبِهِ ومن والاهُ وبعدُ:-**

قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ **باب ما جاء في السِحر**، السِحر سبب إيراده في هذا الكتاب كتاب التوحيد أن كثيرًا منه لا يتأتى إلا بشيء من الإشراك بالله عَزَّ وَجَلَّ كما نصَّ على ذلك الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **"شرحه على صحيح مُسلم"**، وكذلك الشيخ الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه **"أضواء البيان"**، عند تفسيره لسورة البقرة في آية هاروت وماروت، فقد فصَّل في السِحر وأنواعه، وذكر أن السِحر أنواع، فمنه ما يُعظَّم فيه غير الله تعالى كالكواكب والجن وغير ذلك مما يؤدي إلى الكفر، قال فهو كُفرٌ بلا نزاع.

**ومن هذا النوع:** سحر هاروت وماروت المذكور في سورة البقرة فإنه كُفرٌ بلا نزاع كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وإن كان السحر لا يقتضي الكفر فالاستعانة بخواصِ بعض الأشياء من دهانات وغيرها فهو حرامٌ حُرمةً شديدة لكنه لا يبلغ بصاحبه الكُفر.

فالسِحر الحقيقي الذي فيه قلب للحقائق في أعين الناس لا يتأتى إلا بالاستعانة بغير الله عَزَّ وَجَلَّ كالجِن والشياطين، وهم لا يخدمون من يَطلُب خدمتهم إلا إذا أشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ.

Created by Universal Document Converter

لذلك تجدهم يطلبون منهم إهانة المُصحف أو إهانة شيء من شعائر الله عَزَّ وَجَلَّ حتى يكفروا والعِياذُ بالله فيتأتى لهم خدمتهم بالسِحر، والسِحر جمهور المُسلمين على أنه حقيقة وموجود، وأنكره المُعتزلة، المُعتزلة يُنكرون أن للسِحر حقيقة، ويزعمون أن إثبات السِحر فيه تشويشٌ على إثبات النبوة، لأن إذا أثبتنا السِحر فلا يُمكننا إثبات المعجِّز.

إذا أتى نبيٌ، نبيٌ من الأنبياء بمُعجزٍ من المُعجزات فلا يمكننا أن نعتبره معجزةً، ونعتبر صاحبه نبيًا لاحتمال أن يكون سِحرًا، ولذلك قالوا ننكر السِحر من أصله، وهذا طبعًا كلامٌ ساقط ومردود لأن السحر ومُعجزات الأنبياء لا وجه للمُقارنة والتشابه بينها؛ فإن مُعجزات يأتي بها أصدق الصادقين، والسِحر يأتي به أكذب الكاذبين، ولا يلتبس فعل أصدق الصادقين مع فعل أكذب الكاذبين إلا على أغبى الناس، ولذلك لا وجه لإنكارنا للسِحر على اعتبار أنه يشتبه بالمعجزات، هذا من جهة.

**من جهةٍ أخرى:** فإن هناك فرق بين المُعجزة وبين السحر، فالسِحر يختلف عن المُعجزة أن المُعجزة فيها قلب وتغيير حقيقي لنواميس الكون، كأكل عصا موسى بعد انقلابها إلى حية لحبال وعِصي السحرة، فإن السحرة لما ألقوا حبالهم وعِصيهم خيلوا للناس أنها تسعى.

لكن مستحيل أن تأتي هذه العِصِّي والحِبال فتأكل كما تأكل الحيايى الحقيقية، لكن عصا موسى التي قلبها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى حيةٍ حقيقية فالتقمت عِصِّي وحبال السحرة أكلت هذه الحبال والعِصِّي؛ فأيقن السحرة يقينًا أن هذا ليس بسِحر، لذلك خرُّوا سُجدًا فورًا لأنهم اطلعوا على أمرٍ ليس سِحرًا، فلم يختلط عليهم السِحر.

فبالتالي لا وجه لإنكار السِحر على اعتبار أنه يختلط بالمُعجزة لأن الفرق بين المُعجزة وبين السِحر فرقٌ ظاهر، أضف إلى ذلك أن النبي إذا بعثه الله عَزَّ وَجَلَّ لا يقتصرُ في تأييده النبي على المُعجِزة فقط، بل تنضم معه براهين وبينات وآيات تُثبت أنه نبي غير المُعجزة، فبالتالي لإنكارنا للسِحر من هذه الحيثية.

**أما ما جاء في قوله** عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«ألا هل أنبئكُم ما العضهُ؟ هي النميمة: القالة بين الناس»**، **والعضه:** هو السحر كما قال ابن مسعود وعِكرمة فشبَّه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النميمة بالسِحر، ووجه ذلك أن النميمة والسِحر يتشابهان في الثمرة، فالسِحرُ من ثمراته القبيحة، التفريق بين الناس، وقلب القلوب، بأن

Created by Universal Document Converter

يجعل القلب المُحِّب مُبغِض، والقلب المُبغِض مُحب، كما فيما يُسمى بسِحر العطف، وسحر الصرف، كذلك النميمة، فإنها في ثمرتها كالسِحر في قلبها للحقائق، وفي إدخال البُغض بين الناس.

**كذلك قوله** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **«إن من البيانِ لسِحرًا»**، وذلك نفس الأمر لأن بعض البيان يفعل مفعول السِحر في قلب القلوب، بأن يجعل القلب ينتقلُ من حالٍ إلى حالٍ، وهذا الحديث ليس فيه ذم لحُسن البيان، بل بالعكس فيه مدح لحُسن البيان أنه قد يفعل مفعول السِحر في تطييره وقلبه في قُلوب الناس، وتأييدهم ويعني ربما يُستفاد أيضًا في الطاعة وفي صرف الناي إلى ما ينفعهم ويُفيدهم.

## (المتن)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **باب ما جاء في الكهان ونحوهم.**

**روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عن النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: «من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه، لم تقبل له صلاة أربعين يوما»**. وعن أبي هريرة عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«من أتى كاهنا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم»** رواه أبو داود.

وللأربعة والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما، عن: **«من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»**، ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفا.

**وعن عمران بن حصين** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **مرفوعا: «ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»** رواه البزار بإسناد جيد، ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: **«ومن أتى»** إلى آخره.

**قال البغوي:** العراف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك **وقيل:** هو الكاهن.

**والكاهن:** هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل. وقيل: الذي يخبر عما في الضمير. وقال أبو العباس ابن تيمية: العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق، وقال ابن عباس - في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم-: **«ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق»**

**فيه مسائل:**

**الأولى:** أنه لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن.

Created by Universal Document Converter

**الثانية:** التصريح بأنه كفر.

**الثالثة:** ذكر من تكهن له.

**الرابعة:** ذكر من تطير له.

**الخامسة:** ذكر من سحر له.

**السادسة:** ذكر من تعلم أبا جاد.

**السابعة:** ذكر الفرق بين الكاهن والعراف.

**قال الشيخ** رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: باب: ما جاء في الكهان ونحوهم

أي من كل من يدعي علم الغيب بأي طريق من الطرق، وذلك أن الله تعالى هو المنفرد بعلم الغيب، فمن ادعى مشاركة الله في شيء من ذلك بكهانة أو عرافة أو غيرهما، أو صدق من ادعى ذلك، فقد جعل لله شريكا فيما هو من خصائصه، وقد كذب الله ورسوله.

وكثير من الكهانة المتعلقة بالشياطين لا تخلو من الشرك، والتقرب إلى الوسائط التي تستعين بها على دعوى العلوم الغيبية، فهو شرك من جهة دعوى مشاركة الله في علمه الذي اختص به، ومن جهة التقرب إلى غير الله، وفيه إبعاد الشارع للخلق عن الخرافات المفسدة للأديان والعقول.

## (الشرح)

نعم، هذا الباب ما جاء في الكُهَّانِ ونحوهم، ونحوهِم أي كُل وسيلة يُدَّعى من خلالها الوُصول إلى عِلم الغيب، أيًا كانت هذه الوسيلة، الكُهَّان جمع كاهن، والكاهن: هو الذي يتكهَّن أي يدَّعي عِلم الغيب، وقد يُسمى عرَّافًا.

**روى مُسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أن النبي** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«من أتى عرفًا فسأله عن شيء فصدَّقه لم تُقبل له صلاة أربعين يومًا»**، وعن أبي هُريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«من أتى كاهنًا فصدَّقهُ بما يقول؛ فقد كفر بما أُنزِل على محمدٍ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»**.

**ودخل في ذلك:** كُل طريقةٍ يُدَّعى فيها عِلم الغيب أنه سيحصُل لك كذا أو سيكون لك كذا، سواءٌ كان رجلًا أو إنسانًا يجلس يقرأ الكف، أو يقرأ الفنجان، أو يُلقي الودع، ما يُسمى بالودع ونحو ذلك، وهي مجموعة من القواقِع ونحوها، أو أي طريقة.

Created by Universal Document Converter

**وكذلك يدخل في هذا:** ما يُسمى بعِلم الأبراج الذي بدأ بعض الشباب يهتموا به وهذا في الواقع لا أصل له لا من حيث الشرع ولا من حيث العِلم الحديث، الأبراج حتى التي تُكتب الآن في بعض المجلات وبعض الجرائد وبعض المواقع أن يدَّعي المُدَّعي أن من وُلد في التاريخ الفُلاني من تاريخ كذا لتاريخ كذا هو وُلد في بُرج مُعيَّن: إما بُرج الثور، أو بُرج الحمل، بُرج الحوت إلى آخره...، ثمَّ يكتبون بين كُل فترة وفترة أن أصحاب هذا البُرج سيحدث لهم كذا كذا، وسيحدث لهم كذا، أو أن شخصيتهم كذا وكذا ونحو ذلك، وهذا كُله من السفه، ولا يجوز هذا الأمر ويحرم تعاطي هذه الأمور وقراءتها، وأنها ليست من العقل، وليست من الدين وليست من الشرع.

**فإن قال قائل:** أنا أقرأها على سبيل التسلية، قل له حتى على سبيل التسلية لا يجوز لك أن تأتي العراف أو الكاهن ولو لم تُصدِقه، لا يجوز لك أن تأتي الكاهن وتسألهُ حتى لو قُلت هذا مُجرَد سؤال؛ لأنك وإن ادعيت أنك لم تُصدِقه لكن قد يؤثِّر فيك الكلام.

كما يزعمون أن في بعض المواقع إذا وضعت بياناتك سيُعطيك متى سوف تموت؟ في بعض المواقع الذين يزعمون إذا وضعت تاريخ ميلادك وبعض البيانات يسألونك بعض الأسئلة فيُعطيك تاريخ الوفاة، فإن قال قائل أنا سأدخُل لمُجرد التسلية، ثم يظهر له تاريخ، أنا أجزم تمامًا أنه سيخاف من هذا التاريخ فلماذا الإنسان يوقع نفسه في هذا الإشكال، لذلك لا يجوز قراءة ولا الاطلاع على أي وسيلةٍ تدَّعي علم الغيب أنك ستموت ستحيا ستعيش، ستغتني، ستفتقر، هذا كُله كذب.

وإن صادف حصول شيء صُدفةً هكذا صواب؛ فلا يعني أنه صادق فيما يقول.

## (المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **باب ما جاء في النشرة.**

**عن جابر:** أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئل عن النشرة فقال: **«هي من عمل الشيطان»**، رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.

**وفي البخاري عن قتادة: قلت لابن المسيب: "رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته، أتحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه".**

**وروي عن الحسن أنه قال: "لا يحل السحر إلا ساحر"، قال ابن القيم: "النشرة حلُّ"**

Created by Universal Document Converter

## (الشرح)

حلُ، يعني فك.

## (المتن)

**وروي عن الحسن أنه قال: "لا يحل السحر إلا ساحر".**

**قال ابن القيم: "النشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: أحدهما: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور. والثاني: النشرة بالرؤية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز".**

**فيه مسائل:**

**الأولى:** النهي عن النشرة.

**الثانية:** الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه، مما يزيل الإشكال.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **باب النشرة.**

وهو حل السحر عن المسحور، ذكر فيه المصنف كلام ابن القيم في التفصيل بين الجائز منه والممنوع، وفيه كفاية.

## (الشرح)

**نعم النُشرة:** حلُ السِحر عن المسحور وهي نوعان:

**نوعٌ مُحرَّم:** وهو حل السِحر بالسِحر، أن يأتي إلى ساحر ليحُل له ذلك، والنوع الثاني مُباح وهو الرُقى، الرُقية الشرعية، والتعوذات، والدعوات، والأدوية المُباحة، ومما ينبغي أن يُعلم، أن ليس كُل تغيُر يحدث للإنسان بالضرورة أن يكون هناك في سِحر أو عين أو نحو ذلك، فلا ينبغي للإنسان أن يدخل في هذا الباب، يدخل فيه الوسواس.

فقد يكون هناك مرض عُضوي في الإنسان، لذلك الوسواس من هذه الأمور من العين والسِحر ليس صحيحًا، الإنسان إذا أصابه شيء لا بأس أن يذهب يتعالج يفحص نفسه، ويقرن ذلك بالرُقى، الرُقية

Created by Universal Document Converter

الشرعية، والدعوات، وقراءة القرآن ونحو ذلك، ولا يعني يظن أن كُل حدث يحدُث له أنه إما به عين أو سِحر أو نحو ذلك، فإن فتح باب الوسواس في هذه الأمور ليس جيدًا.

والرقى لها تفاصيل وشروط وأحكام قد أفردت لها محاضرة كاملة من أراد فليرجع إليها موجودة في اليوتيوب.

**(المتن)**

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى **باب ما جاء في التطير.**

**(الشرح)**

**لحظة، باب ما جاء في التطير وقول الله تعالى.**

**(المتن)**

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **باب ما جاء في التطير.**

**وقول الله تعالى:** ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١].

**وقوله:** ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [يس: ١٩]، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر»** أخرجاه، زاد مسلم: **«ولا نوء، ولا غول»** ، ولهما عن أنس قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا عدوى، ولا طيرة، ويعجبني الفأل»** قالوا: وما الفأل؟ قال: **«الكلمة الطيبة»** ولأبي داود بسند صحيح.

عن عروة بن عامر

**(الشرح)**

عن عُقبة هو في الأصل عُقبة، لكن الصواب أنه عُروة.

**(المتن)**

**ولأبي داود بسند صحيح، عن عروة بن عامر، قال:** ذُكِرَت الطِّيَرَةُ عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: **«أحسنها الفأل، ولا ترد مسلما، فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليقل: اللّهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»**.

Created by Universal Document Converter

وله من حديث ابن مسعود مرفوعا: **"الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا ... ولكن الله يذهبه بالتوكل"**.

## (الشرح)

وما منا إلا...، وهذا من كلام ابن مسعود، يقول وما منا إلا...، يعني ما منا إلا ويشعر في نفسه بشيء من التطير نحو بعض الأشياء، قال: لكن الله يُذهبه بالتوكل، فلا يسترسل الإنسان مع ما في نفسه من تشاؤم وانقباض من بعض الأمور بل يتكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

## (المتن)

**وله من حديث ابن مسعود مرفوعا: "الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا ... ولكن الله يذهبه بالتوكل"** رواه أبو داود والترمذي وصححه. وجعل آخره من قول ابن مسعود. ولأحمد من حديث ابن عمرو: **"من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك. قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن يقول: اللّهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طلبك، ولا إله غيرك"**.

**وله من حديث الفضل بن عباس: "إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك"**.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** التنبيه على قوله: ﴿إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١] مع قوله ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ [يس: ١٩]

**الثانية:** نفي العدوى.

**الثالثة:** نفي الطيرة.

**الرابعة:** نفي الهامة.

**الخامسة:** نفي الصفر.

**السادسة:** أن الفأل ليس من ذلك، بل مستحب.

**السابعة:** تفسير الفأل.

**الثامنة:** أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر، بل يذهبه الله بالتوكل.

**التاسعة:** ذكر ما يقول من وجده.

Created by Universal Document Converter

**العاشرة:** التصريح بأن الطيرة شرك.

**الحادية عشرة:** تفسير الطيرة المذمومة.

قال الشارح رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **باب الطيرة.**

وهو التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ والبقاع وغيرها، فنهى الشارع عن التطير وذم المتطيرين، وكان يحب الفأل ويكره الطيرة.

**والفرق بينهما:** أن الفأل الحسن لا يخل بعقيدة الإنسان ولا بعقله، وليس فيه تعليق القلب بغير الله، بل فيه من المصلحة: النشاط والسرور وتقوية النفوس على المطالب النافعة.

## (الشرح)

مثل إنسان يسمع اسم إنسان فيه فأل كما سأل النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن من يأتي للمحاورة في صُلح الحُديبية وقيل من فقيل: سُهيل بن عمرو، فقال: «سهل أمركم»، واضح، فهذا لا بأس بل هو يدفع للنشاط والسرور ونحو ذلك.

## (المتن)

**قال:** وصفة ذلك أن يعزم العبد على سفر أو زواج أو عقد من العقود، أو على حالة من الأحوال المهمة ثم يرى في تلك الحال ما يسره، أو يسمع كلاما يسره مثل يا راشد أو سالم أو غانم، فيتفاءل ويزداد طمعه في تيسير ذلك الأمر الذي عزم عليه، فهذا كله خير وآثاره خير، وليس فيه من المحاذير شيء. وأما الطيرة فإنه إذا عزم على فعل شيء من ذلك من الأمور النافعة في الدين أو في الدنيا، فيرى أو يسمع ما يكره أثر في قلبه أحد أمرين، أحدهما أعظم من الآخر:

**أحدهما:** أن يستجيب لذلك الداعي فيترك ما كان عازما على فعله أو بالعكس، فيتطير بذلك وينكص عن الأمر الذي كان عازما عليه، فهذا كما ترى قد علق قلبه بذلك المكروه غاية التعليق وعمل عليه، وتصرف ذلك المكروه في إرادته وعزمه وعمله، فلا شك أنه على هذا الوجه أثر على إيمانه وأخل بتوحيده وتوكله، ثم بعد هذا لا تسأل عما يحدثه له هذا الأمر من ضعف القلب ووهنه وخوفه من المخلوقين وتعلقه بالأسباب وبأمور ليست أسبابا، وانقطاع قلبه من تعلقه بالله، وهذا من ضعف التوحيد والتوكل، ومن طرق الشرك ووسائله، ومن الخرافات المفسدة للعقل.

Created by Universal Document Converter

**الأمر الثاني:** أن لا يستجيب لذلك الداعي، ولكنه يؤثر في قلبه حزنا وهما وغما، فهذا وإن كان دون الأول لكنه شر وضرر على العبد، وضعف لقلبه وموهن لتوكله، وربما أصابه مكروه فظن أنه من ذلك الأمر فقوي تطيره، وربما تدرج إلى الأمر الأول.

فهذا التفصيل يبين لك وجه كراهة الشارع للطيرة وذمها، ووجه منافاتها للتوحيد والتوكل. وينبغي لمن وجد شيئا من ذلك، وخاف أن تغلبه الدواعي الطبيعية أن يجاهد نفسه على دفعها ويستعين الله على ذلك، ولا يركن إليها بوجه ليندفع الشر عنه.

## (الشرح)

والله أعلم وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وجزاكم الله خيرًا.

Created by Universal Document Converter

شرح

كتاب القول السديد في مقاصد التوحيد

للشيخ: "عبد الرحمن السعدي" رَحِمَهُ اللَّهُ

# ﴿ما جاء في التنجيم﴾

لفضيلة الشيخ الدكتور

## مطلق الجاسر

- حفظه الله -

Created by Universal Document Converter

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **باب ما جاء في التنجيم.**

**قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: "خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به"** انتهى.

وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما. ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق. وعن أبي موسى قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر»** رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** الحكمة في خلق النجوم.

**الثانية:** الرد على من زعم غير ذلك.

**الثالثة:** ذكر الخلاف في تعلم المنازل.

**الرابعة:** الوعيد فيمن صدَّق بشيء من السحر، ولو عرف أنه باطل.

قال الشارح رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **باب ما جاء في التنجيم.**

**التنجيم نوعان:**

**نوع يسمى علم التأثير:** وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الكونية، فهذا باطل ودعوى لمشاركة الله في علم الغيب الذي انفرد به، أو تصديق لمن ادعى ذلك، وهذا ينافي التوحيد لما فيه من هذه الدعوى الباطلة، ولما فيه من تعلق القلب بغير الله، ولما فيه من فساد العقل لأن سلوك الطرق الباطلة وتصديقها من مفسدات العقول والأديان.

**النوع الثاني:** علم التسيير: وهو الاستدلال بالشمس والقمر والكواكب على القبلة والأوقات والجهات، فهذا النوع لا بأس به، بل كثير منه نافع قد حث عليه الشارع، إذا كان وسيلة إلى معرفة أوقات العبادات، أو إلى الاهتداء به في الجهات. فيجب التفريق بين ما نهى عنه الشارع وحرمه، وبين ما أباحه أو استحبه أو أوجبه، فالأول هو المنافي للتوحيد دون الثاني.

## (الشرح)

نعم، هذا التنجيم كلمة مُجملة تُطلق على مشتقة من النجوم طبعًا، وتُطلق على نوعان، أو على نوعين:

Created by Universal Document Converter

**النوع الأول:** نوع علم التنجيم بالتأثير علم التأثير.

**النوع الثاني:** عِلم التسيير.

يعني دراسة النجوم، ومعرفة حركة النجوم، ومواقعها لغرض الاستدلال بها على الحوادث الأرضية أو الحوادث الكونية، كأن يقول القائل: إذا اقترن النجم الفلاني مع النجم الفلاني ستكون هناك مُصيبة، أو ستحدث كارثة، أو سيولد عظيم، أو سيحدث أمر مُفرح، ونحو ذلك من الخرافات فهذا لاشك أنه باطل وكذب، وسُخف في العقل، وقدح في التوحيد، لأنه دعوى لمُشاركة الله عَزَّ وَجَلَّ في عِلم الغيب، ولا يعلم الغيب إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما فيه من تعلُق القلب بغيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

**أما النوع الثاني وهو عِلم التسيير:** وهو ما يُسمى بعِلم الفلك، معرفة سير النجوم، ودراسة النُجوم والكواكِب والأفلاك بغرض دنيوي، أو حتى لو كان دينيًا كمعرفة الاتجاهات ومعرفة أوقات الصلوات، ودراسة الظواهر الفلكية ونحو ذلك فهذا لا بأس به، بل بعضه قد يصل إلى مرحلة الاستحباب، بل قد يصل إلى مرحلة الوجوب، إذا لم نتمكن من معرفة القبلة مثلاً إلا بمثل هذه الدراسة، ومعرفة القبلة شرط وواجب، وما يتم الواجب إلا به فهو واجب، فقد يصل إلى الوجوب، لابد أن يكون هناك من المُسلمين من يعرف كيف نستدل بالنجوم مثلاً على الاتجاهات، واضح.

وقد امتن الله عَزَّ وَجَلَّ علينا بخلقه النجوم بأنها زينة، وبأننا نهتدي بها كما قال سبحانه: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، ومعلومٌ أن امتنان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى علينا بشيءٍ يدلُ على أقل الأحوال على إباحته.

## (المتن)

### باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء.

وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]، وعن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»**. وقال: **«النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب»** رواه مسلم.

**ولهما عن زيد بن خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:** صلى لنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: **«هل تدرون ماذا قال ربكم؟»** **قالوا: الله**

Created by Universal Document Converter

**ورسوله أعلم، قال: قال:** «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب».

**ولهما من حديث ابن عباس معناه، وفيه:** قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآية: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ(٧٦)إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠) أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٧٥- ٨٢].

**فيه مسائل:**

**الأولى:** تفسير آية الواقعة.

**الثانية:** ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية.

**الثالثة:** ذكر الكفر في بعضها.

**الرابعة:** أن من الكفر ما لا يخرج عن الملة.

**الخامسة:** قوله: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» بسبب نزول النعمة.

**السادسة:** التفطن للإيمان في هذا الموضع.

**السابعة:** التفطن للكفر في هذا الموضع.

**الثامنة:** التفطن لقوله: «لقد صدق نوء كذا وكذا».

**التاسعة:** إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها لقوله: **"أتدرون ماذا قال ربكم؟ "**

**العاشرة:** وعيد النائحة.

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ: **باب الاستسقاء بالنجوم**

لما كان من التوحيد الاعتراف لله بتفرده بالنعم ودفع النقم، وإضافتها إليه قولا واعترافا، واستعانة بها على طاعته كان قول القائل: مطرنا بنوء كذا وكذا، ينافي هذا المقصود أشد المنافاة لإضافة المطر إلى النوء.

والواجب إضافة المطر وغيره من النعم إلى الله، فإنه الذي تفضل بها على عباده. ثم الأنواء ليست من الأسباب لنزول المطر بوجه من الوجوه، وإنما السبب عناية المولى ورحمته وحاجة العباد وسؤالهم لربهم بلسان الحال ولسان المقال، فينزل عليهم الغيث بحكمته ورحمته في الوقت المناسب لحاجتهم وضرورتهم.

Created by Universal Document Converter

فلا يتم توحيد العبد حتى يعترف بنعم الله الظاهرة والباطنة عليه وعلى جميع الخلق، ويضيفها إليه ويستعين بها على عبادته وذكره وشكره. وهذا الموضع من محققات التوحيد، وبه يعرف كامل الإيمان وناقصه.

## (الشرح)

نعم الاستسقاء فيه كما ذكر الشيخ هنا تفصيل حيث إذا كان الإنسان في قوله مُطرنا بنوء كذا؛ أن هذا النوء هو السبب وهو الذي أنزل المطر فلا شك أن هذا نوع من الشرك، أما إذا كان مُعتقدًا لما قال مُطرنا بنوء كذا إن كان مُعتقدًا أن النوء.

والنوء يعني النجم، والحدث الفلكي هو الموجِد للمَطر، فهذا كُفر أكبر، وإن اعتقد أنه سبب فهذا كُفرٌ أصغر، أما إذا قال: مُطرنا في نوء كذا، في هذا النوء يعني ظرف زمان يعني أثناء هذا الحدث الفلكي المُعين حصل هذا المطر؛ فهذا لا بأس به ولا يُعتبر نوعًا من الشِرك.

وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أربعٌ في أُمتي من أمرِ الجاهليةِ لا يتركونهم: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاءُ بالنُجوم، والنياحة»، فهذه الأمر الأربعة من أفعال أهل الجاهلية -أي الكفار- قبل عهد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، منها:

**الفخر بالأحساب:** أي أن يتفاخر ويرى كُل إنسانٍ أنه أفضل من غيره نسبًا، ويتفاخرون على بعض، فالتفاخُر والفخر أي أن يرى كُل إنسانٍ أنه أفضل نسبًا من الآخر، ولاشك أن هذا فيه نوع من الكِبر وفيه تفضيل بمعيارٍ لا يُساوي أو لا يعني شيئًا؛ لأن الإنسان لم يختر نسبه، ولم يختر قبيلته، ولم يختر حتى اسمه، وإنما هو بتقدير الله عَزَّ وَجَلَّ ففيما الفخرُ لم تفعل أنت فيه شيئًا.

**كذلك الطعنُ في الأنساب:** وتشكيك الناس ببعض أنسابها، بأنساب الآخرين هذا أيضًا من أمر الجاهلية، كذلك الاستسقاء بالنجوم، وهذا هو وجه الشاهد من الحديث، وكذلك النياحة، والنياحة رفع الصوت بالبُكاء على وجه التسخُّط بأن تبكي المرأة على الميت وامتيَّاه وكذا وتبكي وتشق ثوبها وتلطمُ خدَّها، وقد نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن كُل هذه الأفعال.

## (المتن)

**باب قول الله تعالى:** ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

Created by Universal Document Converter

**وقوله:** ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة: ٢٤]، عن أنس أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **"لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"** أخرجاه.

**ولهما عنه قال:** قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار»**، وفي رواية: **«لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله»** إلى آخره...

**وعن ابن عباس قال: "من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان- وإن كثرت صلاته وصومه- حتى يكون كذلك. وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئا"** رواه ابن جرير، **وقال ابن عباس في قوله:** ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] قال: المودة.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** تفسير آية البقرة.

**الثانية:** تفسير آية براءة.

**الثالثة:** وجوب تقديم محبته صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على النفس والأهل والمال.

**الرابعة:** أن نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام.

**الخامسة:** أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها.

**السادسة:** أعمال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله إلا بها، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها.

**السابعة:** فهم الصحابي للواقع: أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا.

**الثامنة: تفسير:** ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].

**التاسعة:** أن من المشركين من يحب الله حبا شديدا.

**العاشرة:** الوعيد على من كان الثمانية أحب إليه من دينه٥.

Created by Universal Document Converter

**الحادية عشرة:** أن من اتخذ ندا تساوي محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر.

**قال الشارح** رَحِمَهُ اللَّهُ: **قول الله تعالى:** ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

**أصل التوحيد وروحه:** إخلاص المحبة لله وحده، وهي أصل التأله والتعبد له، بل هي حقيقة العبادة، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه، وتسبق محبته جميع المحاب وتغلبها، ويكون لها الحكم عليها بحيث تكون سائر محاب العبد تبعا لهذه المحبة التي بها سعادة العبد وفلاحه. ومن تفريعها وتكميلها الحب في الله، فيحب العبد ما يحبه الله من الأعمال والأشخاص، ويبغض ما يبغضه الله من الأشخاص والأعمال، ويوالي أولياءه ويعادي أعداءه، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده.

أما اتخاذ أنداد من الخلق يحبهم كحب الله، ويقدم طاعتهم على طاعة الله، ويلهج بذكرهم ودعائهم فهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، وصاحب هذا الشرك قد انقطع قلبه من ولاية العزيز الحميد، وتعلق بغيره ممن لا يملك له شيئا، وهذا السبب الواهي الذي تعلق به المشركون سينقطع يوم القيامة أحوج ما يكون العبد لعمله، وستنقلب هذه المودة والموالاة بغضا وعداوة.

**واعلم أن أنواع المحبة ثلاثة أقسام:**

**الأول:** محبة الله التي هي أصل الإيمان والتوحيد.

**الثاني:** المحبة في الله وهي محبة أنبياء الله ورسله وأتباعهم، ومحبة ما يحبه الله من الأعمال والأزمنة والأمكنة وغيرهم، وهذه تابعة لمحبة الله ومكملة لها.

**الثالث:** محبة مع الله وهي محبة المشركين لآلهتهم وأندادهم من شجر وحجر وبشر وملك، وغيرها، وهي أصل الشرك وأساسه.

**وهنا قسم رابع:** وهو المحبة الطبيعية التي تتبع ما يلائم العبد ويوافقه من طعام وشراب ونكاح ولباس وعشرة وغيرها ، وهذه إذا كانت مباحة إن أعانت على محبة الله وطاعته دخلت في باب العبادات ، وإن صدت عن ذلك وتوسل بها إلى ما لا يحبه الله دخلت في المنهيات ، وإلا بقيت من أقسام المباحات والله أعلم

Created by Universal Document Converter

## (الشرح)

نعم، هذا الباب يتكلم فيه المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن المحبة، والمحبة، محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هي رأس العبادة، فقد شبَّه الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ العبادة بالطائر له رأسٌ وجناحان، فرأسه المحبة، وجناحاه الخوف والرجاء.

**فإن قال قائل:** المحبة أمرٌ قلبي، فكيف أؤمر بأمرٍ قلبي ليس لي يدٌ فيه، فلما أقول لك أحِّب كذا أنت لا تملك أن تُحبَ وتبغض، وإنما الذي يُحب ويُبغض هو القلب، إذا رأى أمورًا يُحب، وإذا رأى أمورًا يُبغِض، فليس أمرُ المحبةِ أمرًا إراديًا، فكيف نؤمر بمثل ذلك؟ **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحَّب إليه من ولده ووالده والناسِ أجمعين»**، إلى آخره...، فما قولكم في هذا؟

كيف نؤمر بشيء لا يد لنا فيه؟

**الجواب:** ...

أحسنت، نقول لا نُسلِّم أن المحبة أمرٌ لا إرادي، لا نُسلِّم بذلك، وإنما إذا أُمرنا بأمرٍ يتعلق بالقلب؛ فالمقصود الإتيان بأسبابه، ومعلوم أن من حسُنت معرفته بالله، واطلع على معرفة ربِّه سبحانه، وعرف ما لربه من صفات فإنه لا يملكُ إلا أن يُحبه، لأن المحبة، القليب تأتيه المحبة نتيجة ماذا؟ أي شيء، تأتيه المحبة من ماذا؟

إما من نفعٍ يُحصِّله، فإذا أتاك إنسان ونفعك بشيء سواء نفعًا ماديًا أو نفعًا معنويًا فيوجد ذلك ويُورث ذلك في القلب محبة.

**الأمر الثاني:** دفع ضرر، فإن إنسانًا إذا أنقذك من مُصيبة أو أخرجك من مُشكلة كنت ستقع فيها يورثك ذلك محبةً له.

**كذلك من أسباب المحبة:** الجمال، فأحيانًا تُحِبُ شيئًا لم ينفعك، ولم يدفع عنك ضررًا لكنك تُحِبه لجمالِه، وجميل صفاته، التي قد لا يصل إليها منك شيء، وأحيانًا تُحِب الجلال يعني العظمة، و كُل هذه الأمور الأربعة لله عَزَّ وَجَلَّ فيها أعظم ما يكون، فمن تفكَّر في كُل ما ينتفع منه الإنسان فإن الله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي خلقه.

Created by Universal Document Converter

فعينك التي ترى بها كل شيء خلقها لك الله، وسمعك خلقه لك الله، وجسدك الذي أودع الله عَزَّ وَجَلَّ فيه من الوظائف والأعضاء ما لا يُمكننا أن نستوعبه فضلًا عن أن نُحرِكه، لا نستوعِب ماذا يحدث في جسدنا بشكل تفصيلي، فضلًا عن أن نفعل مثله، فأنت تأكُل اللُقمة لا تعلم عنها شيئًا.

بعد أن تأكلها قد هيأ الله عَزَّ وَجَلَّ منذ إدخالها في فمك أسبابًا لنفعِك، من اللُعاب الذي في فمِك، مع الأسنان في مضغها، ونوَّع الله عَزَّ وَجَلَّ الأسنان في فمِك لمضغ الطعام وتقطيعه، واللسان، والمريء، وكيف هيأ الله عَزَّ وَجَلَّ المريء الذي يسلك بهذه اللقمة الممضوغة إلى المعدة.

ثم هيأ الله عَزَّ وَجَلَّ في المعدة عَصارات وأعمال تهضم هذا الطعام، ثم بعد ذلك تؤخذ الفوائد من هذا الطعام، ثم بعد ذلك يُدفع إلى الأمعاء ويُهيئ للخروج، كُل هذا يحدث وأنت لا تشعُر به، بل رُبما تنام، وأنت نائِم وغائب عن الوعي يحدث كُل هذا في جسدك، هذه وظيفة واحدة.

فإذا ما انتقلنا إلى الأعصاب، فإذا ما انتقنا إلى الدورة الدموية، فإذا ما انتقلنا إلى التنفُس، وانتقلنا، وهذا فقط فيك كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة: ٢٧]، فهذا النفع الذي لا نستطيع له إحصاءً ما سببه؟ الله عَزَّ وَجَلَّ، الضرر الذي يُدفع عنك، كم من ضررٍ كاد أن يُصيبك؛ فرفعه الله عَزَّ وَجَلَّ عنك.

**الجمال:** من صفات الله عَزَّ وَجَلَّ كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن الله جميلٌ يُحب الجمال»**.

**فإن قال قائل:** أنا لم أرى بعيني، قل: بل رأيت، فكُل جمال في الدنيا من الذي خلقه؟ الله عَزَّ وَجَلَّ، وكذلك ينبغي عليك أن تطلع على صِفات الله، لذلك إذا كُنت كلما كُنت مُطلِعًا على صِفات الله عَزَّ وَجَلَّ وعلى أسمائه وعلى أفعاله؛ ازددت له محبة، وازددت له أيضًا خشية.

**فقد قال الله** عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، لأنهم أخذوا بأسباب الخشية وهي العِلم، وكذلك أخذوا بأسباب المحبة، وبالتالي نقول: فعلًا لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولدِه ووالده والناس أجمعين أي النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

**كذلك كما قال سبحانه:** ﴿مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فإن العقل والمنطق السليم إذا استعمله الإنسان وكان مُنصفًا مجردًا واطلع على ما فعله الله عَزَّ وَجَلَّ

Created by Universal Document Converter

لك، وعلى نعم الله عَزَّ وَجَلَّ عليك، فإنه لا يجوز أن يُساوي أحدٌ الله عَزَّ وَجَلَّ في مقدار المحبة، فهناك محبةٌ لا تجوز إلا لله عَزَّ وَجَلَّ.

ومن هُنا من كان في قلبه محبةٌ لله عَزَّ وَجَلَّ فهذا هو المؤمن، أما من لا يجد في قلبه محبة لله عَزَّ وَجَلَّ فهذا ناقص الإيمان بل ناقص العقل والمعرفة، بل هو جاهل، ويتفرَّع عن ذلك أمرٌ مهمٌ جدًّا وهو الطاعة، فإن المحبَ لمن يُحبُّ مُطيعٌ، ومن أكبر علامات المحبة الطاعة، فإن المُحب لا يتحمل أن يعصي محبوبه، لذلك قال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

فالذي يُقدِّم طاعة غير الله عَزَّ وَجَلَّ على طاعة الله فهذا علامةٌ على أنه قدَّم محبة غير الله على محبة الله، وهذه علامة سوء، فإن بعض الناس يرتكب المُحرمات إرضاءً لمخلوق من المخلوقات أيًا كان هذا المخلوق، فهذا يعني أن محبة هذا المخلوق في قلبه أعظم من محبة الله، وإلا لما قدَّم على طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ شيئًا.

**لذلك قال** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **«ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يَكون اللهُ ورسُولهُ أحَب إليه مما سِواهُما»**، إذا وصل الإنسان إلى مرحلة أن يكون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحبَّ إليه من كُل شيء، فهذا يجد حلاوة الإيمان ولن يُقدِّم على طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ وطاعة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا، ويتفرَّع على ذلك أيضًا:

**التفرُّع الأول:** الطاعة، محبة الله.

**التفرُّع الثاني عن ذلك:** أن تُحِّب ما يُحِبه الله، بدءًا من البشر والمؤمنين وانتهاءً بالأفعال والأعمال التي يُحبها الله، لذلك قال: **«وأن يُحب المرء لا يُحبه إلا لله»**، فيكون معايير المحبة عندك والتقرُب هي معايير إيمانية فتُحب من يُحب الله ورسوله، وتُبغِض من يُبغِض الله ورسوله، **«وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار»**، لذلك ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: **"من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله؛ فإنما تُنالُ ولاية الله بذلك"**.

Created by Universal Document Converter

ولي الله حقًا هو الذي إذا أحبَّ أحب في الله ولله، وإذا أبغض أبغضَ لله، وإذا عادى لله، «ولن يجدَ عبدٌ طعم الإيمان وإن كثُرت صلاتُه وصومه حتى يكون كذلك»، وهذا واقِع، لأن الذي لا يُحب لله، لا يُحب الله، أو الذي لا يُحب لله وفي الله، هذا يعني أنه لا يُوجد في قلبه محبة عظيمة لله عَزَّ وَجَلَّ.

إذًا أصل هذه الأمور كُلها محبة الله، ومنها يتفرع الطاعة، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ومنها يتفرع الحُب في الله والبُغض في الله، أصل ذلك كُله محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

## (المتن)

**باب قول الله تعالى:** ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

**وقوله:** ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨]، وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]. وعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا: «إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره».

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من التمس رضا الله بسخط الناس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس» رواه ابن حبان في صحيحه.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** تفسير آية آل عمران.

**الثانية:** تفسير آية براءة.

**الثالثة:** تفسير آية العنكبوت.

**الرابعة:** أن اليقين يضعف ويقوى.

**الخامسة:** علامة ضعفه، ومن ذلك هذه الثلاث.

**السادسة:** أن إخلاص الخوف لله من الفرائض.

Created by Universal Document Converter

**السابعة:** ذكر ثواب من فعله.

**الثامنة:** ذكر عقاب من تركه.

**قال الشارح** رَحِمَهُ اللَّهُ: **باب قول الله تعالى:** ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ [آل عمران: ١٧٥] الآية...

هذا الباب عقده المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لوجوب تعلق الخوف والخشية بالله وحده، والنهي عن تعلقه بالمخلوقين، وبيان أنه لا يتم التوحيد إلا بذلك. ولا بد في هذا الموضع من تفصيل يتضح به الأمر ويزول الاشتباه. اعلم أن الخوف والخشية تارة يقع عبادة، وتارة يقع طبيعة وعادة وذلك بحسب أسبابه ومتعلقاته.

فإن كان الخوف والخشية خوف تأله وتعبد، وتقرب بذلك الخوف إلى من يخافه، وكان يدعو إلى طاعة باطنة وخوف سري يزجر عن معصية من يخافه، كان تعلقه بالله من أعظم واجبات الإيمان، وتعلقه بغير الله من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ؛ لأنه أشرك في هذه العبادة التي هي من أعظم واجبات القلب غير الله مع الله، وربما زاد خوفه من غير الله على خوفه من الله.

وأيضا فمن خشي الله وحده على هذا الوجه فهو مخلص موحد، ومن خشي غيره فقد جعل لله ندا في الخشية، كمن جعل لله ندا في المحبة، وذلك كمن يخشى من صاحب القبر أن يوقع به مكروها، أو يغضب عليه فيسلبه نعمة أو نحو ذلك، مما هو واقع من عباد القبور.

وإن كان الخوف طبيعيا كمن يخشى من عدو أو سبع أو حية أو نحو ذلك مما يخشى ضرره الظاهري، فهذا النوع ليس عبادة، وقد يوجد من كثير من المؤمنين ولا ينافي الإيمان، وهذا إذا كان خوفا محققا قد انعقدت أسباب الخوف فليس بمذموم.

وإن كان هذا خوفا وهميا كالخوف الذي ليس له سبب أصلا، أو له سبب ضعيف فهذا مذموم يدخل صاحبه في وصف الجبناء، وقد تعوذ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الجبن فهو من الأخلاق الرذيلة، ولهذا كان الإيمان التام والتوكل والشجاعة تدفع هذا النوع، حتى إن خواص المؤمنين وأقوياءهم تنقلب المخاوف في حقهم أمنا، وطمأنينة لقوة إيمانهم وشجاعتهم الشجاعة القلبية، وكمال توكلهم، ولهذا أتبعه بهذا الباب.

**(الشرح)**

Created by Universal Document Converter

هذا الباب تكملة للباب الذي قبله وهو ما يتعلق بخشية الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ والخوف منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ

**يقول سبحانه:** ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، المؤمن مطلوبٌ منه أن يُحِّب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وأن يخاف منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وأن يرجوه، وهذه الأمور الثلاثة متكاملة وليس متعارضة، لأن بعض الناس يقول كيف أُحب وأخاف؟

**نقول:** لا تعارض، لأن المُحب مُطيع، ويخاف أن يعصي محبوبه، يخاف من غضبِ محبوبه عليه، ولا يحتمل قطيعة محبوبه معه، وبالتالي لا تعارض بين المحبة، أن تُحِب فلانًا وأن تخاف منه والخوف منه ليس المقصود الخوف من الله أي أن تخاف عذابهُ أو بطشَه دون سبب، لا، أن تخاف أن تقع أنت في أسباب عقوبته وعذابه.

أما هو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فلن يُعاقبك ويُجازيك إلا على أعمالك، فلذلك أنت تخاف من الله بمعنى تخافُ إذا أخطأت أنت أن يُحاسبك الله على خطئِك، وهذا لا يُنافي المحبة أبدًا، فالولد مثلًا يُحِّب أباه ويَخافُ من معصِيته، وقد يخاف الإنسان من معصية من يُحب، خشية أن يقطع الصلة بينه وبينه فلا تعارض بين ذلك.

**وقوله سبحانه:** ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨]، والمقصود الخشية التي لا تليق إلا بالله عَزَّ وَجَلَّ، لذلك الشارح رَحِمَهُٱللَّهُ فصَّل وجعل الخوف نوعان: خوف عِبادة، وخوف عادة الذي نُسمية.

**خوف العبادة:** هو الخوف الذي يستولي على الإنسان في كل أحواله، يخاف في كُل أحواله، يخاف في كُل أحواله.

**أمَا خوف العادة الطبيعي:** هو الخوف الذي يجده الإنسان عند حدوثِ سببٍ لهذا الخوف، كما ذكر الخوف من العقارب، الخوف من الحيات، الخوف من المؤذيات، فيأتي مع وجود السبب، لكن إذا غاب السبب ينبغي أن يغيب الخوف.

أما إذا كان في الإنسان خوف من شيء مخلوق يُلازِمه في حُضوره وغيبته، فهذا خوف شِركي، كمن يخاف من إنسان وهو غائب عنه، لأن هذا فرع عن اعتقادٍ مُعيَّن ي هذا المخلوق، أنه قادرٌ على إيقاع العقوبة عليه وهو بعيد.

Created by Universal Document Converter

**مثلاً:** يخاف من ميت، وهذا لا شك أن هذا الخوف ما حدث عنده إلا نتيجة اعتقادات مُعينة في هذا الميت، أنه يؤذي وأنه ينفع وأنه يضر، لذلك هذا الخوف لا يليق إلا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن حدث عنده هذا الخوف الذي لا يليق إلا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من مخلوق من المخلوقات فهذا لا شك أنه يقدَحُ في توحيده وإيمانه.

**أما الخوف الطبيعي:** الذي يأتي مع وجود أسبابه ويزول مع زوالها؛ فلا شك أن هذا لا يقدح في إيمان المؤمنين.

والله أعلم وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Created by Universal Document Converter

شرح

كتاب القول السديد في مقاصد التوحيد

للشيخ: "عبد الرحمن السعدي" رَحِمَهُ اللَّهُ

# ﴿قوله: وعلى اللّه فتوكلوا﴾

لفضيلة الشيخ الدكتور

## مطلق الجاسر

- حفظه الله -

Created by Universal Document Converter

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

الحمدُ للهِ ربِ العَالمينَ، والصَلَاةُ والسلامُ الأَتمَّانِ الأكْمَلَانِ عَلى المَبعُوثِ رَحْمَةً للعَالَمِينَ، نَبِيِّنا مُحَمَدٍ وعَلى آلِهِ وصَحبِهِ أَجْمَعِينَ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بإحسانٍ إلَى يَوْمِ الدِّينِ وَاجْعَلْنَا مَعَهُم بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، اللَّهُمّ عَلِمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، وارفَعْنِا وانفَعنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَزِدْنَا عِلْمًا وَاغْفِرْ لَنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ أَمَّا بعدُ:-

فقد وصلنا إلى باب قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

## (المتن)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين اللّهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين أما بعد:-

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

وعن ابن عباس قال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين أُلقي في النار، وقالها محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] رواه البخاري والنسائي.

فيه مسائل:

**الأولى:** أن التوكل من الفرائض.

**الثانية:** أنه من شروط الإيمان.

**الثالثة:** تفسير آية الأنفال.

**الرابعة:** تفسير الآية في آخرها.

الخامسة: تفسير آية الطلاق.

**السادسة:** عظم شأن هذه الكلمة، وأنها قول إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الشدائد.

Created by Universal Document Converter

**قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب قول الله تعالى:** ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

التوكل على الله من أعظم واجبات التوحيد والإيمان، وبحسب قوة توكل العبد على الله يقوى إيمانه، ويتم توحيده، والعبد مضطر إلى التوكل على الله والاستعانة به في كل ما يريد فعله أو تركه من أمور دينه أو دنياه.

**وحقيقة التوكل على الله:** أن يعلم العبد أن الأمر كله لله، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه هو النافع الضار المعطي المانع، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه، وفي دفع المضار، ويثق غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه، وهو مع هذا باذل جهده في فعل الأسباب النافعة.

فمتى استدام العبد هذا العلم وهذا الاعتماد والثقة فهو المتوكل على الله حقيقة، وليبشر بكفاية الله له ووعده للمتوكلين، ومتى علق ذلك بغير الله فهو شرك، ومن توكل على غير الله، وتعلق به، وكل إليه وخاب أمله.

## (الشرح)

هذا الباب عقده المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان أهمية التوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والتوكل من أعظم أعمال القلوب وعبادات القلوب، وهو يقوم على ركيزة واحدة وعلى شرطٍ يسبقه شرطٌ يلحقه، فهو يقوم على ثلاثة أصول، على ركيزةٍ أساسية، وعلى شرطٍ يسبقه، وعلى شرطٍ يلحقه.

**أما الركيزة الأساسية وهي حقيقة التوكُل:** فهو الاعتماد على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتفويض الأمور إليه، هذا هو حقيقة التوحيد، أن تعتمد على الله وان تفوِّض أمورك إليه، والشرط الذي يسبق ذلك: هو العلم والاعتقاد الجازم بأن الله عَزَّ وَجَلَّ بيده مقاليد كُل شيء، ولولا هذا الشرط وهذا الاعتقاد لما تمكنت أصلًا من أن تتوكل عليه وأن تفوِّض أمورك إليه.

والشرط اللاحق هو ألا تقف عند فقط هذا التوكُل بل تُتبعهُ بالإتيان بالأسباب الدنيوية التي تُحقق لك مطلوبك، وهذا ما دلَّ قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما جاءه الرجل فأراد أن يربط دابته، ثم حصَل عنده شيءٌ من اللبس في موضوع التوكل، فسأل فقال: يا رسول الله أعقلها أم أتوكل؟ يعني أعقل الدابة أم أتوكل على الله؟ فسؤاله يدل على أنه يظُن أن أخذ الأسباب يُنافي التوكُل، فبيَّن له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحَّح له

Created by Universal Document Converter

المفهوم بأن الأخذ بالأسباب لا يُنافي التوكل فقال له: «اعقلها وتوكَّل»، يعني خُذ بالسبب الدنيوي لما تُريد أن تفعله وتوكَّل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيه.

وكذلك لما جاء أهل اليمن إلى الحج أتوا بدون زاد أو بعضٌ منهم، وكانوا يُسمون أنفسهم بالمُتوكلين، وأتوا إلى الحج بدون طعام ولا شرابٍ ولا زاد، فنزل قول الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧]، وذلك يدل على أن الأخذ بالأسباب لا يُنافي التوكل بل هو من ركائز التوكُل فإذًا التوكُل فيه ثلاث ركائز:

**الركيزة الأساسية فيه:** اعتماد القلب على الله وتفويض الأمور إليه، يسبق ذلك العلم الجازم بان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بيده كُل شيء، ويتبع ذلك الأخذ بالأسباب، فمن استكمل هذه الأمور الثلاثة فهو المتوكِّل على الله حقيقة، وقد ضلَّ في باب التوكُل طائفتان:

**الطائفة الأولى:** الذين يظنون أن التوكُل على الله يعني الكسل وعدم الأخذ بالأسباب كما سبق أن بيَّنَّا، فيقول: أن الله إذا أراد أن يرزقنا يرزقنا، فيتركون العمل، ويتركون الجُهد، والجهاد، وبذل الأسباب، ولا شك أن هذا خطأ وقد بيَّنَّا النصوص الشرعية الواردة فيه.

**الطائفة الثانية التي ضلَّت في هذه الباب:** هم الذين يعتمدون على الأسباب الدنيوية ويعتمدون على أنفسهم اعتمادًا مُطلقًا وينسون مُسبب الأسباب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وينسون مُدبر الأمور فلا يتوكلون عليه، وهذا لا شك أنه ضلال، ضلالٌ في باب التوكُل.

ومن صُورهِ المُعاصِرة ما يُطرح في مِثل هذه الأيام وهذه الأزمنة بما يُسمى بالدورات، دورات التنمية البشرية أو دورات التنمية الذاتية في بعضها، حيث يطرح بعض من يتكلم في هذه الدورات قضية الاعتماد الكُلي على النفس، وأنك إذا أردت شيئًا فإنك جزمًا ستصل إليه؛ فلا يربطون القلوب بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بل يربطون الإنسان بنفسه و بقدراته وبأسباب دنيوية.

ولا شك أن هذا ضلال، فإن الحق أن الإنسان ويربط قلبه بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويأخذ بالأسباب الدنيوية ولكن لا يجعل هذه الأسباب الدنيوية هي الأصل بل يجعلها تبعًا، ويجعل الأصل الاعتماد والاتكال على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذا شاء أبطل كُل الأسباب الدنيوية.

Created by Universal Document Converter

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لما توكَّل عليه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ جعل عليه النار بردًا وسلامًا، فقال: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، وهي سبب من الأسباب الدنيوية، ومع ذلك أبطل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إحراقها، وإذا أراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شيئًا قال له كُن فيكون، ولذلك إذا علمت هذه الحقيقة وجزمت بها وآمنت بها فإنك لن تفعل شيئًا إلا إذا توكلت عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

## (المتن)

**قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: باب قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

**وقوله:** ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، وعن ابن عباس: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل عن الكبائر؟ فقال: الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله وعن ابن مسعود قال: **"أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله"** رواه عبد الرزاق.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** تفسير آية الأعراف.

**الثانية:** تفسير آية الحجر.

**الثالثة:** شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله.

**الرابعة:** شدة الوعيد في القنوط.

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ: باب**قول الله تعالى:** ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾[الأعراف: ٩٩].

**مقصود الترجمة:** أنه يجب على العبد أن يكون خائفا من الله، راجيا له راغبا راهبا، إن نظر إلى ذنوبه وعدل الله وشدة عقابه خشي ربه وخافه، وإن نظر إلى فضله العام والخاص وعفوه الشامل رجا وطمع، إن وفق لطاعة رجا من ربه تمام النعمة بقبولها، وخاف من ردها بتقصيره في حقها، وإن ابتلي بمعصية رجا من ربه قبول توبته ومحوها، وخشي بسبب ضعف التوبة والالتفات للذنب أن يعاقب عليها.

وعند النِعم والمَسار يرجو الله دوامها والزيادة منها والتوفيق لشكرها، ويخشى بإخلاله بالشكر من سلبها، وعند المكاره والمصائب يرجو الله دفعها وينتظر الفرج بحلها، ويرجو أيضا أن يثيبه الله عليها حين

Created by Universal Document Converter

يقوم بوظيفة الصبر، ويخشى من اجتماع المصيبتين فوات الأجر المحبوب، وحصول الأمر المكروه إذا لم يوفق للقيام بالصبر الواجب، فالمؤمن الموحد في كل أحواله ملازم للخوف والرجاء وهذا هو الواجب وهو النافع، وبه تحصل السعادة، ويخشى على العبد من خلقين رذيلين:

**أحدهما:** أن يستولي عليه الخوف حتى يقنط من رحمة الله وروحه.

**الثاني:** أن يتجارى به الرجاء حتى يأمن مكر الله وعقوبته، فمتى بلغت به الحال إلى هذا، فقد ضيع واجب الخوف والرجاء اللذين هما من أكبر أصول التوحيد وواجبات الإيمان.

## (الشرح)

وهذا طبعًا هو سبب إيراد المصنف لهذا الباب هُنا باب الأمن من مكر الله، والأمن من مكر الله: هو نتيجة الغلو في الرجاء، فالرجاء وحُسن الظن بالله عَزَّ وَجَلَّ لا شك أنه أمرٌ مطلوب، وأنه أمرٌ مرغوب، لكن المُبالغة فيه، والغلو فيه تقود، إلى الأمن من مكر الله، بحيث يعصي الإنسان ويظن أن الله لن يُعاقبه، ويظُن أن الله لن يُحاسبه، ويظُن أن إمهال الله عَزَّ وَجَلَّ له وعدم أخذِه وعقوبته في الدُنيا أنه دليل على أنه راضٍ عنه، وهذا لا شك أنه خطأ، وخطأٌ كبير كذلك، فالرجاء خُلقٌ حسن يتوسطُ خُلقين ذميمين، فهو وسطٌ بين رذيلتين:

**الرذيلة الأولى:** القنوط من رحمة الله، بحيث ييأس اليأس من رحمة الله.

**والرذيلة الثانية:** الأمن من مكر الله.

وكلاهما خطأ، والوسط والصواب هو الرجاء مع الخوف من الله عَزَّ وَجَلَّ، الجمع بين الخوف والرجاء بلا قُنطٍ ويأس من رحمة الله، وبلا أمنٍ من مكره.

## (المتن)

**وللقنوط من رحمة الله واليأس من روحه سببان محذوران:**

**أحدهما:** أن يسرف العبد على نفسه ويتجرأ على المحارم فيصر عليها ويصمم على الإقامة على المعصية، ويقطع طمعه من رحمة الله؛ لأجل أنه مقيم على الأسباب التي تمنع الرحمة، فلا يزال كذلك حتى يصير له هذا وصفا وخلقا لازما، وهذا غاية ما يريده الشيطان من العبد، ومتى وصل إلى هذا الحد لم يرج له خير إلا بتوبة نصوح وإقلاع قوي.

Created by Universal Document Converter

## (الشرح)

وهذه مُصيبة، أن يُصبح الذنب جزءًا منك، أصلًا فيك، لا طارئًا لا شك كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كل ابن آدم خطَّاء، وخيرُ الخطائين التوابون»، وهذا لا يسلم منه الإنسان، ليس الإنسان بمعصوم، لكن المؤمن الذنب طارئٌ عليه، ليس جزءًا أصيلًا فيه، يعني أنه ربما تزِل به القدم فيشعر أنه فعل أمرًا عظيمًا ويندم ويرجع ويتوب، ولو تكرر هذا منه، لكن المُصيبة كُل المُصيبة أن يُصبح جزء من الإنسان أصلًا فيه معصية لا يشعر تجاهها بخطأ، ولا يشعر تجاهها بندم.

وبالتالي لا يتوب منها، هذه أكبر مُصيبة، وأعظم ذنب، ويمكن أعظم من الذنب نفسه لأن فيه استهانة بحق الله، واستهانة بمحارم الله عَزَّ وَجَلَّ، وهذا ثمرة من ثمار الأمن من مكر الله، إذا أمنت من مكر الله من ثمار ذلك أن يعتاد الإنسان على الذنوب والمعاصي بحيث تكون لا يُنكرها أصلًا، لا في قلبه، ولا في حياته، بل ربما يراها، بل رُبما يُجاهر بها أمام الناس وكأنه أمر طبيعي، وهذه مُصيبة عظيمة.

## (المتن)

**الثاني:** أن يقوى خوف العبد بما جنت يداه من الجرائم، ويضعف علمه بما لله من واسع الرحمة والمغفرة، ويظن بجهله أن الله لا يغفر له ولا يرحمه ولو تاب وأناب، وتضعف إرادته فييأس من الرحمة، وهذا من المحاذير الضارة الناشئة من ضعف علم العبد بربه، وما له من الحقوق، ومن ضعف النفس وعجزها ومهانتها.

فلو عرف هذا ربه ولم يخلد إلى الكسل، لعلم أن أدنى سعي يوصله إلى ربه، وإلى رحمته وجوده وكرمه، وللأمن من مكر الله أيضا سببان مهلكان:

**أحدهما:** إعراض العبد عن الدين وغفلته عن معرفة ربه وما له من الحقوق، وتهاونه بذلك فلا يزال معرضا غافلا مقصرا عن الواجبات، منهمكا في المحرمات، حتى يضمحل خوف الله من قلبه، ولا يبقى في قلبه من الإيمان شيء؛ لأن الإيمان يحمل على خوف الله وخوف عقابه الدنيوي والأخروي.

**السبب الثاني:** أن يكون العبد عابدا جاهلا معجبا بنفسه مغرورا بعمله، فلا يزال به جهله حتى يدل بعمله ويزول الخوف عنه، ويرى أن له عند الله المقامات العالية، فيصير آمنا من مكر الله متكلا على نفسه

Created by Universal Document Converter

الضعيفة المهينة، ومن هنا يخذل ويحال بينه وبين التوفيق؛ إذ هو الذي جنى على نفسه، فبهذا التفصيل تعرف منافاة هذه الأمور للتوحيد.

## (الشرح)

الإعجاب بالنفس والإدلال للنفس، الإدلال يعني الإعجاب بها والتصرف كأنه قد نجى وانتصر ووصل، لاشك أن هذا من أسباب الأمن من مكر الله عَزَّ وَجَلَّ، المؤمن يُحسن الظن بربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لكن يُسيء الظن بنفسه، هناك فرق بين إحسان الظن بالله، وبين إساءة الظن بالنفس، يجب أن تجمع بينهما، نَعم الله عَزَّ وَجَلَّ غفور رحيم، والله عَزَّ وَجَلَّ عند حُسن ظن عبده به، نَعم، لكن من يضمن نفسك أنت أنك تُبت حقًا أو أنك مُخلص حقًا أو أنك مُخلِص حقًا أو أنك فعلًا قد أتيت بالعبادة على الوجه الصحيح، أو أنك فعلًا قد أتيت بها لله عَزَّ وَجَلَّ، لم تأتي بها لغيره.

فهُناك فرق بين حُسن الظن بالله وبين إساءة الظن بالنفس، فحُسن الظن بالله يجب أن يكون موجودًا، كذلك إساءة الظن بالنفس يجب أن تكون موجودة، عكس ذلك، عكس حُسن الظن بالله، القنوط من رحمة الله، وأن يقول الإنسان أنا لن يغفر الله عَزَّ وَجَلَّ لي، وعكس إساءة الظن بالنفس الإعجاب بالنفس.

أن يكون الإنسان مُعجبًا بنفسه، يظن أنه أفضل من غيره، أو أنه من أولياء الله الصالحين، أو أنه كذا وكذا وكذا، وهذا الشعور بحد ذاته فيه محاذيرٌ كثيرة:

**أولًا:** لن يدفع الإنسان للمزيد من الطاعة، إذا شعر الإنسان أنه وصل وأنه جيد، وأنه ممتاز وأنه أفضل من الآخرين؛ لن يكون هناك داعٍ يدعوه إلى الاستمرار بالطاعة.

**الأمر الثاني:** هذا الشعور يجعله يغُض النظر عن هفواته، وزلاته لأنه إذا رأى أنه وصل ثم زل لن يكون هذا الزلل مؤثرًا عليه بشكل كبير **لأنه يقول:** أنه أنا أصلًا إذا بلغ الماء قُلتي لا أحمل خبث، ويشعر أن ها الزلل أمام محاسنه شيء عظيم، ولا شك أن هذا خُذلان، بل ينبغي على العبد وعلى المُسلم أن يُحسِن الظن بربه نعم، لكن يُسيء الظن بنفسه، ويسأل الله دائمًا القبول، ويسأل الله دائمًا المغفرة.

شُرع لنا بعد أجَّل العبادات أن نستغفر الله، شُرع لنا بعد الصلاة أن نستغفر الله، مع أننا كُنا نصلي، شُرع كذلك الاستغفار بعد قيام الليل في الأسحار، بعد الحج شُرعَ لنا أن نستغفر، ونُكثِر من ذكر الله عَزَّ

Created by Universal Document Converter

وَجَلَّ لماذا؟ لأن الإنسان مهما اجتهد فإنه لابد أن يقع في خلل، لابد أن يقع في خطأ، لابد أن يكون في عبادته شيء من النقص، لذلك الإعجاب بالنفس والغُرور والظن إحسان الظن بالنفس من المهلكات.

العبد يجب أن يُسيء الظن بنفسه، يسعى دائمًا لكمالها، يسعى دائمًا لاستكمال نقصه وعدم النظر إلى نقص الآخرين لأن من آثار كذلك الإعجاب بالنفس؛ أنك ستنظر إلى عيوب الآخرين، ولا ينظر أحد ويتتبع أحد عُيوب الآخرين إلا وهو مُعجب بنفسه لأنه لو كان يرى أنه ذا عُيوبٍ يجب أن تُصلح لما كان عنده وقتٌ للنظر في عيوب الآخرين بل سيلتفت إلى نفسه ويُحاول أن يُصلح عُيوب نفسه قبل أن ينظر إلى عُيوب الآخرين.

## (المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: **باب من الإيمان بالله: الصبر على أقدار الله.**

**وقول الله تعالى:** ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]، قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت»**.

**ولهما عن ابن مسعود مرفوعا: «ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية»**.

وعن أنس أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة»**.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»** حسنه الترمذي.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** تفسير آية التغابن.

**الثانية:** أن هذا من الإيمان بالله.

**الثالثة:** الطعن في النسب.

**الرابعة:** شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية.

Created by Universal Document Converter

**الخامسة:** علامة إرادة الله بعبده الخير.

**السادسة:** علامة إرادة الله به الشر.

**السابعة:** علامة حب الله للعبد.

**الثامنة:** تحريم السخط.

**التاسعة:** ثواب الرضا بالبلاء.

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ : **باب من الإيمان بالله: الصبر على أقدار الله.**

أما الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصيته، فهو ظاهر لكل أحد أنهما من الإيمان بل هما أساسه وفرعه، فإن الإيمان كله صبر على ما يحبه الله ويرضاه ويقرب إليه، وصبر عن محارم الله. فإن الدين يدور على ثلاثة أصول: تصديق خبر الله ورسوله، وامتثال أمر الله ورسوله، واجتناب نهيهما. فالصبر على أقدار الله المؤلمة داخل في هذا العموم، ولكن خص بالذكر لشدة الحاجة إلى معرفته والعمل به.

فإن العبد متى علم أن المصيبة بإذن الله، وأن لله أَتَمَّ الحكمة في تقديرها، وله النعمة السابغة في تقديرها على العبد رضي بقضاء الله، وسلم لأمره وصبر على المكاره، تقربا إلى الله، ورجاء لثوابه، وخوفا من عقابه، واغتناما لأفضل الأخلاق، فاطمأن قلبه وقوي إيمانه وتوحيده.

## (الشرح)

**باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله.**

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]، هذه الآية الكريمة تُعطينا من أعظم فوائد الإيمان وهو اطمئنان القلب لأن الإنسان إذا آمن بالله حق الإيمان وآمن بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حكيم لا يفعل شيئًا إلا بحكمة، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رحيم، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليم بكُل شيء.

آمن بهذه الأسماء والصفات إيمانًا تامًا فإنه سيطمئن قلبه، ولو ظهر له من أمور الدنيا ما يُحيره يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رحيم، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليم، قد يكون هذا الشيء الذي يظهر لي أنه شر قد يكون خيرًا كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، لماذا؟ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

Created by Universal Document Converter

لذلك الذي يعترض على المصائب سواءٌ كانت المُصيبة عليه أو على العالم أو على جُزءٍ من العالم ويتساءل لماذا تحدث هذه المصائب؟ أليس الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بأرحم الراحمين، أليس الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قادر على كُل شيء؟ فلماذا سمح الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بهذه المُصيبة هُنا أو هُناك؟ لماذا يموت فلان؟ لماذا تحدُث المُصيبة الفلانية؟ هُنا حتى يكون الجواب على هذا السؤال جوابًا دقيقًا يجب أن نُعيد ونؤصِّل ونُذكِّر بأصولٍ مهمة:

**أولها:** أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بكُل شيءٍ عليم، وأن الإنسان أمام عِلم الله عَزَّ وَجَلَّ لا يُساوي شيئًا، فإذا علمت أن الله عليم بكُل شيء وأنك جاهل؛ لا يجوز لك أن تحكم على شيء بالجهل، لنأخذ على ذلك مثلاً: لو دخل طِفلٌ صغير له من العُمر خمس سنوات مثلاً معملًا من المعامل الكيميائية المتقدمة ورأى الناس يعني يضعون المحاليل، وتنبعث من هذه المحاليل ربما أدخنة وأمور جزمًا هو لا يفهمها، قد ينطبع في ذهن هذا الطفل انطباع سلبي تجاه هؤلاء لأنه يرى أدخنة ويرى أمور مُخيفة.

**فيأتي ويقول:** هذه الناس أنا ما أحبها أو أنه فهم شيء خطأ، فيأتيك أنت الكبير الناضج، فأنت ستفسِّر هذا الانطباع الذي حصل عند هذا الطفل أنه نتيجة جهله، صح ولا لا؟ فأنت داخليًا ستقول إن شاء الله إذا كبرت واتسع عِلمك واتسعت مداركه ستفهم ماذا يفعل هؤلاء؟ لأن عقله لا يستوعب،أنت إزاء ما يحدث في الكون كالطِفل في هذا المعمل، فإنك لا تُدرك كُل شيء، ورُبما يحدثُ أمرٌ يظهر لك أنه شر لأنك جاهل فيتبين بعد ذلك أنه خير، وعندكم في سورة الكهف ثلاثة أمثلة تدل على ذلك.

كسر الخضر للسفينة، وقتل الطفل، وبناء جدار لأناسٍ لا يستحقون البناء، لذلك موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ أراد اله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يُبيِّن أن هناك من البشر من عِنده من العلم ما ليس عنده، ولذلك أمره بإتباع الخضر، فقام الخضر بأُناسٍ وأركبوه سفينتهم فخرقها، موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ لماذا استنكر؟ لأنه يرى أمر ظاهره شر، لذلك ماذا قال له موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ؟ ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١]، ما أجابه له الخبر.

ثم بعد ذلك لما نزلوا أتى الخضر إلى طِفل صغير يلعب مع الأطفال فقتله؛ فاستنكر المصنف عَلَيْهِٱلسَّلَامُ ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤]، ثم لما استطعموا أهل القرية

Created by Universal Document Converter

فطردوهم ونبذوهم، فوجد جدارًا يُريد أن ينقض يعني آيل للسقوط، فشمَّر الخضر عن ذراعيه وأعاد بناء هذا الجدار بأمر غير منطقي للبشر، ناس لم يُكرموك لماذا تبني لهم الجدار؟

**فتبين بعد ذلك:** أن هناك خلف هذا الحادث أو هذه الحوادث الثلاث أمورًا يجهلها المصنف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فلما علمها عرف أن ما كان يظُنه شرًا هو عين الخير، هو نفسه نفس الفعل، كان يظنه شرًا ظهر أنه عين الخير، لذلك قبل أن تقول لماذا فعل الله كذا اعلم أنك جاهل وأن الله بكُل شيء عليم.

وأن تحديد الخير من الشر قد تُخطئ فيه فلربما أمرٌ تظنه محض الشر فإذا هو محض الخير، وفي قِصة الذي نجى من الطائرة الإندونيسية قبل أيام خير مثال، الطائرة التي سقطت قبل أيام في إندونيسيا نسأل الله أن يرحم موتاهم كان هناك رجل قد أخَّره الزحِام عن ركوب الطائرة، وكان عنده عمل ضروري، فلابد أن يركب الطائرة، فلما أتى إلى المطار وجد الطائرة قد طارت.

يذكرون أنه تسخَّط وزعَل، وغضب، وندب حظه، ثم ما لبثت الطائرة أن سقطت فانقلب هذا الحُزن إلى فرح، فكان يظن أن في فوت الرحلة عليه محض الشر، لذلك ندب حظه وكذا، لكن تبيَّن أن هذا فيه خير عظيم له.

**لذلك قال سبحانه:** ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]، إذا آمنت أن الله عليم بكُل شيء ترتاح قلبيًا ما تسخط، كذلك إذا آمنت بان الله عَزَّ وَجَلَّ رحيم، وأن الله عَزَّ وَجَلَّ أرحم الراحمين؛ تثق ويطمئن قلبك، فإن قال قائل كيف؟ تجتمع الرحمة مع الموت أو القتل أو نحو ذلك؟

**نقول:** إذا دخلت على غرفة، تخيلوا رجلًا دخل على غُرفة من الغُرف، وهذه الغرفة بها رجل بيده منشار يقص في هذا المنشار رجل إنسان وتسيل الدماء من رجله، أنت لأول وهلة تحكم على هذا الفعل بأنه جريمة وأنه مُصيبة، وبأنه شر، فإذا ما تريثت قليلًا واكتشفت أن هذه الغرفة غُرفة عمليات واكتشفت أن الذي يمسك هذا المنشار هو طبيب، واكتشفت أن هذا المريض، هذا الإنسان الذي تُقص رجله مريض بمرض الغرغرينة، وأنه لو لم يقص هذا الطبيب رجله لهلك كُل جسده.

فماذا ستحدث الصورة الذهنية في ذهنك تجاه هذا الفعل؟ ستنقلب، وسيُصبح هذا الإنسان الذي حكمت عليه لأول وهلة بأنه مُجرم قاسي؛ سترى أنه رحيم طالما أنه يقطع رجل الإنسان، رجل هذا الإنسان

Created by Universal Document Converter

لكنه رحيم، قطع رجله رحيم، نقول نعم، قطع رجله رحيم، بل هو أرحم البشر له، لأنه أنقد من مُصيبة أعظم.

لذلك من يؤمن بأن الله عليم بكُل شيء، وأن الإنسان جاهل مهما بلغ عِلمك فأنت جاهل، وما تجهله في الكون أكثر مما تعلم بكثير، بل حتى في نفسك أنت بجسدك أنت في أمور تجهلها، إلى اليوم كثير من وظائف الجسد غائبة عن الباحثين والأطباء كثير، يعلمون أن هذا العُضو يفعل كذا، لكن كيف يفعل كذا ربما ما يعرفون، إلى الآن، كيف الدماغ يعمل، وما هي العمليات الدقيقة بالضبط، وكيف حصل هذا؟

ما عنده جواب دقيق، ممكن نظريات ممكن اقتراحات، قد يكون كذا، قد يكون كذا لكن ما في جزم، وهم يتكلمون عن أجسادهم، فما بالك ببقية الكون، فما بالك بالأمور الغائبة عنا كيف يكون جهلنا فيها؟ جهل مُدقع لذلك إذا علم الإنسان مقدار علمه هو وأنه جاهل ومقدار علم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ومقدار رحمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ أيقن أن ما يحدث في هذا الكون هو محض الخير وإن ظهر له لأول وهلة أنه شر.

طيب لعلنا نقف هنا والله أعلم وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Created by Universal Document Converter

شرح

كتاب القول السديد في مقاصد التوحيد

للشيخ: "عبد الرحمن السعدي" رَحِمَهُ اللَّهُ

# ﴿ما جاء في الرياء﴾

لفضيلة الشيخ الدكتور

## مطلق الجاسر

- حفظه الله -

Created by Universal Document Converter

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

الحمدُ للهِ، والصَلَاةُ والسَلام على رسُول الله وعَلى آلهِ وصحبهِ ومن والاهُ وبعدُ:-

وصلنا عند قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ باب ما جاء في الرياء.

(المتن)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمُرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى باب ما جاء في الرياء.

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وعن أبي هريرة مرفوعا: قال الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه» رواه مسلم.

وعن أبي سعيد مرفوعا:« ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟» قالوا: بلى. قال: «الشرك الخفي: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته، لما يرى من نظر رجل» رواه أحمد.

فيه مسائل:

**الأولى:** تفسير آية الكهف.

**الثانية:** الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله.

**الثالثة:** ذكر السبب الموجب لذلك وهو كمال الغنى.

**الرابعة:** أن من الأسباب أنه خير الشركاء.

**الخامسة:** خوف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أصحابه من الرياء.

**السادسة:** أنه فسر ذلك بأن المرء يصلي لله، لكن يزينها لما يرى من نظر رجل.

باب من الشرك: إرادة الإنسان بعمله الدنيا.

Created by Universal Document Converter

**وقول الله تعالى:** ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

**في الصحيح عن أبي هريرة قال:** قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع»**.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة.

**الثانية:** تفسير آية هود.

**الثالثة:** تسمية الإنسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة.

**الرابعة:** تفسير ذلك بأنه إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط.

**الخامسة:** قوله: **"تعس وانتكس"**.

**السادسة: قوله: "وإذا شيك فلا انتقش"**.

**السابعة:** الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات.

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ: **باب من الشرك: إرادة الإنسان بعمله الدنيا.**

اعلم أن الإخلاص لله أساس الدين، وروح التوحيد والعبادة، وهو أن يقصد العبد بعمله كله وجه الله وثوابه وفضله، فيقوم بأصول الإيمان الستة وشرائع الإسلام الخمس، وحقائق الإيمان التي هي الإحسان، وبحقوق الله، وحقوق عباده، مكملا لها قاصدا بها وجه الله والدار الآخرة، لا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا رياسة، ولا دنيا، وبذلك يتم إيمانه وتوحيده. ومن أعظم ما ينافي هذا مراءاة الناس والعمل لأجل مدحهم وتعظيمهم، أو العمل لأجل الدنيا، فهذا يقدح في الإخلاص والتوحيد، واعلم أن الرياء فيه تفصيل.

Created by Universal Document Converter

## (الشرح)

في هذا الباب والذي يليه باب ما جاء في الرياء وباب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا.

الباب الثاني أعم من الباب الأول فإرادة الإنسان بعمله الدنيا يشمل الرياء ويشمل غيره، فالمُرائي هو الذي يطلبُ بعمله الذي ينبغي أن يكون لله يطلب فيه سُمعة ورياءً بمعنى مدح الناس وارتفاع المكانة عندهم، وهذا لا شك أنه من الدنيا، لكنه خُصَّ لأنه أوضح ما يُطلب من الأعمال الصالحة، الأعمال الصالحة صحيح أنها قد يُراد بها الدنيا لكن من النادر جدًّا أن يكون عمل صالح يُراد به مال مثلاً أو شيء من أمور الدُنيا أوضح ما يُمكن أن يطلبه الإنسان بالأعمال الصالحة من الدُنيا هو الجاه والتعظيم ونحو ذلك، لذلك خُص هذا الأمر ثمَ عُمَّ.

**لذلك الأحاديث الأولى: قال الله تعالى:** «أنا أغنى الشُركاء عن الشِرك، من عملَ عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»، وهذا وجه إدخال هذا الباب في كتاب التوحيد نوعٌ من الشرك كما سيأتي تفصيله الآن إن شاء الله من كلام المصنف.

وكذلك لا أُخبركم أنه أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال قالوا بلى يا رسول قال: الشِرك الخفي، يقوم الرجل فيُصلي فيُزيِّن صلاته لما يرى من نظر رجل وسماه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشرك الخفي لأمرين:

**الأمر الأول:** أنه يخفى على الناس، في هناك شِرك ظاهر مثل السُجود لصنم شِرك ظاهر، لكن هذا الأمر خفي، ظاهر الإنسان أنه في عبادة في صلاة.

**الأمر الثاني:** أنه قد يخفى على نفسه أيضًا، قد يظن الإنسان أنه مُخلص وهو في الحقيقة مدخول في نيته، كيف يعرف ذلك؟ يعرف ذلك لأنه في علامة للمُخلص وهي: تأثير مدح الناس وقدحهم، فإذا مدحه الناس عَمِل في الطاعات، وإذا قدح فيه الناس سخِط وجعل لكلامهم وزنًا فيما يتعلق بأعماله الصالحة، فإذا ما أثنوا عليه ازداد واستمر وإذا لم يُثني عليه أحد ترك العمل، هذه علامة غير المخلص، ولا يعني ذلك ان الإنسان لا يتأثر بذلك، لا الإنسان يتأثر، لكن لا لدرجة أن يترك العمل لأن الناس لم يمدحوه مثلاً أو لم يثنوا على عمله الصالح، لذلك سماه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الشِرك الخفي، لأنه يخفى على الناس، أولًا، وقد يخفى على الإنسان نفسه ثانيًا.

Created by Universal Document Converter

**والباب الثاني أعم:** فهو من باب عطف العام على الخاص، لأنه قال إرادة الإنسان بعمله الدُنيا، وذكر الحديث الشَهير قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **«تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخنيصة، تعس عبد الخميلة»**، والخميصة والخميلة نوع من الألبسة الفاخرة، كيف عبد؟ لماذا عبد؟ قال: **«إن أُعطي رضي، وإن لم يُعطى سخِط»**، فرِضاه وسخطه وميله وحياته مرتبطة بالمال، وهذه هي حقيقة العبودية.

**العُبودية:** هي الطاعة، والحُب، والميل، وأن يتبع رضاه رضا المعبود، وسخَطُه سخط المعبود، يُحب ما يُحبه معبوده، ويسخط ما يُخِطه معبوده ولا يرضاه، فإذا توجهت هذه الأشياء إلى شيء من أمور الدنيا فهذا كأنه عبد، لذلك سمَّاه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عبد الدينار لأن هواه تبع للدينار والدرهم، **«تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش»** هذا دعا عليه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أنه تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش، يعني إذا أصابه شيء من الشوك دعا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ألا يخرج منه الشوك.

**ثم ذكر المثال النقيض لعبد الدينار قال: «طوبى لعبدٍ آخذ بعنانِ فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مُغبرةٍ قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة»**، يعني ليس من اهتمامه وأولوياته الشرف في الدُنيا أو الرفعة في الدُنيا، همُه خدمة الدين في أي موضع كان، إن كان في الحراسة في الحراسة، وإن كان في الساقة، والساقة يعني آخر الجيش كان في الساقة.

**والمقصود:** أنه في همه ومقصوده خِدمة الدين وليس العُلو في الأرض، والرفعة والشرف، وإنما يخدم الدين من أي مكان قدَّر الله أن يكون فيه هذا الإنسان.

## (المتن)

**واعلم أن الرياء فيه تفصيل:**

فإن كان الحامل للعبد على العمل قصد مراءاة الناس، واستمر على هذا القصد الفاسد، فعمله حابط وهو شرك أصغر، ويخشى أن يتذرع به إلى الشرك الأكبر، وإن كان الحامل على العمل إرادة وجه الله مع إرادة مراءاة الناس، ولم يقلع عن الرياء بعمله، فظاهر النصوص أيضا بطلان هذا العمل.

وإن كان الحامل للعبد على العمل وجه الله وحده، ولكن عرض له الرياء في أثناء عمله، فإن دفعه وخلص إخلاصه لله لم يضره، وإن ساكنه واطمأن إليه نقص العمل، وحصل لصاحبه من ضعف الإيمان والإخلاص بحسب ما قام في قلبه من الرياء، وتقاوم العمل لله وما خالطه من شائبة الرياء.

Created by Universal Document Converter

والرياء آفة عظيمة، ويحتاج إلى علاج شديد، وتمرين النفس على الإخلاص، ومجاهدتها في مدافعة خواطر الرياء والأغراض الضارة، والاستعانة بالله على دفعها لعل الله يخلص إيمان العبد ويحقق توحيده.

**وأما العمل لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها:**

فإن كانت إرادة العبد كلها لهذا المقصد، ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة، فهذا ليس له في الآخرة من نصيب، وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن؛ فإن المؤمن ولو كان ضعيف الإيمان، لا بد أن يريد الله والدار الآخرة.

وأما من عمل العمل لوجه الله ولأجل الدنيا، والقصدان متساويان أو متقاربان، فهذا وإن كان مؤمنا فإنه ناقص الإيمان والتوحيد والإخلاص، وعمله ناقص لفقده كمال الإخلاص.

وأما من عمل لله وحده وأخلص في عمله إخلاصا تاما، ولكنه يأخذ على عمله جعلا ومعلوما يستعين به على العمل والدين، كالجعالات التي تجعل على أعمال الخير، وكالمجاهد الذي يترتب على جهاده غنيمة أو رزق، وكالأوقاف التي تجعل على المساجد والمدارس والوظائف الدينية لمن يقوم بها، فهذا لا يضر أخذه في إيمان العبد وتوحيده لكونه لم يرد بعمله الدنيا، وإنما أراد الدين وقصد أن يكون ما حصل له معينا له على قيام الدين.

ولهذا جعل الله في الأموال الشرعية كالزكوات وأموال الفيء وغيرها جزءا كبيرا لمن يقوم بالوظائف الدينية والدنيوية النافعة، كما قد عرف تفاصيل ذلك، فهذا التفصيل يبين لك حكم هذه المسألة كبيرة الشأن، ويوجب لك أن تنزل الأمور منازلها والله أعلم.

## (الشرح)

**هنا الشيخ ذكر خُلاصة التفصيل في مسألتين:**

**المسألة الأولى:** هل الرياء يُبطل العمل أم لا؟

**والمسألة الثانية:** إرادةُ الدُنيا مع العمل الصالح.

**أما المسألة الأولى:** فذكر الشيخ ثلاثة أحوال:

**الحالة الأولى:** أن يبتدئ العمل مُرائِيا، يعني الذي حمله على العمل الرياء، فهذا باطل، عمله باطل، قد يكون مجزئًا إذا كان فرضًا نعم يجزئه لا يُطالب بالقضاء لكن لا أجر له.

Created by Universal Document Converter

**الحالة الثانية:** أن ينوي الرياء ووجه الله معًا، يعني يكون في نية صالحة، لكن دخلت معها من البداية نية فاسدة، هذا أيضًا يُبطله، للحديث قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال الله عَزَّ وَجَلَّ: «**أنا أغنى الشُّركاء عن الشِرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشِركه**».

الحالة الثالثة: أن يبتدئ العمل مُخلصًا ولكن يطرأ عليه الرياء في أثناء العمل؛ فهذا إذا اجتهد في دفع الرياء الطارئ، واجتهد في تخليص نيته لأن الإنسان ما يسلم، فيُجاهد نفسه، فالحمد لله ويؤجر على ذلك، وإن لم يدفع هذه النية نقص من العمل لكنه لا يبطل، لأنه ابتدئ العمل مخلصًا.

ثم ذكر الشيخ تفصيلًا أيضًا جيدًا في مسألة العمل لأجل الدُنيا من الأعمال الصالحة وهذا يحصل مثل أن يكون الإنسان مُعلمًا للعلوم الشرعية ويأخذ مال، يكون إمامًا ويأخذ مال ونحو ذلك، فقال الشيخ هنا: إذا كانت إرادة العبد كُلها لهذا المقصد لم يكن لله إرادة فهذا ليس له في الآخرة نصيب بل هو على خطر لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من تعلَّم عِلمًا مما يُبتغى به وجه الله لم يتعلمه إلا لينال به نصيبًا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة والعياذ بالله**»، يعني رائحة الجنة، وهذا أمر خطير.

**الحالة الثانية:** عمِل لوجه الله ولأجل الدُنيا في نفس الوقت فهذا عمله صحيح لكنه ينقص من أجره بقدر نيته الدنيوية، ولها صُور كثيرة جدًّا مثل من أبسط صورها مثلاً: أن ينوي الإنسان في ذهابه إلى المسجد مشيًا على الأقدام أجر المشي مع الرياضة، فهذا نوى أمرًا دنيويًا مُباحًا وقرنه بعمل أُخروي وهو المشي للصلاة لكن ليس كأجرِ من مَحَّض النية للعبادة.

**قل مثل ذلك في من صام بنيتين:** نية التخفيف من الطعام، ونية الصيام، قل مثل ذلك في من طاف حول الكعبة بنية الرياضة ونية الطواف وهكذا، فمن دمج وقرن بين نية دنيوية ونيةٍ أخروية فعمله صحيح ولكن ينقص من عملهِ من أجله بمقدار تلك النية الدُنيوية.

**أما الحالة الثالثة:** مُخلص لله عَزَّ وَجَلَّ في عمله لكن يتقاضى مالًا ليُسيرِّ به أموره، لأنه ما يستطيع ان يتفرغ ويترك أهله جوعى، فلا بأس أن يأخذ مالًا يستعين به على الطاعة فهذا لا بأس به على تفصيل عند الفُقَهَاء في مسألة الإجارة أنه عند كثير من الفُقَهَاء لا يأخذ أجرًا على عمله، لكن له أن يأخذ جُعلًا أو رزقًا من بيت المال.

Created by Universal Document Converter

## (المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ : باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابا.

**وقال ابن عباس: "يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون: قال أبو بكر وعمر".**

**وقال أحمد بن حنبل:** عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء ولا من الزيغ فيهلك.

**وعن عدي بن حاتم:** أنه سمع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

**فقلت له:** إنا لسنا نعبدهم قال: **«أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه. فقلت: بلى. قال: فتلك عبادتهم»** رواه أحمد والترمذي وحسّنه.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** تفسير آية النور.

**الثانية:** تفسير آية براءة.

**الثالثة:** التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي.

**الرابعة:** تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر، وتمثيل أحمد بسفيان.

**الخامسة:** تغير الأحوال إلى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال وتسمى الولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه، ثم تغيرت الأحوال إلى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين.

Created by Universal Document Converter

**باب قول الله تعالى:**

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٠ - ٦٢].

**وقوله:** ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١].

**وقوله:** ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]. وعن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قال: **«لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به»**، قال النووي: **"حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح"**.

**وقال الشعبي:** كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد- عرف أنه لا يأخذ الرشوة-.

**وقال المنافق:** نتحاكم إلى اليهود- لعلمه أنهم يأخذون الرشوة- فاتفقا أن يأتيا كاهنا في جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ [النساء: ٦٠].

**وقيل:** نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وقال الآخر:** إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت.

**الثانية:** تفسير آية البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١].

**الثالثة:** تفسير آية الأعراف: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

**الرابعة: تفسير:** ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

**الخامسة:** ما قاله الشعبي في سبب نزول الآية الأولى.

Created by Universal Document Converter

**السادسة:** تفسير الإيمان الصادق والكاذب.

**السابعة:** قصة عمر مع المنافق.

**الثامنة:** كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ **باب: من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابا.**

**باب قول الله تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء: ٦٠].

ووجه ما ذكره المصنف ظاهر، فإن الرب والإله هو الذي له الحكم القدري، والحكم الشرعي، والحكم الجزائي، وهو الذي يؤله ويعبد وحده لا شريك له، ويطاع طاعة مطلقة فلا يعصى، بحيث تكون الطاعات كلها تبعا لطاعته، فإذا اتخذ العبد العلماء والأمراء على هذا الوجه، وجعل طاعتهم هي الأصل، وطاعة الله ورسوله تبعا لها فقد اتخذهم أربابا من دون الله يتألههم ويحاكم إليهم، ويقدم حكمهم على حكم الله ورسوله، فهذا هو الكفر بعينه؛ فإن الحكم كله لله، كما أن العبادة كلها لله.

والواجب على كل أحد أن لا يتخذ غير الله حكما، وأن يرد ما تنازع فيه الناس إلى الله ورسوله، وبذلك يكون دين العبد كله لله، وتوحيده خالصا لوجه الله.

وكل من حاكم إلى غير حكم الله ورسوله فقد حاكم إلى الطاغوت، وإن زعم أنه مؤمن فهو كاذب.

فالإيمان لا يصح ولا يتم إلا بتحكيم الله ورسوله في أصول الدين وفروعه، وفي كل الحقوق كما ذكره المصنف في الباب الآخر. فمن حاكم إلى غير الله ورسوله فقد اتخذ ذلك ربا، وقد حاكم إلى الطاغوت.

## (الشرح)

هذا البابان يتعلقان بأمرٍ مُهمٍ جدًّا له علاقة بالتوحيد وهو الطاعة، فإن الطاعة تبعٌ للإيمان، وعلامة المؤمن حقًا هو طاعة ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وبمقدارِ ما تقل طاعة العبد لربه سبحانه وإعراضه عن ربه وطاعة غيره، وطاعة من حاد الله ورسوله بمقدار ما يدل على قلة إيمانه.

**لذلك يقول ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وتقولون:** قال أبو بكرٍ وعُمر، وهما أبو بكر وعُمر فلا شك أنهما لا يُخالفان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومع ذلك شنَّع ابن عباس على من قال بذلك، فما بالكم بمن هو دون أبي بكر وعُمر.

Created by Universal Document Converter

**كذلك قول الله سبحانه:** ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، بيَّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن اتخاذهم أربابًا هُنا ليس المقصود به السُجود لهم، أو الصلاة لهم، وإنما قال: أليس يُحرِمون ما أحل الله فتُحرمونه ويُحلون ما حرَّم الله فتُحلونه؟ فقُلت بلى، قال فتلك عبادتهم، فجعلهم أربابًا من دون الله لمُجرد أنهم يُحلون ما حرَّم الله ويُحرمون ما أحل الله.

وذلك لأنه معلوم أن النصارى بعد تقادُم الزمن عليهم أصبحت الرُهبان والقساوسة يُبدلون في دينهم، ويحذفون ويزيفون وأصبحت تُعقد هُناك مجامع مثل مجمع نيقية الشهير الذي عقده قسطنطين لمَّا تنصَّر في القرن الرابع الميلادي يعني بعد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأربعمائة سنة تقريبًا وحذفوا وبدَّلوا، حذفوا أشياء وأضافوا أشياء، لذلك قال عنهم ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، لأنهم يحرمون ما أحل الله ويُحلون ما حرَّم الله.

كذلك الآية التي قال الله عَزَّ وَجَلَّ فيها: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]، هذه الآية العظيمة فيها تحذير شديد من الإعراض عن التحاكم إلى غير شرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وذكر المصنف هنا سبب نزول هذه الآية، وذلك أن رجلًا من المنافقين تخاصَم مع رجلٍ من اليهود فأرادوا أن يتحاكموا فاليهودي مع أنه يهودي اختار التحاكم إلى محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لأنه يعلم أنه عادل، وأنه لا يأخذ الرِشوة فيُغيِّر حُكمه، المنافق يبدوا أنه هو الذي عليه الحق، فخشي إذا ذهب إلى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن لا يستطيع أن يتلاعب فاختار أن يتحاكموا إلى اليهود وهو يدَّعي الإسلام.

قال: لعلمه أنهم يأخذون الرشوة، فاتفقا، قالا، لا، صار اتفاق بينهم، قالوا حل وسط نذهب إلى شخص ثالث، فذهبوا إلى كاهن ثالث فنزل قول الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

فالطاعة مرتبطةٌ بالإيمان، وكلما ازداد إيمان العبد كُلما ازدادت طاعته، وكُلما ازدادت محبة العبد كُلما ازدادت طاعته، أما من يدعي حُب الله سبحانه، وحُب رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا أتى إلى التطبيق لا

Created by Universal Document Converter

طاعة، بعض الناس يتغنى بالقصائد في المدائح النبوية، ويعقد الموالد ويعني يسرد القصائد والمدح في النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإذا ما جاء أمر من النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تجده أول من يعصي أمره، حتى إذا رأى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هيئته رُبما كرهها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، يعني يُخالف سنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولا أدري ما هذا الحُب يعني، كيف تدعي حُب النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأنت تعصيه؟

الحُب ليس بالدعاوي وليس بالكلام، الحب والانقياد والعبادة عبادة الله عَزَّ وَجَلَّ هي بطاعته وطاعة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا أطعته قل ما شئت بعد ذلك من المدائح، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أهلٌ لكُل مدح، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا شك أنه سيد البشر، لكن الاكتفاء بالكلام وأنا أحب الله وأنا أُحب الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والرسول كذا وكذا، فإذا أتينا إلى التطبيق، لا تطبيق، لا طاعة، فهذا يعني أمرٌ غريب.

## (المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات.**

وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠].

**وفي صحيح البخاري:** قال علي: **"حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟".**

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن **"ابن عباس: أنه رأى رجلا انتفض لما سمع حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات استنكارا لذلك، فقال: ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه؟** "انتهى.

ولما سمعت قريش رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر الرحمن، أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

**فيه مسائل:**

**الأولى:** عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات.

**الثانية:** تفسير آية الرعد.

**الثالثة:** ترك التحديث بما لا يفهم السامع.

Created by Universal Document Converter

**الرابعة:** ذكر العلة أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله، ولو لم يتعمد المنكر.

**الخامسة:** كلام ابن عباس لمن استنكر شيئا من ذلك، وأنه أهلكه.

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ : **باب: من جحد شيئا من الأسماء والصفات.**

أصل الإيمان وقاعدته التي ينبني عليها هو الإيمان بالله، وبأسمائه وصفاته. وكلما قوي علم العبد بذلك وإيمانه به، وتعبد لله بذلك قوي توحيده، فإذا علم أن الله متوحد بصفات الكمال متفرد بالعظمة والجلال والجمال ليس له في كماله مثيل، أوجب له ذلك أن يعرف ويتحقق أنه هو الإله الحق، وأن إلهية ما سواه باطلة، فمن جحد شيئا من أسماء الله وصفاته فقد أتى بما يناقض التوحيد وينافيه، وذلك من شعب الكفر.

باب

**قول الله تعالى:** ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣].

**قال مجاهد ما معناه: "هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي".**

**وقال عون بن عبد الله:** لولا فلان لم يكن كذا.

**وقال ابن قتيبة: "يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا".**

**وقال أبو العباس بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: أن الله تعالى قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر».** الحديث - وقد تقدم-: وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به.

**قال بعض السلف:** هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقا، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير [من الناس].

**فيه مسائل:**

**الأولى:** تفسير معرفة النعمة وإنكارها.

**الثانية:** معرفة أن هذا جار على ألسنة كثير [من الناس] .

**الثالثة:** تسمية هذا الكلام إنكارا للنعمة.

**الرابعة:** اجتماع الضدين في القلب.

**قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قول الله تعالى:** ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣].

Created by Universal Document Converter

الواجب على الخلق إضافة النعم إلى الله قولا واعترافا كما تقدم، وبذلك يتم التوحيد، فمن أنكر نعم الله بقلبه ولسانه فذلك كافر ليس معه من الدين شيء.

ومن أقر بقلبه أن النعم كلها من الله وحده، وهو بلسانه تارة يضيفها إلى الله، وتارة يضيفها إلى نفسه وعمله وإلى سعي غيره كما هو جار على ألسنة كثير من الناس، فهذا يجب على العبد أن يتوب منه، وأن لا يضيف النعم إلا إلى موليها، وأن يجاهد نفسه على ذلك، ولا يتحقق الإيمان والتوحيد إلا بإضافة النعم إلى الله قولا واعترافا.

**فإن الشكر الذي هو رأس الإيمان مبني على ثلاثة أركان:**

⇦ اعتراف القلب بنعم الله كلها عليه وعلى غيره.

⇦ والتحدث بها والثناء على الله بها.

⇦ والاستعانة بها على طاعة المنعم وعبادته، والله أعلم.

## (الشرح)

هذا الباب يتعلق بما يقع في ألسنة كثيرٍ من الناس من نِسبة النعم إلى غير الله سواءٌ قصدوا بذلك حقيقة ذلك أو لم يقصدوا، ولكن جرى على الألسنة، ولا شك أنه إذا قصد ذلك فهذا قد يصل إلى الشِرك، أن ينفي أن الله عَزَّ وَجَلَّ هو المُنعم قد يصل إلى الشرك، لكن وهذا الأغلب أنهم لا ينفون لكن جرى على اللسان، وهذا أمرٌ لا ينبغي وينبغي أن تنسب النعم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

**وقد جاء في أحاديث كثيرة منها ما ذكر حديث زيد بن خالد: «أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر، فمن قال مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافرٌ بالكوكب، ومن قال مُطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافرٌ بي مؤمن بالكوكب»**، كذلك كما قال قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨].

فينسب النعم لنفسه أو لمخلوقٍ مثله أو يقول مثلاً والله الذي شفاني الطبيب الفُلاني، أو الذي أغناني الشيء الفلاني، أو الذي أعطاني الشيء الفلاني، دون أن ينسب لله عَزَّ وَجَلَّ شيئًا، وهذا لا شك أنه من سوء الأدب، أقل ما يُقال فيه أنه من سوء الأدب، وإن كان ولابد فليقل: هذا الذي كان سببًا في شفائي بعد الله هو الطبيب الفلاني، الذي كان سببًا في غناي بعد الله هو كذا وكذا، فلا ينسى أن يذكر الله عَزَّ وَجَلَّ فيه، ولا

Created by Universal Document Converter

يعني أن لا ينسب الإنسان الفضل للمخلوقين، لا، ولكن إذا ذكرهم يذكرهم بعد الله عَزَّ وَجَلَّ، فهُم بعد الله هم كانوا سبب في كذا وكذا وكذا.

## (المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **باب قول الله تعالى:** ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ١

**قال ابن عباس في الآية: "الأنداد: هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لآتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لآتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانا، هذا كله به شرك".** رواه ابن أبي حاتم.

## (الشرح)

وهذا قريب من المعنى الذي في الباب قبله.

## (المتن)

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«من حلف بغير الله فقد كفر، أو أشرك»** رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم.

**وقال ابن مسعود: "لأن أحلف بالله كاذبا، أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا".**

## (الشرح)

لماذا لأن الحلف بالله كاذبًا معصية، لا شك معصية كبيرة، لكن الحلف بغير الله شِرك، والشرك أعظم من مجرد المعصية.

## (المتن)

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان»** رواه أبو داود بسند صحيح.

**وجاء عن إبراهيم النخعي:** أنه يكره: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك، قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان.

**فيه مسائل:**

Created by Universal Document Converter

**الأولى:** تفسير آية البقرة في الأنداد.

**الثانية:** أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر بأنها تعم الأصغر.

**الثالثة:** أن الحلف بغير الله شرك.

**الرابعة:** أنه إذا حلف بغير الله صادقا فهو أكبر من اليمين الغموس.

**الخامسة:** الفرق بين الواو وثم في اللفظ.

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ: **باب: قول الله تعالى:** ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

الترجمة السابقة على قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: ١٦٥] الآية، يقصد بها الشرك الأكبر بأن يجعل لله ندا في العبادة والحب والخوف والرجاء وغيرها من العبادات.

وهذه الترجمة المراد بها الشرك الأصغر كالشرك في الألفاظ كالحلف بغير الله، وكالتشريك بين الله وبين خلقه في الألفاظ ك: لولا الله وفلان وهذا بالله وبك، وكإضافة الأشياء ووقوعها لغير الله كلولا الحارس لآتانا اللصوص، ولولا الدواء الفلاني لهلكت، ولولا حذق فلان في المكسب الفلاني لما حصل فكل هذا ينافي التوحيد.

والواجب أن تضاف الأمور ووقوعها ونفع الأسباب إلى إرادة الله وإلى الله ابتداء، ويذكر مع ذلك مرتبة السبب ونفعه، فيقول: لولا الله ثم كذا ليعلم أن الأسباب مربوطة بقضاء الله وقدره، فلا يتم توحيد العبد حتى لا يجعل لله ندا في قلبه وقوله وفعله.

## (الشرح)

نعم وهذا واضح والله أعلم وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبة أجمعين وجزاكم الله خيرًا.

Created by Universal Document Converter

شرح

كتاب القول السديد في مقاصد التوحيد

للشيخ: "عبد الرحمن السعدي" رَحِمَهُ اللَّهُ

# ﴿ما جاء في من لم يقنع بالحلف بالله﴾

لفضيلة الشيخ الدكتور

## مطلق الجاسر

- حفظه الله -

Created by Universal Document Converter

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

الحمدُ للهِ، والصَلَاةُ والسَلام على رسُول الله وعَلى آلهِ وصحبهِ ومن والاهُ وبعدُ:-

وصلنا عند قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ باب ما جاء في من لم يقنع بالحلف بالله.

(المتن)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمُرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله.

عن ابن عمر: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله» رواه ابن ماجه بسند حسن.

فيه مسائل:

**الأولى:** النهي عن الحلف بالآباء.

**الثانية:** الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى.

**الثالثة:** وعيد من لم يرض.

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ : باب: ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله.

ويراد بهذا إذا توجهت اليمين على خصمك وهو معروف بالصدق أو ظاهره الخير والعدالة، فإنه يتعين عليك الرضا والقناعة بيمينه؛ لأنه ليس عندك يقين يعارض صدقه. وما كان عليه المسلمون من تعظيم ربهم وإجلالهم يوجب عليك أن ترضى بالحلف بالله.

وكذلك لو بذلت له اليمين بالله فلم يرض إلا بالحلف بالطلاق، أو دعاء الخصم على نفسه بالعقوبات، فهو داخل في الوعيد؛ لأن ذلك سوء أدب وترك لتعظيم الله، واستدراك على حكم الله ورسوله.

وأما من عرف منه الفجور والكذب، وحلف على ما تيقن كذبه فيه، فإنه لا يدخل تكذيبه في الوعيد للعلم بكذبه، وأنه ليس في قلبه من تعظيم الله ما يطمئن الناس إلى يمينه، فتعين إخراج هذا النوع من الوعيد؛ لأن حالته متيقنة والله أعلم.

Created by Universal Document Converter

## (الشرح)

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ : **باب ما جاء في من لم يقنع بالحلف بالله.**

وجه إدخال هذا الباب أو هذه المسألة في كتاب التوحيد، أن الحلف نوع من تعظيم الله عَزَّ وَجَلَّ، نوعٌ من التعظيم لله سبحانه، والمحلوف له إذا قبل حلف الحالف فهذا أيضًا تعظيم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومن لم يقنع بحلف الحالف بالله سبحانه، طبعًا من لم يقنع بلا عُذرٍ فهذا فيه نقصٌ من تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **«لا تحلفوا بآبائكم»**، هذا نهيٌ من النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن الحلف بالآباء، ولا شك أن هذا ليس مُقتصرًا على الآباء، فالحلف بغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منهيٌ عنه مُطلقًا، لكن لماذا نصَّ على الآباء؟ لأنه كان الغالب من حلفهم، كانوا يحلفون بآبائهم لأنهم يُعظمونهم جدًّا وإلا فليس معنى هذا الحديث جواز الحلف بغير الآباء، وإنما نص على نوعٍ من أنواع الحلف بغير الله لانتشاره بين العرب في ذلك الوقت، ومن حلف بالله فليصدُق لأن الكذب في الحلف بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إثمٌ عظيمٌ جدًّا لأنه استهزاءٌ باسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ومن حُلِف له بالله فليرضى وهذا هو وجه الشاهد، وقد بيَّن الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ المقصود إذا كان الحالف رجلًا عدلًا ليس كاذبًا أو لم يُعهد منه الكذب أو لم يُتيقن من كذبه في هذه الصورة، فإذا كان عدلًا فإنه يجب أن يقبل الإنسان ذلك، كما فعل عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كما في صحيح البُخاري عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال: **«رأى عيسى رجلًا يسرق، فقال لا والله، فقال عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ آمنت بالله وكذَّبت عيني»**.

وهذا يدل على تعظيم عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لله عَزَّ وَجَلَّ فقال رُبما أكون رأيت طأ أو رُبما توهمت أنه يسرق وهو في الحقيقة يأخذ شيئًا آخر فلا يرد عند من يُعظِّم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يحلف إنسان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كذبًا.

ولذلك قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **«ومن حُلف له بالله فليرضى، ومن لم يرضى فليس من الله»**، من لم يرضى طبعًا وكان الحالف عدلًا، ويُستثنى من ذلك الكاذب كما قلنا قبل قليل، فليس من الله، نظير ذلك قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨]، المقصود أي ليس من الله في شيء أي ليس له نصيبٌ في الآخرة، ولا يطلب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الآخرة ثوابًا ولا جزاءً على أعماله، ولا شك أن هذا وعيدٌ خطيرٌ وعظيم.

Created by Universal Document Converter

## (المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **باب قول ما شاء الله وشئت.**

**عن قُتَيْلَة: "أن يهوديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت"** رواه النسائي وصححه.

**وله أيضا عن ابن عباس:** أن رجلا قال للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما شاء الله وشئت، فقال: **«أجعلتني لله ندا؟ بل ما شاء الله وحده»** ولابن ماجه، عن الطفيل أخي عائشة لأمها، قال: **"رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود، قلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون عزير ابن الله، قالوا: وأنتم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى، فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله. قالوا: وأنتم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت".**

ثم أتيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبرته قال: هل أخبرت بها أحدا؟ قلت: نعم قال: **«فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده».**

**فيه مسائل:**

**الأولى:** معرفة اليهود بالشرك الأصغر.

**الثانية:** فهم الإنسان إذا كان له هوى.

**الثالثة:** قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أجعلتني لله ندا؟»**. فكيف بمن قال: يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك والبيتين بعده؟

**الرابعة:** أن هذا ليس من الشرك الأكبر؛ لقوله: **"يمنعني كذا وكذا".**

**الخامسة:** أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي.

**السادسة:** أنها قد تكون سببا لشرع بعض الأحكام.

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **باب: قول: ما شاء الله وشئت.**

Created by Universal Document Converter

هذه الترجمة داخلة في الترجمة السابقة ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً﴾.

## (الشرح)

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **باب قول ما شاء الله وشِئت.**

هذا داخلٌ في المناهي اللفظية، والمناهي اللفظية هي الألفاظ التي يُفهم منها معنىً خطأ بغضِ النظر عن نية المُتكلم، فيُنهى عن هذه المناهي فلا يأتي بها الإنسان ولو قال أنا لم أقصد بها شيئًا، واضح.

وقد نهى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن جُملة من الألفاظ أن تُقال كقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لا يغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم، يسمونها العتمة وهي العِشاء**»، فهذا من المناهي اللفظية، أن يُسمى صلاة العِشاء صلاة العتمة، كذلك نهى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُسمى العِنب كرْمًا، وقال إن الكرْم نفس المؤمن.

ونهى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أن يقول عبدي، أن يقول السيد لعبده عبدي، أو أمتي، وليقل فتاي أو فتاتي، إلى آخر ذلك...، فهذه المناهي اللفظية يُقصد بها أحد أمور:

**أولًا:** نفي أو سد باب الوقوع في الشرك، وإن لم يقصده الإنسان مثل هذا الوارد هنا ما شاء الله وشئت، فإنه جزْمًا ما في مُسلم يقصد الشِرك بالله عَزَّ وَجَلَّ بهذه الكلمة، لكن أراد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يسُّد ذريعة الشِرك بأن لا يُذكر حتى في اللفظ شيءٌ يوهم شِركًا.

**الحِكمة الثانية من بعض المناهي اللفظية:** المحافظة على المصطلحات الشرعية، وهذه حكمة مُهمة، فالتساهل في المُصطلحات الشرعية مثل نهيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن تسمية العِشاء بالعتمة لأن ذلك مع مرور الوقت يُنسي المُصطلح الشرعي لكلمة العِشاء.

ومن ذلك كلمة النصارى فبعض الناس يتساهل ويقول المسيحيين، وهذه النِسبة خطأ فيها نظر، لماذا؟ لأن النصارى هي الكلمة الواردة في القرآن والسُنة، في القرين العظيم لا يُسميهم الله عَزَّ وَجَلَّ إلا نصارى، وكذلك في السُنة.

**والأمر الثاني:** نِسبتهم إلى المسيح أو المسيحية يوهم نوعًا من الشرف وأنهم كأنهم أتباع المسيح عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على الحق، والواقع أنهم ليسوا في هذا الزمن ليسوا له بأتباع، فهذه المناهي اللفظية قد يقول قائِل لماذا نُنهى عنها ونحن لا نقصِد لا من قريب ولا من بعيد معنىً خاطئ، نقول نعم وإن لم تكن تقصد معنى

Created by Universal Document Converter

خاطئًا لكن إما أن يكون المقصود سد الذريعة للوقوع في الشِرك، أو يكون المقصود المُحافظة على المُصطلح الشرعي.

**هنا عن قُتَيلة:** وقُتيلة صحابية، امرأة من جُهينة **"أن يهوديًا أتى النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فقال: إنكم تُشركون تقولون: ما شاء الله وشِئت وتقولون والكعبة، فأمرهم النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة وأن يقولوا ما شاء الله ثم شئت"**، رواه النسائي وصححه.

**هذا الحديث فيه فوائد منها:**

قبول الحق مهما كان مصدره، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يرد الحق الذي أتى به هذا اليهودي لمجرد أنه يهودي، بل أخذ بالحق الذي قاله، حتى لو كان شيطانًا كما عرض لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الشيطان الذي كان يأخذُ أو يُريد أن يأخذ من الصدقة.

فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في آخر الحديث: **«صدقك وهو كذوب»**، فالمؤمن يقبل الحق مهما كان قائِله، طالما أنه تكلَّم بالحق وبالحكمة، فـ**«الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحقُّ بها»**، وهذا الحديث يشهد بذلك، أما فعل أنكم تُشركون وتقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون والكعبة، هذا كان في أول الإسلام أو كان في بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين أسلموا حديثًا بقيت عندهم علائِق من الجاهلية، فكان يخرج منهم أحيانًا هُنا وهُناك بعض الكلمات مثل الحلف بالكعبة، أو قول ما شاء الله وشِئت فنهاهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك.

**في الحديث الذي بعده:** لما جاء رجل قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما شاء الله وشئت، فقال: **«أجعلتني لله ندًا، بل ما شاء الله وحده»**، ولا شك ان هذا الرجل لا يقصد أن يجعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ندًا لله عَزَّ وَجَلَّ، ولكن أراد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يسُدَّ الذريعة لذلك.

الحديث الذي بعده حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رؤيا رآها الطُفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو أخو عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لأمها رأى رؤيا أنه أتى على نفرٍ من اليهود فقال إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون عُذيرٌ ابن الله، قالوا: لأنتم القوم -يعني يا مُسلمين- لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، وكذلك قال للنصارى وكذلك قال بعد ذلك:

Created by Universal Document Converter

فلما أصبحت أخبرت النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقال: «هل أخبرت بها أحدًا؟»، قال نعم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد فإن طُفيلًا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وإنكم قُلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده».

**هذا الحديث من فوائِده:** العمل بالرؤيا الصالحة، وأن الإنسان قد يصله من الله عَزَّ وَجَلَّ رسالةٌ في رؤياه لخطأٍ يعمله، يُنبهه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالرؤيا على ترك هذا الخطأ، كما أتت هذه الرسالة في هذه الرؤيا بتنبيه المسلمين على هذا الخطأ الذي فعلوه.

**ومن فوائد الحديث أيضًا:** أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد يؤخِّر الإنكار لمصلحةٍ راجحة، فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «إنكم قُلتم كلمةً كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها»، يعني لم يُنكر عليهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الكلمة لحكمةٍ لم يذكرها الراوي هنا، ولكن لعل هذه الحكمة هي قُربُ عهدهم بالإسلام.

فتساهل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الإنكار عليهم، لقرب عهدهم أو خشيةً من مثلًا ارتدادهم كما لم يهدم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الكعبة ويبنيها على قواعد إبراهيم، أو لحكمةٍ أخرى لا نعلمُها، المهم أنه من فوائد هذا الحديث يجوز للداعية أو المُصلح أن يؤجِّل إنكارًا مُعينًا لحكمةٍ مُعينة، ولا يقول أنا سأُنكر مهما كانت الظروف ومهما كانت النتائج، لا، ليس هذا من هديه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

## (المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: **باب من سب الدهر فقد آذى الله.**

**وقول الله تعالى:** ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار». وفي رواية: «لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر».

**فيه مسائل:**

**الأولى:** النهي عن سب الدهر.

**الثانية:** تسميته أذى لله.

Created by Universal Document Converter

**الثالثة:** التأمل في قوله: **"فإن الله هو الدهر"**.

**الرابعة:** أنه قد يكون سابا ولو لم يقصده بقلبه.

**قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ : باب: من سب الدهر فقد سب الله.**

وهذا واقع كثير في الجاهلية، وتبعهم على هذا كثير من الفساق والمجان والحمقى، إذا جرت تصاريف الدهر على خلاف مرادهم جعلوا يسبون الدهر والوقت، وربما لعنوه. وهذا ناشئ من ضعف الدين ومن الحمق والجهل العظيم، فإن الدهر ليس عنده من الأمر شيء، فإنه مدبر مصرف، والتصاريف الواقعة فيه تدبير العزيز الحكيم.

ففي الحقيقة يقع العيب والسب على مدبره. وكما أنه نقص في الدين فهو نقص في العقل، فيه تزداد المصائب ويعظم وقعها، ويغلق باب الصبر الواجب، وهذا مناف للتوحيد.

أما المؤمن فإنه يعلم أن التصاريف واقعة بقضاء الله وقدره وحكمته، فلا يتعرض لعيب ما لم يعبه الله ولا رسوله، بل يرضى بتدبير الله ويسلم لأمره، وبذلك يتم توحيده وطمأنينته.

## (الشرح)

**نعم، باب من سب الدهر فقد آذى الله.**

قال الله سبحانه: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، في هذه الآية يحكي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُعتقد من يُسمى بالدهرية، والدهرية هم الذين لا يُؤمنون بوجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا طبعًا ربوبيته ولا بألوهيته، ويظنون أنهم عِبارة عن أرحام تدفع وأرضٌ تبلع ولا شيء بعد ذلك، ولا شك أن هذا جهلٌ عظيم ونسبةُ الخلق والإهلاك للدهر هو يعتقدون أن الدهر هو الخالق أو هو المُدبِّر، وهذا لا شك أنه كُفرٌ ولا كُفر بعد ذلك.

وفي الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال قال الله تعالى: **«يؤذيني ابن آدم، يسُب الدهر وأنا الدهر أُقلِّب الليل والنهار»**، الدهر هو الزمن، والزمن هو عبارةٌ عن أحداثٍ متتالية، فالأوقات تحل أفعالًا وظروفًا سواءٌ كانت بفعل الإنسان أو بغير فعله، فأحيانًا يُصاب الإنسان بصدمةٍ مُعينة أو يواجهُ مُشكلةً مُعينة أو تُقفل في وجهه أبواب معينة فيسب الوقت ويسب الدهر.

Created by Universal Document Converter

وهذا مع الأسف منتشر مثل كلمة: الله يلعن الساعة التي رأيتك فيها مثلاً، وهذه مع الأسف دارجة عند البعض، فيلعن الوقت الذي رأيت فلان أو يلعن الوقت الذي حصل فيه فلان أو يسب الزمن الذي ذهب فيه إلى المكان الفلاني إلى آخره، ولا شك أن هذا فيه إساءةٌ لله تعالى، لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال هنا: وأنا الدهر، طيب كلمة أنا الدهر هل معناه أن الدهر اسم من أسماء الله؟ الجواب لا، لأن آخر الحديث بيَّن المقصود فيه بقوله: «أُقلِّب الليل والنهار»، أنا الدهر أي أنا الذي أُقلِّب الليل والنهار، فهذا الذي يحصل هي أقدار، والأقدار يُقدرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإذا سببت الدهر فلا يخلو إما أنك تعتقد أن الدهر هو الفاعل حقيقةً، فهذا كُفر، لأنك نسبت لغير الله، أو تعتقد أن الفاعل هو الله.

ومع ذلك تسب الدهر ففي هذه الحالة وقعت في سب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا تخلو من أحد المُصيبتين، إما أن تعتقد أن الله هو الفاعل، أو أن الدهر هو الفاعل، وكلاهما مُصيبة، لأنك إذا اعتقدت أن الدهر هو الفاعل فشِرك وكُفر، وإذا اعتقدت أن الله هو الفاعل فمن تقصد إذًا بالسب وشتم الدهر؟

فإذًا ينبغي أن يُنتبه، ولا يعني أشك أن المُسلم لا يقصد الإساءة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ لكن ينبغي أن يُنتبه، ويكثر ذلك في القصائد، مثل وصف الدهر بالظُلم، ظلمني الزمن، ظلمني الدهر، أو ظلمني كذا، أو الله يلعن الزمن، أو الله يلعن الدهر أو الزمن الظالم، أو إلى نسبة الظُلم للوقت والزمن والدهر داخلٌ في هذا حديث وفي هذا المعنى فيجب على الإنسان أن يجتنبه، وفي رواية: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر».

**بالإضافة إلى ذلك:** حكمة أخرى وملحظ آخر من وراء هذا الحديث هو أن سب الدهر هو حيلة العاجزين، لأن المؤمن لا يقنط ولا ييأس، ولا يرمي بفشله على الدهر، بل المؤمن يُحاول فإن فشل يُعيد المُحاولة، فإن فشل يُعيد المُحاولة، حتى ينجح، ولا يُقضِّي وقته في سب ونسبة الفشل للدهر.

وأن الدهر ظلمني، وأنا ما لي حظ، أو نحو ذلك من العبارات، أو قد يكون الإنسان يسُب الدهر من ناحية أخرى بأن مثلاً يكون لا يُعجبه الوضع مثلاً في مكانٍ ما، أو لا يُعجبه الناس، ويكثر فساد الناس، فيسب الدهر ويسب هذا الزمن، زمن السوء، هذا الزمن الظالم، هذا الزمن الملعون إلى آخر هذه العبارات، وهذا **كما قُلنا وقع فيه إشكالات:**

**أول شيء:** هذا سب للدهر.

Created by Universal Document Converter

**الأمر الثاني:** هذا فيه عجز، أنت إذا كُنت ترى سوءًا في هذا الزمن فبدل أن تُضيع الوقت في الكلام والثرثرة، يجب أن تُسهِم في رفع هذا السوء، وفي إشعال الشمعة كما يقولون أو كما هو معروف في المثل: أشعل شمعةً بدل أن تلعن الظلام.

فإنك إذا سببت الدهر ولعنت الزمن ولعنت الناس لن ينصلح الحال، فبدل أن تُشغل وقتك وفِكرك بهذا الذي نسميه بالعامية تحيطم، ولعن الدهر وسبه، حاول أن تُسهِم في رفع هذا الظلام ورفع هذه اللعنة بعملك وفعلك لا بلسانك وقولك، نعم.

## (المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **باب التسمي بقاضي القضاه ونحوه.**

في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إن أَخْنَعَ اسْمٍ عند الله، رَجُلٌ تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله»**. قال سفيان: مثل شَاهَانْ شَاهْ.

**وفي رواية: «أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه»** قوله: **"أخنع"** يعني: أوضع.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** النهي عن التسمي بملك الأملاك.

**الثانية:** أن ما في معناه مثله كما قال سفيان.

**الثالثة:** التفطن للتغليظ في هذا ونحوه، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه.

**الرابعة:** التفطن أن هذا لإجلال الله سبحانه.

**باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك.**

**عن أبي شريح:** أنه كان يكنى أبا الحكم، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن الله هو الحكم، وإليه الحكم»**، فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين. فقال: **«ما أحسن هذا! فما لك من الولد؟»** قلت: شريح، ومسلم، وعبد الله. قال: **«فمن أكبرهم؟»** قلت: شريح، قال: **«فأنت أبو شريح»** رواه أبو داود وغيره.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** احترام صفات الله وأسماء الله ولو لم يقصد معناه.

Created by Universal Document Converter

**الثانية:** تغيير الاسم لأجل ذلك.

**الثالثة:** اختيار أكبر الأبناء للكنية.

قال الشارح رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه.**

**وباب: احترام أسماء الله وتغيير الاسم لذلك.**

وهاتان الترجمتان من فروع الباب السابق، وهو أنه يجب أن لا يجعل لله ند في النيات والأقوال والأفعال، فلا يسمى أحد باسم فيه نوع مشاركة لله في أسمائه وصفاته، كقاضي القضاة وملك الملوك ونحوها، وحاكم الحكام، أو بأبي الحكم ونحوه، وكل هذا حفظ للتوحيد ولأسماء الله وصفاته، ودفع لوسائل الشرك حتى في الألفاظ التي يخشى أن يتدرج منها إلى أن يظن مشاركة أحد لله في شيء من خصائصه وحقوقه.

## (الشرح)

وهذا كذلك داخلٌ في الذي قلناه قبل قليل فقي المناهي اللفظية، التسمي بقاضي القضاة، ملك الأملاك، شاهنشاه، أمير الأمراء، مثلاً ونحو ذلك، فهذا قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أخنع اسم**» هي أوضع، «**أخنع اسم عند الله رجلٌ تسمى ملك الأملاك**»، لا مالك إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو ملك المُلوك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا فيه مُزاحمة لله عَزَّ وَجَلَّ في صِفةٍ من صفاته.

وكذلك الباب الذي بعده كان أحد الصحابة يُسمى أبا الحكم، وكان يعني يُنادى بذلك فقال له النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إن الله هو الحكم وإليه الحكم**»، من تسمى بأبي الحكم فيه وهم وإيهام، فبيَّن السبب قال: إن قومه كانوا يأتون إليه فيحكم بينهم فيرضى كُل الفريقين، فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ما أحسن هذا!**»، يعني هذا كلام طيب، وفعلك هذا شيء طيب، لكن لا يُبرر ذلك أن تتكنى بذلك، ثم أرشده للسُنة في التكنية، ما هي السُنة؟ أن يُكنى الإنسان بأكبر أولاده، قال «**فما لك من الولد؟**»، قلت: شُريح ومسلم وعبد الله، قال: «**فمن أكبرهم؟**»، قلت شُريح، قال: «**فأنت أبو شُريح**»، وهذا فيه أيضًا، السُنة أن يُكنى بأكبر أولاده.

## (المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : **باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول.**

Created by Universal Document Converter

**وقول الله تعالى:** ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥].

وعن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة - دخل حديث بعضهم في بعض- أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء، يعني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه القراء، **فقال له عوف بن مالك:** كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذهب عوف إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد ارتحل وركب ناقته.

فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عناء الطريق.

**قال ابن عمر:** كأني أنظر إليه متعلقا بنسعة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، فيقول له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦] ما يلتفت إليه وما يزيده عليه.

**فيه مسائل:**

**الأولى: - وهي العظيمة-** أن من هزل بهذا، أنه كافر.

**الثانية:** أن هذا تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنا من كان.

**الثالثة:** الفرق بين النميمة وبين النصيحة لله ولرسوله.

**الرابعة:** الفرق بين العفو الذي يحبه الله، والغلظة على أعداء الله.

**الخامسة:** أن من الأعذار ما لا ينبغي أن يقبل.

**قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ: باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول.**

أي فإن هذا مناف للإيمان بالكلية، ومخرج من الدين ؛ لأن أصل الدين الإيمان بالله وكتبه ورسله. ومن الإيمان تعظيم ذلك، ومن المعلوم أن الاستهزاء والهزل بشيء من هذه أشد من الكفر المجرد ؛ لأن هذا كفر

Created by Universal Document Converter

وزيادة احتقار وازدراء. فإن الكفار نوعان: معرضون ومعارضون. فالمعارض المحارب لله ورسوله، القادح بالله وبدينه ورسوله أغلظ كفرا وأعظم فسادا، والهازل بشيء منها من هذا النوع.

## (الشرح)

نعم، الهزل بشيءٍ فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول.

هذا الموضوع من المواضيع المهمة، فإن الهزل والاستهزاء من أعظم الأساليب التي تؤثِّر في البشر، فمن أراد أن يُسقِط موضوعًا مُعينًا أو إنسانًا مُعينًا أو فكرًا معينًا فليجعله مادة للسُخرية، فإن السُخية تتسلل إلى القلوب بسُرعة، لذلك شدَّد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في من يتخذُ شيئًا من الدين مادةً للسُخرية؛ لأن هذا الباب إذا فُتح فإنه سيُزعزع هيبة الدين وأحكام الدين وشرائع الدين في القلوب، وهذا بابٌ خطير جدًّا، لذلك سُدَّ هذا الباب بأعظم وعيد، لأن من يفعل ذلك يخرج من الإسلام بالكُلية.

**الأمر الثاني:** وهو الحكمة من كُفر من يستهزئ رغم أنه لا يقصد، يعني قد يقول أنا كما قالوا هم هؤلاء المنافقون: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥]، يعني قاعدين نضيِّع وقت في الطريق، ونضحك، فقال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥]، فما الحكمة من ذلك؟ الحكمة أن المستهزئ بالشيء يعني قلة احترامه لهذا الشيء، فإن الذي يحترم ويُعظِّم شيئًا لا يستهزئ به.

فالاستهزاء دليلٌ على أنه يحتقر أو يُقلل من هذا الشيء، ولا شك أن احتقار أو تقليل شيء من آيات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا شك أنه كُفر، فإن قال قائل: هل يعني ذلك أن القُراء أو العُلماء أصبحوا معصومين لا يُمكن لأحد أن ينتقدهم أو يستهزئ بهم؟

نقول هناك فرق بين ذواتهم وبين صفاتهم، فهؤلاء لماذا كفروا؟ لأنهم استهزءوا بالصفات لذلك ماذا قالوا؟ ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء! وصفوهم بالقُراء، فكان مناط الاستهزاء بهم القراء، هؤلاء القُراء والقراء: أي كانوا مجموعة من الصحابة يحفظون القرآن وهم كلمة قُراء قديمًا تُساوي عُلماء، هُم العُلماء.

لكن لو أتى إنسان واستهزأ مثلاً بقارئ أو عالم في هذا الزمن، أو في غيره لا لصفته عالم أو قارئ ولكن بشخصه بصفته إنسان استهزأ بطوله مثلاً أو قِصره أو شكله فهذا حرام لكنه ليس كُفرًا لماذا؟ لأنه لم يستهزئ بصفته وإنما استهزأ بذاته.

Created by Universal Document Converter

فالاستهزاء هنا بصفاتهم، فعلى سبيل المثال: لو استهزأ إنسانٌ باللحية مثلاً، لأنها لحية، رجل أطلق لحيته إتباعًا لأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأتى رجل واستهزأ بها استهزأ بفكرة إطلاق اللحية، هذا لا شك يقع في ذلك لأن اللحية سُنة، بل واجب أمر به النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو من الشريعة.

فالاستهزاء به استهزاءٌ بالشريعة، بل حتى السواك، لو أتى إنسان واستهزأ بالسواك فهذا يوقعه في ذلك، واضح، فهذا أمرٌ ينبغي أن يُنتبه، ولذلك ينبغي أن يُحذر من إطلاق الطُرف والنِكات التي فيها شيءٌ من الاستهزاء بالدين أو بأهلِ الدين، أو بنحوهم، فهذا أمرٌ خطير قد يوقع صاحبه في الكفر والعياذ بالله.

## (المتن)

**قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: باب ما جاء في قول الله تعالى.**

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [فصلت: ٥٠].

**قال مجاهد: "هذا بعملي، وأنا محقوق به".**

**وقال ابن عباس: "يريد من عندي".** وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨].

**قال قتادة: "على علم مني بوجوه المكاسب".**

وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل، وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف.

وعن أبي هريرة، أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به، قال: فمسحه، فذهب عنه قذره، فأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو البقر- شك إسحاق- فأعطي ناقة عشراء، فقال: بارك الله لك فيها.**

**قال: فأتى الأقرع، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به، فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعرا حسنا، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر، أو الإبل، فأعطي بقرة حاملا، قال: بارك الله لك فيها.**

Created by Universal Document Converter

قال: وأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري، فأبصر به الناس، فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والدا، فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم. قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته».

## (الشرح)

يعني أن الملك الذي أتى الأول الأبرص فشافاه الله أتاه بصورة أبرص، واضح وهذا معنى قوله: أتى الأبرص في صورته وهيئته يعني السابقة، فأتى الأبرص على هيئة أبرص، على هيئته التي كان هذا الأبرص عليها في السابق.

## (المتن)

قال: «ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال- بعيرا أتبلغ به في سفري -، فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا، فأعطاك الله المال، فقال: إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر.

فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت.

قال: وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت. قال: ثم إنه أتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك» أخرجاه.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** تفسير الآية.

**الثانية:** ما معنى: ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾.

**الثالثة:** ما معنى قوله: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾.

**الرابعة:** ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة.

Created by Universal Document Converter

**قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ : باب:**

**قول الله تعالى:** ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾ [فصلت: ٥٠].

مقصود هذه الترجمة أن كل من زعم أن ما أوتيه من النعم والرزق فهو بكده وحذقه وفطنته، أو أنه مستحق لذلك لما يظن له على الله من الحق، فإن هذا مناف للتوحيد؛ لأن المؤمن حقا من يعترف بنعم الله الظاهرة والباطنة ويثني على الله بها، ويضيفها إلى فضله وإحسانه، ويستعين بها على طاعته، ولا يرى له حقا على الله، وإنما الحق كله لله، وأنه عبد محض من جميع الوجوه، فبهذا يتحقق الإيمان والتوحيد، وبضده يتحقق كفران النعم، والعجب بالنفس والإدلال الذي هو من أعظم العيوب.

## (الشرح)

**باب قول الله تعالى:** ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ [فصلت: ٥٠]، هذا لي: قال مُجاهد أي بعملي وأنا محقوقٌ به، يعني هذا حقي، وأنا أخذته بذراعي وإلى آخره...، وكذلك قال: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨].

يعني قارون، نسب هذا المال الذي عنده لنفسه، قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب، يعني بشطارتي وفهمي وإدراكي وتجارتي إلى آخره...، ولا شك أن هذا فيه جحود لله عَزَّ وَجَلَّ، نوعٌ من الجحود لأن المعطي على الحقيقة هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بدليل أن هناك من هو قد عمل مثل عملك بل رُبما أكثر ولم يحصل على شيء، فالعمل ليس هو وحده سبب الحُصول على المال، هو سبب من الأسباب نعم، لكنه لن يُعطيك شيئًا إذا لم يُرد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يُعطيك لذلك يجب إذا ذكرت شيئًا من نعم الله عَزَّ وَجَلَّ عليك أن تنسبها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فإن شئت تقول بعد ذلك: ثم كذا وكذا، تقول هذا المال أعطاني الله هذا المال من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ثم من التجارة الفلانية، أو هذا المال من الله ثم من فُلان.

يجب أن يُحافظ الإنسان على ذلك في ألفاظه حتى يُحافظ على شُكر نعمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعدم جحودها، ثم ذكر القصة الشهيرة قصة الثلاثة الأقرع والأبرص والأعمى الذين اختبرهم الله وابتلاهم بأن أزال ما بهم من أذى، وأزال ما بهم من فقر، ثم بعث إليهم من كان مثل حالهم في البلاء وفي الفقر، في المرض وفي الفقر، فطلب يعني بعيرًا من الأول، وبقرةً من الثاني، وشاةً من الثالث، فجحد الأول نعمة الله عَزَّ وَجَلَّ عليه، كذب بأن نسب هذه النعمة قال: إنما ورثتها كابرًا عن كابر.

Created by Universal Document Converter

وهذا مع الأسف حال بعض الناس ممن رزقه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ المال يأنف ويتكبر أن يذكر حالته الأولى، حالة الفقر التي كان عليها، يظن أنه بذكر حالته الأولى يستصغره الناس، ولا شك أن هذا من نقص عقله، كذلك الأقرع: رد عليه بمثل الذي رد عليه، أما الأعمى فقد نجح في هذا الابتلاء وقال: قد كُنت أعمى فتذكر نعمة الله عَزَّ وَجَلَّ فرد الله إلي بصري، فخُذ ما شئت ودع ما شئت، يعني ليس شاة واحدة خذ ما شئت من الشياه، هذه نِعم من الله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي أعطاني إياها فشُكرًا لله عَزَّ وَجَلَّ، أسمح لك بأن تأخذ منها فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله.

**فقال:** أمسك مالك لأن هذا ملك، وهذا اختبار فإنما ابتُليتم أي اختبرتم، وهذا فيه أن الابتلاء لا يقتصر على المصائب، بل الابتلاء في المصائب وفي النعم، فالمال ابتلاء، والصحة ابتلاء، والعافية ابتلاء، وكل نعمة في هذا الزمن ابتلاء، وكُل مُصيبة ابتلاء، لكن الابتلاءات تتنوع فبعض الناس يظن أن الابتلاء فقط لمن أُصيب بمُصيبة كمرض أو فقر أو نحو ذلك، ويُسمى مُبتلى، وصاحب المال والعافية يظن أنه غير مُبتلى والواقع خلاف ذلك، بل قد يكون بلاء وابتلاء صاحب المال وصاحب الصحة أعظم من بلاء صاحب المُصيبة لماذا؟

لأن صاحب المُصيبة قد لا يكون له خيار إلا الصبر، أما صاحب المال فإنه قد ينسى، قد يُلهيه ماله عن شُكر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فلذلك اختلف العلماء، أيهما أفضل الفقير الصابر أم الغني الشاكر؟ ورجَّح كثيرٌ من أهل العِلم أن الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر، لأن الغني الشاكر كان أبعد عن النجاح في الابتلاء بسبب المُلهيات الكثيرة التي عنده، أما الفقير فما له خيار آخر غير أنه يصبر، خياره الآخر صعب وهو أن يقنط وأن يحزن وحُزنه وقُنوطه لن يُفيده شيئًا، وبالتالي ينبغي أن يُنتبه لهذه المسألة وهو أن الابتلاء لا يقتصر على المصائب والبلايا والأمراض والفقر وإنما يشمل الخير والشر كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

طيب، والله أعلم وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Created by Universal Document Converter

شرح

كتاب القول السديد في مقاصد التوحيد

للشيخ: "عبد الرحمن السعدي" رَحِمَهُ اللَّهُ

# ﴿نهاية الكتاب﴾

لفضيلة الشيخ الدكتور

## مطلق الجاسر

- حفظه الله -

Created by Universal Document Converter

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

**الحمدُ للهِ، والصَلَاةُ والسَلام على رسُول الله وعَلى آلِهِ وصحبهِ ومن والاهُ وبعدُ:-**

فقد وصلنا عند قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠]،

## (المتن)

**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ باب قول الله تعالى:** ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠]،

**قال ابن حزم: "اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله، كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب".**

**وعن ابن عباس في الآية:** قال: **"لما تغشاها آدم حملت، فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيلٍ".**

## (الشرح)

قرني أيلٍ.

## (المتن)

أو لأجعلن له قرني أيلٍ فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن، يخوفهما، سمياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا، ثم حملت، فأتاهما، فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا، فأتاهما فذكر لهما، فأدركهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله: ﴿جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ رواه ابن أبي حاتم.

**وله بسند صحيح عن قتادة قال: "شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته".**

**وله بسند صحيح عن مجاهد، في قوله:** ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾ [الأعراف: ١٨٩] .

قال: **"أشفقا أن لا يكون إنسانا".** وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** تحريم كل اسم معبدٍ لغير الله.

Created by Universal Document Converter

**الثانية:** تفسير الآية.

**الثالثة:** أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها.

**الرابعة:** أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم.

**الخامسة:** ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة.

**قال الشارح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **: قول الله تعالى:** ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠].

**مقصود الترجمة:** أن من أنعم الله عليهم بالأولاد، وكمل الله النعمة بهم بأن جعلهم صالحين في أبدانهم، وتمام ذلك أن يصلحوا في دينهم، فعليهم أن يشكروا الله على إنعامه، وأن لا يعبدوا أولادهم لغير الله، أو يضيفوا النعم لغير الله، فإن ذلك كفران للنعم مناف للتوحيد.

## (الشرح)

نعم، قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ : باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠]، في هذا الباب استكمال من المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيان المناهي اللفظية المتعلقة بالتوحيد، ومن تلك المناهي التعبيد لغير الله، كعبد الكعبة، وعبد النبي، وعبد الرسول إلى آخره...، لذلك قال الإمام ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: **"مراتب الإجماع"**، وبالمناسبة هذا الكتاب قيّم للإمام ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر فيه الإجماعات على ترتيب الفقه، وللإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حاشية عليه فيها تعليق واستدراك على بعض المواضع لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

**يقول:** اتفقوا على تحريم كُل اسمٍ معبدٍ لغير الله كعبد عمرو وعبد الكعبة، وعبد الحُسين، وعبد علي، وعبد الزهراء، وعبد النبي، وعبد الرسول، وكل اسمٍ معبدٍ لغير الله، قال: وما أشبه ذلك، حاشا فقط باستثناء واحد، وهو عبد المُطلب، وسبب هذا الاستثناء أمران:

**الأمر الأول:** قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **«أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»**، وهذا أيضًا يستدل به لكنه ضعيف لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حكى الحال أن جده اسمه عبد المطلب، لكن الدليل القوي أنه قد وُجد من الصحابة من اسمه عبد المُطلب، وهذا لا شك أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان يعلم باسمه وأقره فدل ذلك على جوازه، ما عدا ذلك يُمنع، فإن قالوا نحن لا نقصد العبودية من العبادة وإنما نقصد العبودية

Created by Universal Document Converter

أي الخدمة، يعني خادم النبي، خادم الرسول، نقول ولو، لأن هذا يورث لبسًا والتباسًا، في نسبةِ العبودية لغير الله، أنت تقول عبد وعبد النبي، فمن الذي سيفرِّق بينهما؟ قد يأتي واحد ويظن أن المقصود عبد النبي أي عابد للنبي، وليس المقصود خادم، فترك ذلك هو الواجب.

**ثم ذكر سبب ما قيل في سبب نزول الآية:** ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠]، في هذا ذكر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا القصة التي ذكرها هنا وهذه من الإسرائيليات أي المأخوذة، التي أخذها ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومعلومٌ أن منهجنا أي أهل السُنة والجماعة مع الإسرائيليات وما جاء عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنها على ثلاثة أقسام:

ما وافق القرآن والسُنة قُبل، وما عارض القرآن والسُنة رُد، وما لم يوافق ولم يُعارض لا يُصدَّق ولا يُكذَّب، «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»، وفي رواية: «لا تصدقوهم ولا تُكذبوهم»، وكتب التفسير مليئة بمثل ذلك.

وله أي ابن عباس بسندٍ صحيح عن قتادة قال شُركاء، عفوا وله أي ابن أبي حاتم بسندٍ صحيح عن قتادة شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته، يعني ليس المقصود الشِرك في العبادة، وإنما الشرك في الطاعة، لأنهما أطاعا الشيطان على حسب هذه القصة.

## (المتن)

**باب قول الله تعالى:** ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠] الآية.

**ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس:** ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠] يشركون.

وعنه: **"سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز".**

**وعن الأعمش: "يدخلون فيها ما ليس منها".**

**فيه مسائل:**

**الأولى:** إثبات الأسماء.

**الثانية:** كونها حسنى.

**الثالثة:** الأمر بدعائه بها.

Created by Universal Document Converter

**الرابعة:** ترك من عارض من الجاهلين الملحدين.

**الخامسة:** تفسير الإلحاد فيها.

**السادسة:** وعيد من ألحد.

**قال الشارح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

**باب: قول الله تعالى:** ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠]، إلى آخر الآية.

أصل التوحيد إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله من الأسماء الحسنى، ومعرفة ما احتوت عليه من المعاني الجليلة، والمعارف الجميلة، والتعبد لله بها ودعاؤه بها.

فكل مطلب يطلبه العبد من ربه من أمور دينه ودنياه. فليتوسل إليه باسم مناسب له من أسماء الله الحسنى، فمن دعاه لحصول رزق فليسأله باسمه الرزاق، ولحصول رحمة ومغفرة فباسمه الرحيم الرحمن البر الكريم العفو الغفور التواب ونحو ذلك.

## (الشرح)

ذكر هذا المعنى الذي هو دعاء الله عَزَّ وَجَلَّ باسمٍ مناسبٍ للمسألة، ذكر ذلك الإمام القُرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لهذه الآية تحديدًا.

## (المتن)

وأفضل من ذلك أن يدعوه بأسمائه وصفاته دعاء العبادة، وذلك باستحضار معاني الأسماء الحسنى وتحصيلها في القلوب حتى تتأثر القلوب بآثارها ومقتضياتها، وتمتلئ بأجل المعارف.

فمثلا أسماء العظمة والكبرياء والمجد والجلال والهيبة تملأ القلوب تعظيما لله وإجلالا له.

وأسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبة لله وشوقا له وحمدا له وشكرا.

وأسماء العز والحكمة والعلم والقدرة تملأ القلب خضوعا لله وخشوعا وانكسارا بين يديه.

وأسماء العلم والخبرة والإحاطة والمراقبة والمشاهدة تملأ القلب مراقبة لله في الحركات والسكنات، وحراسة للخواطر عن الأفكار الردية والإرادات الفاسدة.

وأسماء الغنى واللطف تملأ القلب افتقارا واضطرارا إليه، والتفاتا إليه كل وقت، في كل حال.

Created by Universal Document Converter

فهذه المعارف التي تحصل للقلوب بسبب معرفة العبد بأسمائه وصفاته، وتعبده بها لله لا يحصل العبد في الدنيا أجل ولا أفضل ولا أكمل منها، وهي أفضل العطايا من الله لعبده، وهي روح التوحيد وروحه.

ومن انفتح له هذا الباب انفتح له باب التوحيد الخالص، والإيمان الكامل الذي لا يحصل إلا لِلْكُمَّل من الموحدين.

وإثبات الأسماء والصفات هو الأصل لهذا المطلب الأعلى.

وأما الإلحاد في أسماء الله وصفاته فإنه ينافي هذا المقصد العظيم أعظم منافاة.

**والإلحاد أنواع:**

إما أن ينفي الملحد معانيها كما تفعله الجهمية ومن تبعهم.

وإما بتشبيهها بصفات المخلوقين كما يفعله المشبهة من الرافضة وغيرهم.

وإما بتسمية المخلوقين بها كما يفعله المشركون حيث سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان، فاشتقوا لها من أسماء الله الحسنى، فشبهوها بالله ثم جعلوا لها من حقوق العبادة ما هو من حقوق الله الخاصة.

**فحقيقة الإلحاد في أسماء الله:** هو الميل بها عن مقصودها لفظا أو معنى، تصريحا أو تأويلا أو تحريفا، وكل ذلك مناف للتوحيد والإيمان.

## (الشرح)

**قول الله سبحانه:** ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، في هذه الآية بيان كما ذكر الشيخ إثبات الأسماء لله عَزَّ وَجَلَّ، وإثبات أنها حُسنى وكل أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ حُسنى، كما أن فيها الأمر بالدعاء، وفي ذلك من الفوائد أن الدُعاء بمجرده عبادة، بغضِّ النظر عن حُصول نتيجته من عدمها، وهذا أمرٌ ينبغي أن يُفطن له، بعض الناس يتعامل مع الدعاء تعامُل المُعاوضة، يُريد أن يدعو ليأخذ فورًا ولا يُريد أن يأخذ حتى المؤجَّل يُريد الفوري، فتجده يحزن يغضب يزعل يقول يل رب دعوتك فلم تُجبني.

ومن هذا شُعوره لم يستشعر أن الدعاء بمُجرده عبادة بغضِّ النظر هل حصل لك المطلوب أم لم يحصُل؟ وهذه الآية صريحة في ذلك، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وكذلك الآية

Created by Universal Document Converter

الأخرى، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ أي يدعوني، ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

**فالشاهد أن هذا المعنى:** مُهم جدًّا أن يستحضره المُسلم في دعائه، أنه يدعو لا لمُجرَد أخذ العِوض، أخذ النتيجة، أخذ الثمرة من الدعاء، لكن يستشعر أن الدعاء بحد ذاته عبادةٌ مُستقلة، فمهما ازداد من هذه العبادة قد يكون ربما لو تأمل في حقيقة الأمر لوجد أن تأخير الإجابة قد يكون خيرًا له، لأنه إذا أُعطي سؤله بعد يوم ربما ينقطع عن الدُعاء، لكن لو أُعطي سؤله بعد شهر سيكون قد وفِّق للدُعاء لمُدة شهر فربما يكون هو المُستفيد، فرُب تأخيرٍ فيه خير للإنسان، فهذا أمرٌ ينبغي أن يُفطن له.

﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، طبعًا ذكر الشيخ معنى الإلحاد، الإلحاد طبعًا في اللغة هو الميل، ومنه اللحد، الذي يكون في القبر وهو لماذا سُمي لحدًا لأنه مائلٌ عن القبر لأنه يكون في جدار القبر، والإلحاد في أسماء الله كما ذكر الشيخ هُنا أنواع منها نفي معانيها بالكُلية، ومنها تشبيهه بصفات المخلوقين، ومنها تسمية المخلوقين بها، والمقصود كُل انحرافٍ في أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ فهو نوعٌ من أنواع الإلحاد بها.

## (المتن)

**قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ باب لا يقال السلام على الله.**

**في الصحيح عن ابن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان. فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام»**.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** تفسير السلام.

**الثانية:** أنه تحية.

**الثالثة:** أنها لا تصلح لله.

Created by Universal Document Converter

**الرابعة:** العلة في ذلك.

**الخامسة:** تعليمهم التحية التي لا تصلح لله.

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **باب لا يقال السلام علي الله.**

وقد بين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **هذا المعنى بقوله: "فإن الله هو السلام"** فهو تعالى السلام السالم من كل عيب ونقص، وعن مماثلة أحد من خلقه له، وهو المسلم لعباده من الآفات والبليات، فالعباد لن يبلغوا ضره فيضروه، ولن يبلغوا نفعه فينفعوه، بل هم الفقراء إليه، المحتاجون إليه في جميع أحوالهم، وهو الغني الحميد.

## (الشرح)

وهذا أيضًا من باب المناهي الفظية، لا يُقال السلام على الله لأن الله هو السلام، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا يُقال مثل ذلك وهذا واضح.

## (المتن)

**باب قول:** اللّٰهم اغفر لي إن شئت

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«لا يقل أحدكم: اللّٰهم اغفر لي إن شئت، اللّٰهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة فإن الله لا مكره له»**.

ولمسلم: **«وليعظم الرغبة؛ فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه»**.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** النهي عن الاستثناء في الدعاء.

**الثانية:** بيان العلة في ذلك.

**الثالثة: قوله: "ليعزم المسألة".**

**الرابعة:** إعظام الرغبة.

**الخامسة:** التعليل لهذا الأمر.

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **باب: قول: اللّٰهم اغفر لي إن شئت.**

Created by Universal Document Converter

الأمور كلها وإن كانت بمشيئة الله وإرادته، فالمطالب الدينية كسؤال الرحمة والمغفرة، والمطالب الدنيوية المعينة على الدين كسؤال العافية والرزق وتوابع ذلك، قد أمر العبد أن يسألها من ربه طلبا ملحا جازما، وهذا الطلب عين العبودية ومحلها.

ولا يتم ذلك إلا بالطلب الجازم الذي ليس فيه تعليق بالمشيئة؛ لأنه مأمور به، وهو خير محض لا ضرر فيه، والله تعالى لا يتعاظمه شيء.

وبهذا يظهر الفرق بين هذا وبين سؤال بعض المطالب المعينة التي لا يتحقق مصلحتها ومنفعتها، ولا يجزم أن حصولها خير للعبد. فالعبد يسأل ربه ويعلقه على اختيار ربه له أصلح الأمرين.

**كالدعاء المأثور:** «اللّٰهم أحيني إذا كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي» وكدعاء الاستخارة.

فافهم هذا الفرق اللطيف البديع بين طلب الأمور النافعة المعلوم نفعها وعدم ضررها، وأن الداعي يجزم بطلبها ولا يعلقها، وبين طلب الأمور التي لا يدري العبد عن عواقبها، ولا رجحان نفعها على ضررها، فالداعي يعلقها على اختيار ربه الذي أحاط بكل شيء علما وقدرة ورحمة ولطفا.

## (الشرح)

### باب قول اللّٰهم اغفر لي إن شئت.

أنت إذا طلبت من إنسانٍ خدمة ولا تُريد أن تشُق عليه، فتقول له: إذا ما كان عليك كلف إن شئت تعمل لي كذا إذا ما كان صعب عليك، إذا كان ما في إحراج عليك، فأنت مبعثُك للتلفظ بهذه العبارات ظنك أن هذا الأمر قد يكون مُشق على هذا الإنسان فلا تريد أن تشق عليه.

ومن هنا نُهي عن أن نقول لله عَزَّ وَجَلَّ اللّٰهم اغفر لي إن شئت، كأنك تدَّعي بهذا الكلام أن الله ممكن يعني يكون صعب عليه أن يفعل هذا الشيء ويكون فيه مشقة عليه تعالى الله عَزَّ وَجَلَّ عما يقولون.

فإمعانًا في إثبات أن الله عَزَّ وَجَلَّ على كُل شيءٍ قدير، لا يجوز ل كان تقول: اللّٰهم اغفر لي إن شئت، لأن هذا فيه أولًا إيهامٌ أن الله عَزَّ وَجَلَّ قد يكون في تنفيذ هذا الأمر مشقة هذا واحد.

**اثنين:** فيه كذلك يعني عدم الثقة بالله عَزَّ وَجَلَّ، أو عدم إحسان الظن كأنك متردد، هل هو يستجيب أم لن يستجيب لك، تقول اللّٰهم اغفر إن شئت، لا ينبغي أن يكون الإنسان حسن الظن بالله، إذا سأل،

Created by Universal Document Converter

اللّٰهم اغفر لي جزْمًا، اللّٰهم، إذا سألت فاسأل الفردوس الأعلى واسأل أعلى المطالب، واسأل وأنت واثق بربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لكن هنا مسألتان:

**المسألة الأولى:** ذكرها الشيخ وهي الفرق بين هذا الحديث وبين حديث الاستخارة الذي فيه نوعٌ من التخيير، لأن دعاء الاستخارة: **«اللّٰهم إن كان هذا الأمر ويُسميه، خيرًا لي في ديني ودُنياي وعاجل أمري وآجله فيسره لي ويسرني له، وإن كان في هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ودنياي وعاجل أمري وآجله؛ فأبعده عني وأبعدني عنه، واقدُر لي الخير حيثُ كان ثم رضني به»**.

لماذا هنا نهى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن أن يقول اللّٰهم اغفر لي إن شئت، وهناك علَّق؟ الجواب وضحه الشيخ وهو أن النهي هو فيما إذا سألت المنافع المحضة التي لا احتمال أن تكون غير منفعة مثل المغفرة، المغفرة في احتمال أن تكون غير منفعة؟ ولا كُل المغفرة منفعة؟ كل المغفرة منفعة، أن تسأل الله التقوى، أن تسأل الله الهدى، أن تسأل الله الصلاح، أن تسأل الله صلاح النية والذرية، مثلاً، هل هناك احتمال أن يكون هذا الأمر غير جيد؟ أبدًا، هنا لا يجوز لك أن تقول إن شئت.

لكن في الأمور التي قد تكون حسنة وقد تكون بخلاف ذلك، مثل وظيفة مُعينة، مثل زواج مُعيَّن، مثل شِراء بيت، شِراء سيارة، سفر مُعيَّن، كل هذه الأمور وإن ظهر لك في بادئ الأمر أنها جيدة لكن قد يكون فيها مضرة فهنا من هنا شرع لك أن تستثني، تقول: اللّٰهم إن كان في هذا السفر، في هذا الأمر، أو في هذا نفع فيسِّره لي وإلا فلا.

**المسألة الثانية:** فرَّق بعض أهل العلم بين الدعاء بصيغة المُضارع، وبين الدعاء بصيغة الدعاء الذي يُسمى بصيغة الأمر، فمثلًا تقول: رحمه الله مثلاً أو غفر الله لك إن شاء الله، فلَك أن تقول في صيغة المُضارع إن شاء الله، أما في صيغة الأمر: اللّٰهم اغفر لي إن شئت هنا لا، ما تستثني، لكن إذا قُلت يعني مُبارك إن شاء الله، وغفر الله لك إن شاء الله، توجه الخطاب له، وليس لله عَزَّ وَجَلَّ فهنا لك أن تستثني، نصوا على ذلك.

## (المتن)

**باب: لا يقول: عبدي وأمتي.**

Created by Universal Document Converter

في الصحيح عن أبي هريرة، أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: **"لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضىء ربك، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي "**.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** النهي عن قول: عبدي وأمتي.

**الثانية:** لا يقول العبد: ربي، ولا يقال له: أطعم ربك.

**الثالثة:** تعليم الأول قول: فتاي وفتاتي وغلامي.

**الرابعة:** تعليم الثاني قول: سيدي ومولاي.

**الخامسة:** التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ.

**قال الشارح رَحِمَهُٱللَّهُ: باب لا يقل عبدي وأمتي.**

وهذا على وجه الاستحباب أن يعدل العبد عن قول عبدي وأمتي إلى فتاي وفتاتي، تحفظا عن اللفظ الذي فيه إيهام ومحذور ولو على وجه بعيد، وليس حراما، وإنما الأدب كمال التحفظ بالألفاظ الطيبة التي لا توهم محذورا بوجه.

فإن الأدب في الألفاظ دليل على كمال الإخلاص، خصوصا هذه الألفاظ التي هي أمس بهذا المقام.

## (الشرح)

نعم وهذا كذلك داخل في المناهي اللفظية وقد سبق أن تكلمنا عن هذا الحديث: لا يقول عبدي وأمَتِي، وإن كان لا يقصد العُبودية بمعنى العبادة، وإنما يقصد العبودية بمعنى المِلك والرِق والخِدمة، ولكن مع ذلك لا يقول أحدكم أطعم ربك، وضئ ربك، وليقل سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي، بل يقول فتاي وفتاتي وغُلامي وهذا على سبيل التنزيه وليس للتحريم، والغرض منه سد الذريعة للوقوع في مُشابهة الشرك بأن يُسمى غير الله ربًا، أو يُسمى غير العبد الذي هو الإنسان العبد عبدًا، هذا على سبيل التنزيه.

Created by Universal Document Converter

يدخل في ذلك ما يُطلقه البعض في هذا الزمن مثل قوله: المُشرِّع، يقول هذا فلان مُشرِّع، هذا الأمر ينبغي أن لا يقولها، صاحب الشرع هو الله عَزَّ وَجَلَّ، ومن بعثه الله عَزَّ وَجَلَّ نبيًا وهو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيُبتعد عن مثل هذه العبارة، المُشرِّع، والمجلس التشريعي، ونحو ذلك، فينبغي أن يُترك ذلك.

## (المتن)

باب لا يرد من سأل بالله

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من سأل بالله فأعطوه، ومن استعاذ بالله فأعيذوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»** رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** إعاذة من استعاذ بالله.

**الثانية:** إعطاء من سأل بالله.

**الثالثة:** إجابة الدعوة.

**الرابعة:** المكافأة على الصنيعة.

**الخامسة:** أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه.

**السادسة: قوله: "حتى تروا أنكم قد كافأتموه".**

## (الشرح)

**طبعًا هذا الباب فيه فوائد:**

فيه تعظيم اسم الله عَزَّ وَجَلَّ فإذا استُعيذ منك بالله فلتُعذ، وإذا سُئلت بالله فلتُعطي، وإذا دُعيت فلتُجب، وفيه كذلك: أن المُسلم ينبغي أن يُكافأ من صنع له معروفًا وهذا خُلق الوفاء، أن تحفظ وُد وجميل من صنع لك معروفًا، وأن ترده له قدر استطاعتك، بمثله إن استطعت، أو بنحوه، فإن لم تجد ما تردُ الجميل به؛ فلا أقل من أن ترفع يديك وتدعو له، لأن هذا لا تستطيع أن تقول لا أستطيع، الدعاء يستطيعه كل الناس.

Created by Universal Document Converter

قال: «فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تُروا أنكم قد كافأتموه»، يعني حتى تظنوا أنكم قد كافأتموه.

## (المتن)

**باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة.**

عن جابر، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يسأل بوجه الله إلا الجنة» رواه أبو داود.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** النهي عن أن يسأل بوجه الله إلا غاية المطالب.

**الثانية:** إثبات صفة الوجه.

**باب: لا يرد من سأل بالله.**

**وباب: لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**

**الباب الأول خطاب للمسئول:**

وأنه إذا أدلى على الإنسان أحد بحاجة وتوسل إليه بأعظم الوسائل، وهو السؤال بالله، أن يجيبه احتراما وتعظيما لحق الله، وأداء لحق أخيه حيث أدلى بهذا السبب الأعظم.

**والباب الثاني خطاب للسائل:**

وأن عليه أن يحترم أسماء الله وصفاته، وأن لا يسأل شيئا من المطالب الدنيوية بوجه الله، بل لا يسأل بوجهه إلا أهم المطالب وأعظم المقاصد وهي الجنة بما فيها من النعيم المقيم، ورضا الرب والنظر إلى وجهه الكريم والتلذذ بخطابه، فهذا المطلب الأسمى هو الذي يسأل بوجه الله.

وأما المطالب الدنيوية والأمور الدنيئة وإن كان العبد لا يسألها إلا من ربه، فإنه لا يسألها بوجهه.

## (الشرح)

وهذا طبعًا جمع الشيخ الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ بين البابين لأن الباب الأول موجه للمسئول، والباب الثاني موجه للسائل، يعني إذا سُئلت بالله، فلتُعطي، لكن أيضًا يا ناس لا تسألوا بوجه الله كُل شيء بل اسألوا بوجه الله المطالب العظيمة مثل أن تسأل الله الجنة، تسأل الله كذا، أو نحو ذلك من المطالب العظيمة.

Created by Universal Document Converter

بعض الناس مع الأسف يعني يحلف أو يسأل بالله في أتفه المواضيع، ويُدخل كلمة أسألك بالله في كل موضوع، حتى أنه من يستمع له لا يعظم في قلبه هذه الكلمة، مع أنها كلمة عظيمة، أسألك بالله، فيقولها في كل شيء حتى في اللعب، بعض الناس بعض الشباب، في لعب يقول أسألك بالله، أو والله العظيم، ورب الكعبة، فإن هذه لعبة ينبغي ألا يُمتهن اسم الله عَزَّ وَجَلَّ بهذه الطريقة، والله عَزَّ وَجَلَّ قد عاب على كثير الحلف، ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾ [القلم: ١٠]، فكثر الحلف ليست من الأمور الجيدة.

## (المتن)

### باب ما جاء في اللَّوْ

**وقول الله تعالى:** ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾.

**وقوله:** ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾.

في الصحيح عن أبي هريرة، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا. ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان».

**فيه مسائل:**

**الأولى:** تفسير الآيتين في آل عمران.

**الثانية:** النهي الصريح عن قول: **"لو"** إذا أصابك شيء.

**الثالثة:** تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان.

**الرابعة:** الإرشاد إلى الكلام الحسن.

**الخامسة:** الأمر بالحرص على ما ينفع، مع الاستعانة بالله.

**السادسة: النهي عن ضد ذلك وهو العجز.**

**قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ: باب ما جاء في اللَّوْ.**

**اعلم أن استعمال العبد للفظة: "لو"** تقع على قسمين: مذموم ومحمود أما المذموم فأن يقع منه أو عليه أمر لا يحبه فيقول: لو أني فعلت كذا لكان كذا، فهذا من عمل الشيطان؛ لأن فيه محذورين:

**أحدهما:** أنها تفتح عليه باب الندم والسخط والحزن الذي ينبغي له إغلاقه، وليس فيها نفع.

Created by Universal Document Converter

**الثاني:** أن في ذلك سوء أدب على الله وعلى قدره، فإن الأمور كلها والحوادث دقيقها وجليلها بقضاء الله وقدره، وما وقع من الأمور فلا بد من وقوعه، ولا يمكن رده، فكان في قوله: لو كان كذا أو لو فعلت كذا كان كذا، نوع اعتراض ونوع ضعف إيمان بقضاء الله وقدره. ولا ريب أن هذين الأمرين المحذورين لا يتم للعبد إيمان ولا توحيد إلا بتركهما.

**وأما المحمود من ذلك:** فأن يقولها العبد تمنيا للخير. كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ولأهللت بالعمرة**».

**وقوله في الرجل المتمني للخير:** «**لو أن لي مثل مال فلان، لعملت فيه مثل عمل فلان**».

و«**لو صبر أخي موسى لقص الله علينا من نبأهما**» أي في قصته مع الخضر.

وكما أن (لو) إذا قالها متمنيا للخير فهو محمود.

فإذا قالها متمنيا للشر فهو مذموم. فاستعمال (لو) تكون بحسب الحال الحامل عليها.

إن حمل عليها الضجر والحزن وضعف الإيمان بالقضاء والقدر أو تمنى الشر كان مذموما.

وإن حمل عليها الرغبة في الخير والإرشاد والتعليم كان محمودا، ولهذا جعل المصنف الترجمة محتملة للأمرين.

## (الشرح)

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **باب ما جاء في اللو.**

**وقول الله تعالى:** ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقد سيق سياق الذم، ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٦٨]، كذلك هذا سيق سياق الذم، وكذلك في الحديث: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل لو أني فعلت كذا**»، وشرح الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ واضح وكافٍ شافٍ، وهو التفريق بين لو المحمودة ولو المذمومة.

**المذمومة:** هي أن تقولها حال التسخُّط، لو أني كذا لما حصل، لو أني ما خرجت لما حدث لي حادث، لو أني غير مُسافر كان ما كذا، لو أني كذا هذا ما يجوز لماذا؟ لأن فيه محذرة كما ذكر الشيخ:

**أولًا:** أنها تفتح عليه باب الندم والحُزن الذي لا طائِل من وراءه.

Created by Universal Document Converter

**اثنين:** فيه سوء أدب على الله، لأن هذا تقدير من الله عَزَّ وَجَلَّ أن يحدث لك هذا الأمر، فقولك هذا فيه نوع اعتراضٍ على قدر الله، لذلك أُرشدنا إلى أن نقول: قدَّر الله وما شاء فعل، أو تقول: قدر الله وما شاء فعل على تقدير هذا قدر الله وما شاء فعل.

**المحمود:** هو ما إذا قُلتها للاستفادة من الماضي لأخذ الدروس والعبر، لو، كأن تقول لشخص وقع في مُشكلة لو أنك فعلت كذا لما حصل كذا، ليس على جهة السخط والتسخُط والاعتراض ولكن على جهة التعليم، والاستفادة من الدروس، وذكر الشيخ هنا أمثلة نبوية: لو استقبل من أمر الله ما استدبرت لما سُقت الهدي، لو أن لي مال لعملت كذا إلى آخره، وشرح الشيخ واضح يعني سديد ولا مزيد عليه.

ما رأيكم لو نستمر وننهي، لأن باقي أقل من عشرين صفحة، يعني نختم الكتاب، أكمل.

## (المتن)

### باب النهي عن سب الريح

عن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللّٰهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به»** صححه الترمذي.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** النهي عن سب الريح.

**الثانية:** الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره.

**الثالثة:** الإرشاد إلى أنها مأمورة.

**الرابعة:** أنها قد تؤمر بخير، وقد تؤمر بشر.

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ : **باب النهي عن سب الريح.**

وهذا نظير ما سبق في سب الدهر، إلا أن ذلك الباب عام في سب جميع حوادث الدهر، وهذا خاص بالريح، ومع تحريمه فإنه حمق وضعف في العقل والرأي، فإن الريح مصرفة مدبرة بتدبير الله وتسخيره، فالساب لها يقع سبه على من صرفها، ولولا أن المتكلم بسب الريح لا يخطر هذا المعنى في قلبه غالبا لكان الأمر أفظع من ذلك، ولكن لا يكاد يخطر بقلب مسلم.

Created by Universal Document Converter

## (الشرح)

يعني لو صدمت بسيارتك إنسانًا أو سيارة إنسان، ثم نزل هذا الشخص بالسب على السيارة بوصفها بالغباء، وصفها بالحُمق، وصفها بالعمى، هو في الحقيقة يسب من؟ يسُب الذي يقود السيارة، لأنها ليست هي التي تحركت، أنت الذي حركتها، فسبق أن تكلمنا عن باب النهي سب الدهر، وكما ذكر الشيخ في ذلك الباب كان النهيُ عامًا وهذا خاصًا، هذا أحد حوادث الدهر، وهو تقلُب الرياح، فسبُك للريح فيه محذوران:

**المحذور الأول:** أنك تسبُ من صرفها وسيرها، لأن لا تسير لوحدها.

**الأمر الثاني:** أن هذا كما ذكر الشيخ فيه حُمق، لأن سبَّ الريح لن يُقدم ولن يؤخر، ولن يُغير الواقع، بل فيه مضيعةٌ للوقت، محرقةٌ للدم، محرقةٌ للجهد، على غير طائل، فلذلك ما أجمل الوصايا النبوية التي ترشد الإنسان إلى التصرف الحكيم العاقل.

## (المتن)

**باب قول الله تعالى:** ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

**وقوله:** ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾.

**قال ابن القيم في الآية الأولى:** فسر هذا بأنه سبحانه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل، وفسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله صلى الله عليه وسلم وأن يظهره على الدين كله، وهذا هو ظن السوء، الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح.

وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق.

Created by Universal Document Converter

فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده، فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتا على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك: هل أنت سالم؟ وإلا فإني لا أخالك ناجيا، فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** تفسير آية آل عمران.

**الثانية:** تفسير آية الفتح.

**الثالثة:** الإخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر.

**الرابعة:** أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه.

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ : باب: قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾.

وذلك أنه لا يتم للعبد إيمان ولا توحيد حتى يعتقد جميع ما أخبر الله به من أسمائه وصفاته وكماله، وتصديقه بكل ما أخبر إليه به من أسمائه وصفاته وكماله، وتصديقه بكل ما أخبر به، وأنه يفعله، وما وعد به من نصر الدين، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل، فاعتقاد هذا من الإيمان، وطمأنينة القلب بذلك من الإيمان، وكل ظن ينافي ذلك فإنه من ظنون الجاهلية المنافية للتوحيد ؛ لأنها سوء ظن بالله ونفي لكماله وتكذيب لخبره وشك في وعده والله أعلم.

## (الشرح)

نعم، هذا الباب في ظن الجاهلية، وهو أن يظن أن الله عَزَّ وَجَلَّ لن ينصر دينه، ولم يُحقق وعده، فيرى مثلًا المُسلمين مثل هذا الزمن مستضعفين تدور عليهم الدوائر ويتسلَّط عليهم الناس، ويُقتَّلون، ويُعتدى عليهم، فيظنوا بالله ظن السوء بأن يظن أن الله سيتركهم ولن ينصرهم.

Created by Universal Document Converter

نعم قد يتأخر النصر، لكنه لن يُعدم سيأتي في يوم من الأيام، قد لا تراه بعينك،لكنه سيأتي، وهذا هو المؤمن الذي ينبغي أن يُحسن ظنه بالله عَزَّ وَجَلَّ فقول الله سبحانه: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، والمؤمنون هو الذين يثقون بوعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يثقون بوعوده، وبنصره ويظنون به ظن الحق والظن الحسن.

## (المتن)

### باب ما جاء في منكري القدر.

**وقال ابن عمر:** والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبا، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه، حتى يؤمن بالقدر. ثم استدل بقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»** رواه مسلم.

**وعن عبادة بن الصامت:** أنه قال لابنه: يا بني، إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»**.

يا بني، سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«من مات على غير هذا فليس مني»**.

**وفي رواية لأحمد:** **«إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة»**.

**وفي رواية لابن وهب:** قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار»**.

**وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي، قال:** أتيت أبي بن كعب، فقلت له: في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء، لعل الله يذهبه من قلبي، فقال: **"لو أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار"**.

قال: فأتيت عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث صحيح، رواه الحاكم في صحيحه.

Created by Universal Document Converter

**فيه مسائل:**

**الأولى:** بيان فرض الإيمان بالقدر.

**الثانية:** بيان كيفية الإيمان به.

**الثالثة:** إحباط عمل من لم يؤمن به.

**الرابعة:** الإخبار بأن أحدا لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به.

**الخامسة:** ذكر أول ما خلق الله.

**السادسة:** أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة.

**السابعة:** براءته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن لم يؤمن به.

**الثامنة:** عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء.

**التاسعة:** أن العلماء أجابوه بما يزيل شبهته، وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط.

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ: **باب: ما جاء في منكري القدر.**

قد ثبت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة: أن الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فمن لم يؤمن بهذا فإنه ما آمن بالله حقيقة، فعلينا أن نؤمن بجميع مراتب القدر: فنؤمن أن الله بكل شيء عليم، وأنه كتب في اللوح المحفوظ جميع ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وأن الأمور كلها بخلقه وقدرته وتدبيره، ومن تمام الإيمان بالقدر: العلم بأن الله لم يجبر العباد على خلاف ما يريدون، بل جعلهم مختارين لطاعتهم ومعاصيهم.

## (الشرح)

هذا الباب طبعًا باب عظيم باب القدر، والحديث فيه، فيه تفاصيل، والشيخ هنا ذكر ما جاء في مُنكري القدر، الحديث الأول حديث ابن عمر، قال: والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبا، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه، من يقصد، يقصد القدرية، والقدرية هم الذين يُنكرون القدر، ويزعمون أن الأمر أُنُف، يعني أن الإنسان هو الذي يخلُق ويوجد أفعاله وأن الله عَزَّ وَجَلَّ تعالى عما يقولون؛ لا يعلم بهذه الأفعال إلا بعد حدوثها.

Created by Universal Document Converter

والذي أوقعهم في هذا الكلام ظنهُم أن إثبات القدر فيه ظُلم للعبد لأنه إذا أثبتنا أن الله خلق هذا الفعل وعلمه وأراده وخلقه، كيف يُحاسب الإنسان عليه، هذا الذي عندهم لبسًا، ففروا من ذلك بأن نفوا علم الله وقُدرته، وخلقه عن أفعال العباد، فوقعوا في ما هو أعظم، حيث سلبوا صفةً من صفات الألوهية والربوبية من الله عَزَّ وَجَلَّ، لذلك ظهرت طائفة مُعاكسة لهم وهم الجبرية، وهم الجهمية، لأن القدرية هم المعتزلة.

بل يقال إن المعتزلةَ نشأت عن القدرية وليس العكس، فأول ما ظهرت بدعة القدرية عن طريق عمرو بن عُبيد وغيره من أهل البصرة والكوفة، وهذا الحديث دليل على أن هذه البدعة مُبكرة، ثم تشربها بعد ذلك عدد من الناس منهم واصل بن عطاء، الذي كان تلميذًا عند الحسن البصري، وزاد عليها بقية البِدع، فالأصل كانت بدعة القدر، ثم سُموا معتزلةً وكان من ضِمن أصولهم الخمسة، الأصل يُسمى العدل، يسمونه أصل العدل، وهو نفي القدر.

**الجهمية:** ناقضوهم وقالوا بالجبر، وأن العبد مجبورٌ على فعله، وهذا ضلال وهذا ضلال، والوسط هو أهل السُنة والجماعة، فإنكار القدر كما الوارد في حديث ابن عُمر هو ردًا على القدرية، وقوله هنا قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إن أول ما خلق الله القلم**»، في هذه المسألة خلاف بين أهل العلم، في أول مخلوق، ما هو أولُ مخلوق؟ على قولين:

فقيل هو العرش، وقيل هو القلم، وقد أشار إلى هذا الخلاف الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "**الكافية**" النونية الشهيرة حيث قال:

**والنـــاس مختلفـــون في القلـــم الـــذي ... كتـــب القضـــاء بـــه مـــن الـــديانِ**
**هـــل كـــان قبـــل العـــرش أو هـــو قبلـــه ... قـــولان عنـــد أبي العـــلا الهمـــداني**
**والحـــق أن العـــرش قبـــل لأنـــه ... عنـــد الكتابـــة كـــان ذا أركـــان**

وشرحوا، وأوَّلوا هذا الحديث بأن الأولية هنا أولية إضافية، وليست أولية حقيقية، يعني أولية بالنسبة للعرش، أول مخلوق بعد العرش، وليس أوليةً مطلقة وهذا هو المُرجح أن أول مخلوق هو العرش، ثم بعد ذلك خلق الله عَزَّ وَجَلَّ القلم، وكما ذكر هنا أول، قال له اكتب إلى آخره...، وطبعا القدر فيه تفصيلٌ طويل جدًّا، ليس هنا المجال لذكره، أُحيلكم على مُحاضرة لي في القدر موجودة في اليوتيوب.

Created by Universal Document Converter

## (المتن)

**باب ما جاء في المصورين.**

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة» أخرجاه.

ولهما عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله».

ولهما عن ابن عباس، سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **"كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم"**.

**ولهما عنه مرفوعا:** «من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ».

ولمسلم عن أبي الهياج: قال: قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أن لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرا مشرفا إلا سويته».

**فيه مسائل:**

**الأولى:** التغليظ الشديد في المصورين.

**الثانية:** التنبيه على العلة وهو ترك الأدب مع الله لقوله: **"ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي"**.

**الثالثة:** التنبيه على قدرته وعجزهم لقوله: (فليخلقوا ذرة) أو (شعيرة) .

**الرابعة:** التصريح بأنهم أشد الناس عذابا.

الخامسة: أن الله يخلق بعدد كل صورة نفسا يعذب بها المصور في جهنم.

**السادسة:** أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح.

**السابعة:** الأمر بطمسها إذا وجدت.

**قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ: باب ما جاء في المصورين.**

وهذا من فروع الباب السابق أنه لا يحل أن يجعل لله ندا في النيات والأقوال والأفعال، والند المشابه ولو بوجه بعيد. فاتخاذ الصور الحيوانية تشبه بخلق الله، وكذب على الخلقة الإلهية، وتمويه وتزوير، فلذلك زجر الشارع عنه.

Created by Universal Document Converter

## (الشرح)

وفي ذلك تفصيل وكذب وخلاف بين الفقهاء في ماهيةِ التمثال أو الصورة المحرمة على تفصيل لا نريد أن نخوض فيه، لكن ما ذهب إليه الحنابلة واستقروا عليه هو أن الصورة المحرمة هي الصورة التي تكون خلقًا كاملًا بحيث لا يبقى فيها إلا نفخ الروح، فمهوم ذلك: أن ما لا يمكن أن يعيش الإنسان به فلا يُعتبر صورة، مثل التمثال الرأسي، الرأس فقط هذا على المذهب لا بأس به ولو كان تمثالًا أو النصفي، لأنه ما يُمكن أن يعي الإنسان.

لكن إذا كان على هيئةٍ يمكن أن يعيش فيها مثل نصف الجسد فما فوق لا، هذا حتى لو ما كان فيه يد لأنه يوجد إنسان يعيش بهذه الصورة، لكن لا يوجد رأس يعيش لوحده، قل مثل ذلك في الرسم، فإذا وُجدَ صورة سواء كانت مُجسمةً أو مُسطحةً على هيئة كائنٍ حي يمكن أن يعيش فهذا حرامٌ لا يجوز، وإن كان دون ذلك فلا بأس به.

وبقية المذاهب ما بين مُشدَّدٍ عن هذا القول ومُخفف، حتى بعضهم ذهب إلى جواز التمثال الكامل ولا بأس به طالما أنه لم يُقصد فيه العبادة، فالمسألة فيها خلاف فلا ينبغي إنزال هذه النُصوص على ما تراه أنت صورةً وربما لا يُوافقك فيه غيرك من العلماء فهي مسألة فقهية فيها جانبٌ فقهي وهو تحديد ماهية الصورة المنهي عنها، فينبغي أن يُنتبه لأن بعض الناس ممكن أن يأخذ الأحاديث وينزلها على غير مواطنها أو وفق ما يراه هو ويفتي به شيخه، وكما تعلمون لا إنكار في مسائل الخلاف المُعتبر.

## (المتن)

باب ما جاء في كثرة الحلف

**وقول الله تعالى:** ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب"** أخرجاه.

وعن سلمان، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه»** رواه الطبراني بسند صحيح.

Created by Universal Document Converter

وفي الصحيح عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم- قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثة؟ - ثم إن بعدكم قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن»

وفيه عن ابن مسعود، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته».

وقال إبراهيم: "**كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار**".

**فيه مسائل:**

**الأولى:** الوصية بحفظ الأيمان.

**الثانية:** الإخبار بأن الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة.

## (الشرح)

منفقة يعني سبب للإنفاق، والنَفاق عفوًا يعني الترويج،إذا حلفت والله العظيم إن هذه السلعة منشأها البلد الفُلاني وأنت كاذب ممكن تمشي، فه منفقة للسلعة يعني تمشي البضاعة لكنها ممحقةٌ للكسب ما فيها بركة.

## (المتن)

**الثالثة:** الوعيد الشديد فيمن لا يبيع إلا بيمينه ولا يشتري إلا بيمينه.

**الرابعة:** التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي.

## (الشرح)

وهذا ما نبهتُ عليه قبل قليل من أن كثرة الحلف فيها وعيد، رجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلى بيمينه، والله العظيم إن هذه ما يدفعون فيها إلا هذا المبلغ وهو كاذب مثلًا أو حتى لو صاق، والبائع، والله العظيم إني شاريها بالمبلغ وهو كاذب، أو حتى لو هو صادق، لكن كل بيعة تحلف، هذا فيه امتهان كأنه جعل اسم الله عَزَّ وَجَلَّ آلة تسويق يعني.

## (المتن)

**الخامسة:** ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون.

Created by Universal Document Converter

**السادسة:** ثناؤه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على القرون الثلاثة أو الأربعة وذكر ما يحدث بعدهم.

**السابعة:** ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون.

**الثامنة:** كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد.

**قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ: باب: ما جاء في كثرة الحلف.**

أصل اليمين إنما شرعت تأكيدا للأمر المحلوف عليه، وتعظيما للخالق، ولهذا وجب أن لا يحلف إلا لله، وكان الحلف بغيره من الشرك.

ومن تمام هذا التعظيم أن لا يحلف بالله إلا صادقا.

ومن تمام هذا التعظيم أن يحترم اسمه العظيم عن كثرة الحلف بالكذب، وكثرة الحلف تنافي التعظيم الذي هو روح التوحيد.

**(الشرح)**

**نعم وهذا واضح وقد سبق أن أشرنا له.**

**(المتن)**

**باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه**

**وقوله تعالى:** ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١].

عن بريدة، قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أمر أميرا على جيش، أو سرية أوصاه بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرا. فقال: «**اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال- أو خلال- فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم.**

Created by Universal Document Converter

وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا؟ » رواه مسلم.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين.

**الثانية:** الإرشاد إلى أقل الأمرين خطرا.

**الثالثة:** قوله: **"اغزوا بسم الله في سبيل الله"**.

**الرابعة:** قوله:**"قاتلوا من كفر بالله"**.

**الخامسة:** قوله:**"استعن بالله وقاتلهم"**.

**السادسة:** الفرق بين حكم الله وحكم العلماء.

**السابعة:** في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا؟

**قال الشارح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ : **باب: ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه.**

**المقصود من هذه الترجمة**: البعد والحذر من التعرض للأحوال التي يخشى منها نقض العهود والإخلال بها، بعدما يجعل للأعداء المعاهدين ذمة الله وذمة رسوله. فإنه متى وقع النقض في هذه الحال كان انتهاكا من المسلمين لذمة الله وذمة نبيه، وتركا لتعظيم الله، وارتكابا لأكبر المفسدتين كما نبه عليه صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك أيضا تهوين للدين والإسلام وتزهيد للكفار به، فإن الوفاء بالعهود خصوصا المؤكدة بأغلظ المواثيق من محاسن الإسلام الداعية للأعداء المنصفين إلى تفضيله وإتباعه.

## (الشرح)

طبعًا هذا الحديث هو فيما يتعلق بخير، وفيه الأمر بدستور الأخلاق، إن صح أن يُسمى حيث إن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أوصى تلك الوصايا الدقيقة والحازمة في المعاملة مع الأعداء، كيف مراعاة، عدم قتل الوليد، وعدم التمثيل، وعدم الغلول، وعدم الغدر، حتى مع الأعداء، وفيه تفصيل كيفية التعامل في الجهاد والغنيمة ونحو ذلك، فيه فوائد عظيمة جدًّا.

Created by Universal Document Converter

**والفائدة التي سيق لها الباب:** هي عدم جعل ذمة الله وذمة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيلةً لأن تغفر، وإنما القائد أو الإمام يجعل لهم ذمته حتى إذا أخفرت يعني غُدر بهم من قِبل أحد الأفراد فلا يكون قد أخفر ذمة الله، ويُفهم من ذلك ويُستفاد منه ألا يُعرَّض اسم الله إلى الابتذال أو سوء الفهم، وأن يُجعل مثلًا من أمثلة ذلك إذا أردنا أن نُطبق ذلك على الواقع، أن يُبغض الطفل إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأن يقول: إذا فعلت هذا الله يدخلك النار ما يكون بلسانهم إلا كلمة الله يدخلك النار.

وهذه الكلمة تُرسِّخ في الطفل أن الله عَزَّ وَجَلَّ ما عنده إلا نار، ما عنده إلا عذاب، ما عنده إلا كذا، وهذا فيه تنفير عن الله عَزَّ وَجَلَّ، ويُفهم من هذا الحديث هذا المعنى ألا نُنفر الناس من الله، وألا نُعرِّض اسم الله، أو محبة الناس لله أو نُعرِّض تعلُّق الناس بالله عَزَّ وَجَلَّ للخلل، الله هو الذي فعل هذا، الله يُعذبك الله الذي عمل لك، صحيح، لكن ينبغي إذا كان سيُفهم فهمًا خاطئًا ما يُقال له هذا الكلام، أو يُعبر له بتعبيرٍ آخر، فالطفل مثلاً لا يُقال له مثلاً في كل فعل خاطئ يريد أن يفعله الله يدخلك النار، وإنما يُقال له مثلاً إذا أردت أن يُحبك الله فلتفعل هذا.

تريد الله يُحبك لا تفعل هذا، لأن الطفل ما يستوعب، فلا يُحشى ذهنه باقتران اسم الجلالة مع النار دائمًا لأن هذا سيُشكل عنده نوع من التصور الخاطئ عن الله عَزَّ وَجَلَّ، يمكن أن نستشف هذه الفائدة من هذا الحديث.

## (المتن)

### باب ما جاء في الإقسام على الله.

عن جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله (من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له وأحبطت عملك»** رواه مسلم.

**وفي حديث أبي هريرة:** أن القائل رجل عابد، قال أبو هريرة: **"تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته"**.

فيه مسائل:

**الأولى:** التحذير من التألي على الله.

**الثانية:** كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعله.

**الثالثة:** أن الجنة مثل ذلك.

Created by Universal Document Converter

**الرابعة:** فيه شاهد لقوله: **"إن الرجل ليتكلم بالكلمة"**إلى آخره.

**الخامسة:** أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه.

## (الشرح)

وسيشرحه الشيخ.

## (المتن)

**باب لا يستشفع بالله على خلقه.**

**عن جبير بن مطعم** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** جاء أعرابي إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، نهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله.

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«سبحان الله، سبحان الله!»**فلا زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«ويحك! أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه»** وذكر الحديث، رواه أبو داود.

**فيه مسائل:**

**الأولى:** الإنكار على من قال: **"نستشفع بالله عليك"**.

**الثانية:** تغيره تغيرا عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة.

**الثالثة:** أنه لم ينكر عليه قوله: **"نستشفع بك على الله"**.

**الرابعة:** التنبيه على تفسير **"سبحان الله"**.

**الخامسة:** أن المسلمين يسألونه الاستسقاء.

**قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ باب: الإقسام على الله.**

**وباب: لا يستشفع بالله علي خلقه**

وهذان الأمران من سوء الأدب في حق الله، وهو مناف للتوحيد.

أما الإقسام على الله فهو في الغالب من باب العجب بالنفس والإدلال على الله، وسوء الأدب معه، ولا يتم الإيمان حتى يسلم من ذلك كله. وأما الاستشفاع بالله على خلقه فهو تعالى أعظم شأنا من أن يتوسل به إلى خلقه ؛ لأن رتبة المتوسل به غالبا دون رتبة المتوسل إليه، وذلك من سوء الأدب مع الله، فيتعين تركه،

Created by Universal Document Converter

فإن الشفعاء لا يشفعون عنده إلا بإذنه، وكلهم يخافونه، فكيف يعكس الأمر فيجعل هو الشافع، وهو الكبير العظيم الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الكائنات بأسرها.

## (الشرح)

**باب ما جاء في الإقسام على الله هو ما يُسمى بالتألِّي على الله**، يعني أن يقول والله ما يغفر الله لك، أو تقول والله ما يغفر لك الله، أو والله ما يوفقك الله، ونحو ذلك من العبارات التي تُشعر أنك أنت يعني لك معرفة بما سيفعله الله عَزَّ وَجَلَّ بهذا العبد، وهذا لا شك.

لذلك عوقب هذا الرجل بأن حبط عمله، وغُفر لذلك الإنسان الذي وجَّه له هذا الكلام، كذلك الاستشفاع بالله على خلقه، فتقول: لما جاء الأعرابي يا رسول الله نُهكت الأنفس، وجاع العيال فاستسقي لنا ربك فإنا نستشفع بالله عليك، ولا شك أن هذا ربما بسبب جهله، كيف تستشفع بالله عليه؟

يعني يجعل الله تعالى شفيع ليرضى محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يدعو لذلك غصب النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقال: وبك على الله، فقال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **«سبحان الله، سبحان الله»**، غضب من هذه الكلمة فما زال يُسبح حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه، يعني أصبح الصحابة خاف الصحابة، ثم قال: **«ويحك أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يُستشفع بالله على أحد»**، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

## (المتن)

**باب ما جاء في حماية النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

**حمى التوحيد وسده طرق الشرك.**

**عن عبد الله بن الشِّخِّير** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **"انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فقلنا: أنت سيدنا. فقال: السيد: الله تبارك وتعالى. قلنا: وأفضلنا فضلا، وأعظمنا طولا. فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان"** رواه أبو داود بسند جيد.

**وعن أنس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **أن ناسا قالوا:** يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: **"يا أيها الناس قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله "** رواه النسائي بسند جيد.

Created by Universal Document Converter

**فيه مسائل:**

**الأولى:** تحذير الناس من الغلو.

**الثانية:** ما ينبغي أن يقول من قيل له: **"أنت سيدنا"**.

**الثالثة:** قوله: **"لا يستهوينكم الشيطان"** مع أنهم لم يقولوا إلا الحق.

**الرابعة: قوله: "ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي".**

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ : باب: ما جاء في حماية المصطفى حمى التوحيد وسده طرق الشرك، تقدم١.

نظير هذه الترجمة وأعادها المصنف اهتماما بالمقام، فإن التوحيد لا يتم ولا يحفظ ولا يحصن إلا باجتناب جميع الطرق المفضية إلى الشرك، والفرق بين البابين أن الأول فيه حماية التوحيد بسد الطرق الفعلية، وهذا الباب فيه حمايته وسده بالتأدب والتحفظ بالأقوال.

فكل قول يفضي إلى الغلو الذي يخشى منه الوقوع في الشرك، فإنه يتعين اجتنابه ولا يتم التوحيد إلا بتركه، والحاصل أن تمام التوحيد بالقيام بشروطه وأركانه ومكملاته ومحققاته، وباجتناب نواقضه ومنقصاته ظاهرا وباطنا، قولا وفعلا وإرادة واعتقادا، وقد مضى من التفاصيل ما يوضح ذلك.

## (الشرح)

في هذا الباب، باب ما جاء في حماية المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمى التوحيد وسده طرق الشِرك، هذا الباب فيه، أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أراد أن يحمي جناب التوحيد وأن يضبط محبة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ له، ويمنعهم من أن يُنزلوه فوق منزلته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي أنزله الله عَزَّ وَجَلَّ إياها، لا شك أن المؤمن يُحب النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولولا محبة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لشُك في إيمانه، **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناسِ أجمعين»** كما قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

لكن المحبة قد تفرط أحيانًا فتزيد ويُنزل الإنسان المحبوب في منزلةٍ ليست بمنزلته، فتأمل كيف تصرف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع ذلك حيث قال لما يقول الشِخِّير: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلنا أنت سيدنا، فقال: **«السيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى»**، مع أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا شك أنه سيدنا، لكن أراد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يضبط لهم هذه المحبة حتى لا يُهم ذلك.

Created by Universal Document Converter

عندهم أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ منزلته أعلى من منزلة العبودية والنبوة، قلنا وأفضلنا فضلًا وأعظمنا طَوْلًا، وقد صدقوا في ذلك فهو أفضلهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأعظمهم طولًا، لكن قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «قولوا بقولكم او بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان»، يعني يجعلكم تسترسلون مع هذه العبارات وهذه الألفاظ حتى تُعطوا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا لم يعطيه الله عَزَّ وَجَلَّ إياه.

**كذلك الحديث الذي بعده:** قالوا: يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «يا أيها الناس قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد عبد الله ورسوله، وما أُحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عَزَّ وَجَلَّ».

فهنا هذا التوجيه النبوي لهؤلاء أنا محمد عبد الله ورسوله، وما أُحب أن ترفعوني فوق منزلتي، فالذي يرفع النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فوق منزلته بدعوى المحبة يفعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ما لا يُحبه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والمحبة التي تناقض قصد المحبوب لا عبرة بها، ولا اعتبار لها، وهذا يجرنا إلى ما حدث الأيام الفائتة في مسألة الأبيات التي جاءت والتي أُثيرت، والبُردة، أبيات البُردة الشهيرة التي فيها غُلو في النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:

**يَا أَكْرَمَ الخَلقِ مَا لِي مَن أَلُوذُ به سِواكَ عند حُلولِ الحَادِثِ العَمِمِ، فَإِنَّ مِنْ جُوْدِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتها وَمِنْ عُلُوْمِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالقَلَمِ،** إلى آخر ذلك، لاشك أن شُراحها تأولوا هذه الأبيات، فبظاهر الأبيات هم يُقرون أن فيها غُلوًا شديدًا بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لذلك تجدهم قالوا: لا ليس المقصود كذا، والمقصود كذا، والمقصود كذا.

**نسأل سؤال: هل هي نص مُقدس؟** لماذا هذا الدفاع الشديد عنها؟ هل هي آية أو حديث؟ يعني من يُدافع عن هذه الأبيات ويلتمس لها التأويلات قد طُعن في نصوص القرآن والسنة لا نجد له حركة في الدفاع عن القرآن، أو في الدفاع عن السُنة، لكن لما انتقدت البُردة وهي كلام بشر في النهاية بشر، ليس معصومًا ولا مُقدسًا، لا، أقام الدنيا ولم يُقعدها في الدفاع والمنافحة عن هذه الأبيات.

يا أخي لو لم يقل صاحب البُردة هذه الأبيات، لو لم يُخلق صاحب البُردة لما ضر الإسلام شيء، ولا ما ضر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ شيء، ولا ما ضر المسلمين شيء، فلماذا هذه الاستماتة الشديدة؟ ولا نرى هذه الاستماتة في الدفاع عن القرآن الذي طُعن فيه، وقُدح في أحكامه القطعية من العلمانيين وأضرابهم، لكن تجد

Created by Universal Document Converter

في الدفاع عن هذا بغض النظر عن هذا التأويل صح أو خطأ، يا أخي أغلق الباب، لو مُسحت البردة من التاريخ لن يضر الإسلام شيء، فلماذا هذا التمسُك الشديد في ذلك؟ واضح يا إخوان، لذلك هذا أمر ينبغي أن يُغلق، بغض النظر عن هل صدقوا في تأويلاتهم أم لم يصدقوا لكن أنا أستغرب من هذه المنافحة الشديدة التي لا نراها حتى في آيات القرآن والسُنة والأحاديث النبوية.

## (المتن)

**باب ما جاء في قول الله تعالى:** ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]

**عن ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بدت نواجذه، تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]

**وفي رواية لمسلم: "والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الله ".**

وفي رواية للبخاري: **"يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع"** أخرجاه.

**ولمسلم عن ابن عمر مرفوعا:** «يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ».

**وروي عن ابن عباس قال: "ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم".**

**وقال ابن جرير:** حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس».

Created by Universal Document Converter

قال: وقال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض».

**وعن ابن مسعود، قال: "بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم"**. أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله، ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله. قاله الحافظ الذهبي – رحمه الله تعالى –، قال: وله طرق.

وعن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هل تدرون كم بين السماء والأرض؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر، بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله سبحانه وتعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم» أخرجه أبو داود وغيره.

فيه مسائل:

**الأولى:** تفسير قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

**الثانية:** أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه صلى الله عليه وسلم ولم ينكروها ولم يتأولوها.

**الثالثة:** أن الحبر لما ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم صدقه، ونزل القرآن بتقرير ذلك.

**الرابعة:** وقوع الضحك منه صلى الله عليه وسلم لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم.

**الخامسة:** التصريح بذكر اليدين، وأن السماوات في اليد اليمنى والأرضين في الأخرى.

**السادسة:** التصريح بتسميتها الشمال.

**السابعة:** ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك.

**الثامنة: قوله: "كخردلة في كف أحدكم "**.

**التاسعة:** عظم الكرسي بالنسبة إلى السماوات.

**العاشرة:** عظمة العرش بالنسبة إلى الكرسي.

Created by Universal Document Converter

**الحادية عشرة**: أن العرش غير الكرسي والماء.

**الثانية عشرة**: كم بين كل سماء إلى سماء؟.

**الثالثة عشرة**: كم بين السماء السابعة والكرسي؟

**الرابعة عشرة**: كم بين الكرسي والماء؟

**الخامسة عشرة**: أن العرش فوق الماء.

**السادسة عشرة**: أن الله فوق العرش.

**السابعة عشرة**: كم بين السماء والأرض؟

**الثامنة عشرة**: كثف كل سماء خمسمائة سنة.

التاسعة عشرة: أن البحر الذي فوق السماوات بين أعلاه وأسفله [مسيرة] خمسمائة سنة، والله سبحانه وتعالى أعلم. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ : باب: قول الله تعالى:** ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

ختم المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى كتابه بهذه الترجمة. وذكر النصوص الدالة على عظمة الرب العظيم وكبريائه، ومجده وجلاله وخضوع المخلوقات بأسرها لعزه ؛ لأن هذه النعوت العظيمة والأوصاف الكاملة أكبر الأدلة والبراهين على أنه المعبود وحده، المحمود وحده، الذي يجب أن يذل له غاية الذل والتعظيم وغاية الحب والتأله، وأنه الحق وما سواه باطل، وهذه حقيقة التوحيد ولبه وروحه، وسر الإخلاص.

فنسأل الله أن يملأ قلوبنا من معرفته ومحبته والإنابة إليه، إنه جواد كريم، وهذا آخر التعليق المختصر على كتاب التوحيد وتوضيح مقاصده، وقد حوى من غرر مسائل التوحيد، ومن التقاسيم والتفصيلات النافعة ما لا يستغني عنه الراغبون في هذا الفن الذي هو أصل الأصول، وبه تقوم العلوم كلها. والحمد لله على تيسيره ومنته.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

## (الشرح)

ختم المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب العظيم في بيان عظمة الله سبحانه قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]، وذكر قصة الحبر، حيث أن الله عَزَّ وَجَلَّ يجعل

Created by Universal Document Converter

السماوات على إصبع، والأراضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: «أنا الملك، أين ملوك الأرض؟» أو كما في رواية أخرى، ويطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيمينه، يعني هذه السماوات التي إذا رأى منكم أحد مقدار الكرة الأرضية التي نعيش فيها نحن من المجرة كحبة رمل، في صحراء، وهذا إن دل على شيء يدل على عِظم هذا الخلق، هذا الذي رأيناه بأعيننا، ولا ندري عما لا نراه من الخلق العظيم الذي لم تصل إليه عيوننا ولا إدراكُنا بعد، فسُبحان الملك العظيم.

«أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»، وفي الحقيقة تضحك من هذا المتكبر الذي ينظر إلى عطفيه ويمشي متكبرًا ويحتقر الخلق، يعين على ماذا يتكبر؟ لو نظر إلى جسمه، إلى خلقه، إلى ما يحمله في بطنه من قذارة، إلى ضعفه، ممكن يعني ميكروب واحد يُطيحه في فراشه، بل ربما يقتله، ضعيف، لا قوة له، ولا حول ولا طَوْلَ، ولا شيء يستحق أن يتكبر عليه، على ماذا يتكبر؟ على الرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الذي خلقه، وخلق الكون كُله، الذي يكون هذا الإنسان فيه لا شيء، فتستغرب من هذا المُتكبر!

لذلك يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: «أين المتكبرون؟»، ثم يطوي الأراضين السبع ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: «أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»، إلى آخر هذه الأحاديث العظيمة التي تدل على عظمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والتي ينبغي على من تدبرها أن يعرف قدره، ويعرف مقامه حقيقة بين يدي الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُبصرنا بأنفسنا وأن يجعلنا وإياكم من عباده الصالحين المُصلحين.

وأن يُجنبنا وإياكم الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، ونسأله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يغفر لنا ولأهلنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمُسلمين أجمعين وأن يؤلف بين قلوب المُسلمين، وأن يجمعهم على توحيده وطاعته.

وأن يرحم مُؤَلِف هذا الكتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأن يرحم شارحه الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وأن يجزيهم عنا وعن المسلمين خير الجزاء وأن يرحم علماءنا وعُلماء المسلمين جميعًا وأن يعفو عن زلاتهم ويعفو عنا معهم، ويجمعنا معهم تحت ظل عرشه يوم القيامة، إخوةً متحابين متآلفين.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وجزاكم الله خيرا.

Created by Universal Document Converter